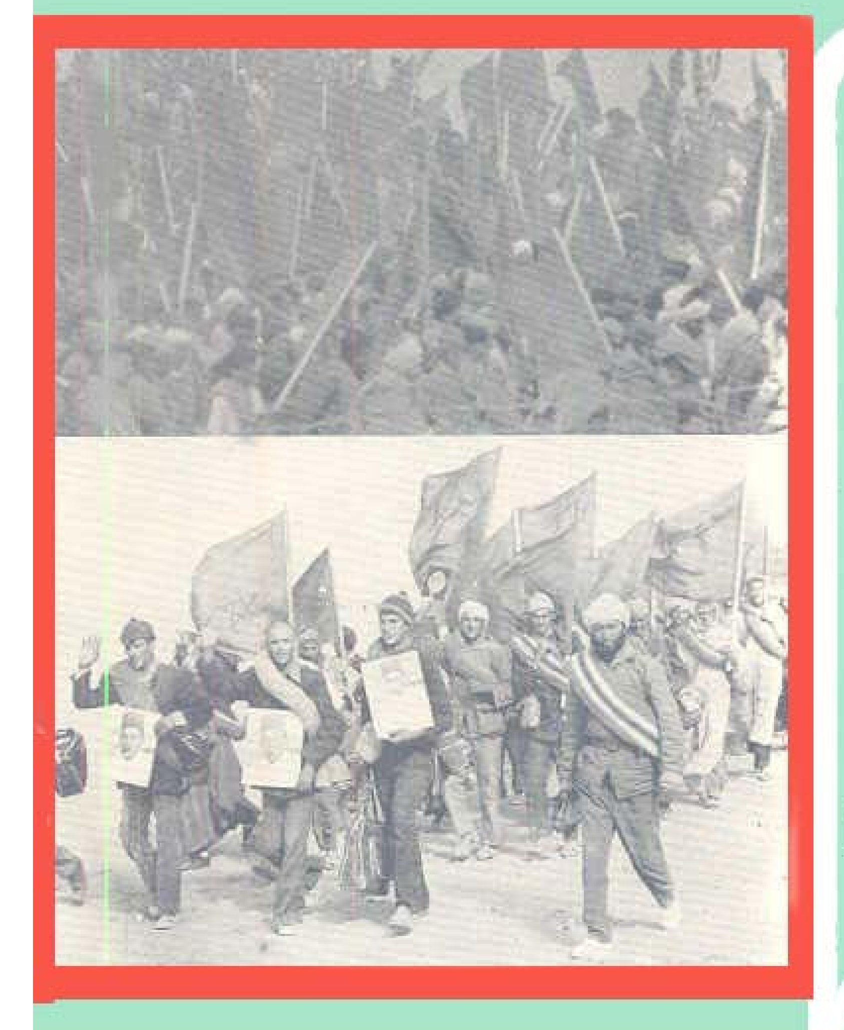
دعوة الحق

الإفتتاح الفكري

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية



تحريف التاريخ والعقيدة

أثر تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي في المجتمع

صدى الفارابي في المغرب

المشكلة الثقافية في العالم الإسلامي
واقعها وعلاجها

العدد التاسع • السنة 18 • شوال 1397 - أكتوبر 1977 • ثمن العدد : 3 دراهم

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (مديرية الشؤون الإسلامية) بالمملكة المغربية
الرباط

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

العدد التاسع
السنة الثامنة عشرة
شوال 1397
أكتوبر 1977
ثمن العدد 3 دراهم

فهرس
العدد التاسع - السنة 18

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « **دعوة الحق** » ـ مديرية الشؤون الاسلامية
ص ب : 375 ـ الرباط ـ المغرب
الهاتف : 235،85 ـ 338،30

الاشتراك العادي عن سنة 30 درهما ، والشرفي 100 درهم فأكثر .

السنة عشرة اعداد . **لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .**

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 · 485 الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485-55 à Rabat

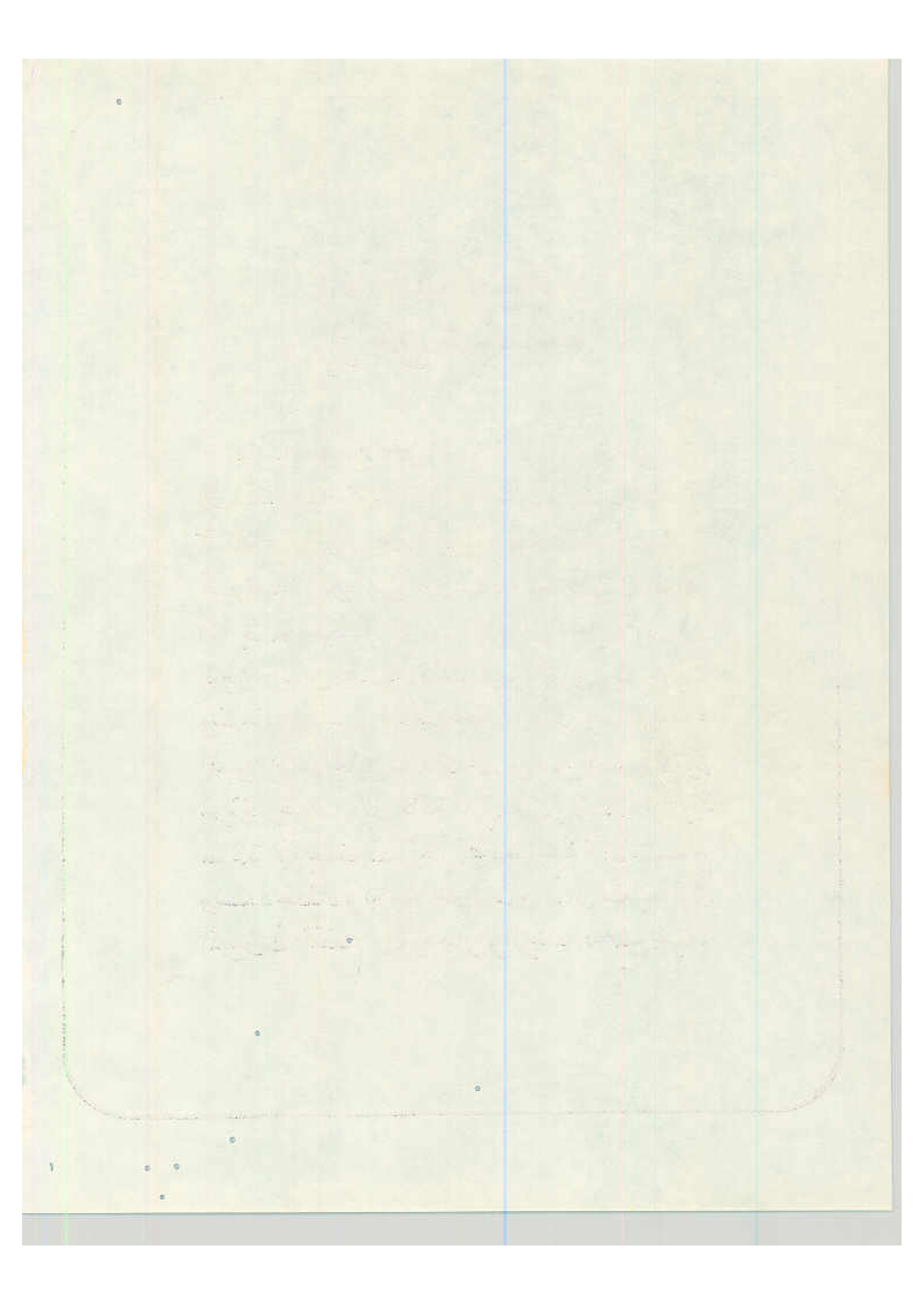
أو تبعث رأسا في حوالة بالعنوان اعلاه :

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

أدام الله أعيادنا
في ظل عرشنا

بمناسبة عيد الأضحى المبارك والأعياد المجيدة، التي تصادف الذكرى الثانية للمسيرة الخضراء المظفرة، تتشرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وأسرة تحرير مجلة "دعوة الحق" بأن تتقدم بأحر التهاني وأخلص الأماني إلى سيد البلاد أمير المومنين وحامي حمى الوطن والدين، جلالة الملك الحسن الثاني رمز عزتنا وضامن وحدتنا ورائد نهضتنا، وإلى ولي عهده المحبوب الأمير الجليل سيدي محمد وصنوه السعيد الأمير مولاي رشيد، وإلى كافة أفراد الأسرة المالكة الشريفة سائلة الله جلت قدرته أن يحفظ مولانا الإمام ويسدد خطاه ويعينه على تحقيق آمال شعبه الوفي المومن في التقدم والازدهار والرخاء إنه سميع مجيب.



بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

الإفقار الفكري

● الافقار الفكري مظهر من مظاهر الديكتاتورية السياسية وقهر ارادة الانسان وامتهان كرامته ، يورث المذلة والخنوع والاستكانة الى الواقع الفاسد ، ويشيع حالة من الذوبان والانسلاخ من القيم والمبادىء والخصائص التي تشكل حجر الزاوية في كيان الامم والشعوب ، ويضعف ملكة التفكير والابداع والاجتهاد ويحيل المجتمع بكامله الى قطيع حيواني لا يكاد يمت الى فصيلة الانسان بصلة . وهو نتيجة طبيعية للارهاب والقمع والتسلط والضغط والاساليب البوليسية في التعامل مع اهل الفكر وذوي الراي وحملة الاقلام وممثلي الشعب من مناضلين وحزبيين ونقابيين وموجهين ودعاة الاصلاح . وكلما تفشى الاستبداد وطغى الانحراف والتنكر لقيم الحق والعدل والانصاف وشاع الاعراض عن المبادىء والمثل واتسعت الشقة بين القمة والقاعدة ووقع التخلي عن المواثيق والعهود ، كلما كان الامر أدعى الى الافقار الفكري واقرب الى احتقار الانسان الذي كرمه الله تعالى .

ان آفة الاستبداد السياسي وخضوع الشعب لفئة جائرة جاهلة باساليب الحكم ان يشل حركة الفكر ويوقف دورته المبدعة ويبطل تأثير العقل على الحياة ، مما يؤدي في نهاية المطاف الى تحكم الجهل المركب وسيطرة الغرور والعناد والغباء وهيمنة روح الانتقام والتشفي والحقد والتمكين للمنهزمين والفاشلين من ذوي الطباع الشريرة والنوايا الخبيثة

والاغراض السيئة والانتماءات المشبوهة وبذلك يدخل المجتمع فى دورة استعمارية جديدة تستلب فيه شخصيته وذاتيته .

ولسنا فى حاجة الى سوق الامثلة للدلالة على صحة ما نذهب اليه ، وتكفينا الاشارة الى ما فاسته بعض البلاد العربية والاسلامية من ويلات وأزمات من جراء تنكبها طريق الشورى ، وتفريطها فى السيادة الوطنية بسبب ارتباطاتها بقوى دولية عرفت كيف تستغلها وتستنزفها بل وكادت ان تفرغ استقلالها من مضمونه الحقيقي لو لم تتدارك الامر قبل استفحاله.

وعلاقة انظمة الحكم واساليب السياسة ومذاهب الاقتصاد بالافقار الفكري أمر يرقى عن الشك ، ذلك ان الرشد السياسي والوعي السليم والطهارة الوطنيـة والولاء الخالص للاصالة فى مختلف مظاهرها وأشكالها، كل ذلك يشكل وقاية حقيقية ضد الغزو والاستلاب والاقطاع المذهبي الذي يؤدي فى النهاية الى الافقار الفكري .

● ان الديكتاتورية فى التحليل النهائي ليست سوى صورة للافلاس والفراغ والتيه والافتقار الى القدرة على التوجيه والضبط والاحتكام الى العقل والمصلحة العامة وحاجة الانسان الى الحرية والاحساس بالكرامة والوجود المعنوي ، وعلى النقيض من ذلك نجد على رأس الانظمة السوية العادلة الممثلة لارادة الشعب قادة وزعماء يتصفون بقدر اعلى من الانضباط السلوكي والاتزان العقلي والثراء الفكري والقدرة على التصرف السليم تحت جميـــع الظروف .

فالقضية اذن مرتبطة بالسياسة ارتباطا وثيقا ، فان طغت السياسة وتجبرت ، هزل الفكر وضعف ، واذا افقر الفكر (بالضغط والتخويـــف والارهاب ...) انعدمت كل الضمانات الممكنة لممارسة جميـــع وجـــوه النشاط الانساني فى جو من الثقة والاطمئنان والامان .

وهكذا فان جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله كان يزن الكلمات بميزان العقل والحكمة حينما قال ـ حفظـــه الله ورعـــاه ـ فى كلمته السامية بمناسبة افتتاح البرلمان المغربي :

« ان بلدنا بلد محب للسلام ، كان دائما داعية للســـلام وسيبقـــى دعامة للسلام لذا اريد منكم أن تنكبوا على مشاكل أمن بلدكم وطمأنينتهـــا واطمئنانها ان تنكبوا عليها بامعان وادراك للمسؤولية ذلك ان عملنا اليوم ، وخطابي اليوم ، ووجودكم هنا اليوم يشكل استفزازا بل تحديا لمدرسة الديكتاتورية ولمدرسة الحزب الوحيد ولمدرسة الافقار الفكري حتـــى تتمكن بسهولة من السيطرة على الافكار وعلى الجماعات والافراد » .

● هذا الربط بين السلام والمسؤولية وبين الديكتاتورية والافقار الفكري له دلالته الخاصة ذلك ان العمالة فى السياسة مدخل للانحراف فى الفكر . واذا كانت مدرسة الحرية والشورى والتشاور وتعدد الاراء واغنائها تنزع الى السلام وتنحاز الى جانب العدل والقانون الدولي بدافع التقدير العميق للمسؤولية فان مدرسة الديكتاتورية والحزب الوحيـــد تحارب السلام وترفض التعاون من اجل مصلحة الشعـــوب وتتعامـــل بصورة أو باخرى مع الاستعمار والقوى الصهيونية المعادية للسلام العالمي .

وهذا مظهر آخر من مظاهر الافقار الفكري وهو العمالة للاستعمار والخروج عن الجماعة وايثار مصلحة الاجنبي على مصلحة الشقيق والجار ورفيق الكفاح المسلح فى الامس القريب .

- وآذا كان المغرب يرفض رفضا واعيا ومتبصرا الحزب الوحيد وبناى باجهزة الحكم والادارة وقنوات التاثير على الرأي العام عن الديكتاتورية فى السياسة والاقتصاد والفكر ، وينهج سبيل الحرية والديمقراطية الاسلامية الحق ، فلانه يتطلع الى اثراء الفكر لا افقاره ، وتقويته لا اضعافه ، وتطويره لا تجميده . وهذه لعمرى التقدمية الحق ، والشورى الحق ، والديمقراطية الحق .
- فلا محل ـ آذن ـ للارهاب الفكري فى المغرب الجديد .
- ولا موضع للافقار الفكري فى ظل العرش العلوي المجيد .
- فلتتفتح كل الزهور ..
- فى اطار الاسلام والملكية الدستورية ..

دعوة الحق

في خطاب تنصيب الحكومة الجديدة، جلالة الملك يعلن الخروج عن مؤامرة الصمت :

النصيحة واجبة

وأنا لا أريد أن أنفرد برأي

● حرص جلالة الملك الحسن الثاني ـ نصره الله ـ في الكلمة التي زف فيها الى شعبه الوفي بشرى تكوين الحكومة الجديدة يوم 10 اكتوبر الماضي ـ على طرح قضية سياسية وفكرية من الاهمية بمكان، ترتبط بحاضر المغرب ومستقبله ان شاء الله . ويتعلق الامر بالعلاقة بين السلطة الشرعية العليا في البلاد المتمثلة في جلالته حفظه الله ورعاه وبين المسؤولين الكبار المشاركين في الحكم وتسيير شؤون البلاد الى جانب جلالته الشريفة . تلك العلاقة التي أوصى الاسلام الحنيف بتقويتها وتزكيتها بالثقة والحب والتعاون والنصح الامين والفهم والادراك والوعي والاحساس العميق بالمسؤولية الوطنية والدينية المقدسة . وطالب جلالة الملك أعزه الله باسقاط « مؤامرة الكتمان » والتحلي بالامانة والصدق في نقل حقائق الواقع وصور الحياة الى سدته العالية بالله باعتباره راعي الامة وضامن وحدتها .

وتعتبر اشارة جلالة الملك لهذه النقطة بالذات في خطاب تنصيب الحكومة الجديدة ايذانا بانطلاق المغرب الجديد على أساس التشاور والتناصح والتآلف والتعاون من أجل مصلحة الوطن والمواطنين وعزة الاسلام وكرامة العرش ●

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وءاله وصحبه

انا اذ نزف الى شعبنا العزيز بشرى تكوين حكومتنا التي ستعمل بجانبنا مع البرلمان المنتخب، اننا ونحن نزف له هذه البشرى نريد أن نؤكد للشعب المغربي اولا ولاصدقاء واشقاء المغرب ثانيا أن بلدنا ووطننا قد قرر ان يخطو خطوات جديدة ليصبح كفيلا بحمل لقبه وصفته الجديدة ألا وهو « المغرب الجديد»

ان حكومتنا عليها ان تسن سننا حميدة طيبة في تعاملها مع السلطة التشريعية علما منا بان مبادىء القانون تنقسم الى قسمين : القانون المكتوب وقانون العادة .



وكلاهما يصبح جاري المفعول بعد ممارسة طويلة او غير قصيرة لذا اريد أن يتحلى وزراؤنا كلهم بحزم من جهة وباللين وحسن المعاملة من جهة اخرى.

عليهم ان يعلموا انهم يمثلون تيارات مختلفة واحزابا مختلفة وكل حزب وكل تيار له برنامجه المفصل والمجمل ، وعمل الحكومة ليس ابراز الخلاف الموجود بين برنامج فلان وفلان بل العمل المستمر على ايجاد القناطر بين النقط الايجابية التي عليها ان تربط بين برنامج فلان وفلان . واذا وقع الانسجام داخل الحكومة مما لا شك فيه أن ذلك الانسجام سينعكس على البرلمان . وأن برلمان سنة 1977 سيكون ان شاء الله برلمانا حيا ، يستجيب الى ما ننتظره منه الى عمل بناء من الناحية القانونية والتشريعية .

واذا أضفنا الى هذا ان جل وزرائنا هم منتخبون . أن منهم من يمثل القرية او البلدية أو يمثل الصعيد الوطني أمكننا ان نقول اننا جمعنا حولنا اكثر ما يمكن من العيون التي ستحمل الينا ما رأت ، ومن الاذان التي ستحمل الينا ما سمعت ومن الافكار التي ستوحي الينا بالعمل تبعا لاجتهادها ومقدرتها على التفكير وعلى الاسهام بجانبنا فى حكومتنا .

وللعمل معنا كذلك ولاعانتنا فى ديواننا الملكي قررنا ان نسترجع اربعة من خدامنا المخلصين الذين مروا من مناصب مهمة جدا والذين عملوا بجانبنا باستمرار منذ ان اراد الله سبحانه وتعالى أن يحملنا هذه المسؤولية .

ولي اليقين شخصيا ان الوزير الاول الذي اظهر فى تشكيل لائحته الوزارية قبل أن يعرضها على نظرنا السامي الذي اظهر المرونة واللياقة وجميع الخصال التي ننتظرها من رجل سيكون هو المنسق للادارة وللوزراء ان ما أظهره وزيرنا الاول يجعلنا نستبشر بالخير وننتظر من جموعه أن تكون مجموعة كالتي سبقتها حية مطيعة للواجب مجيبة لما ينتظر منها فاننا اذ نعين الحكومة وعلى رأسها السيد أحمد عصمان نؤكد لهذا الخدام لبلده ولوطنه ما يتمتع به لدينا من ثقة ومن تقدير وأزيد من صداقة ومحبة شخصية .

أسال الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا جميعا سواء السبيل واعلموا اخيرا وفقكم الله أن أوجب الواجبات عليكم قبل كل شيء هو واجب النصيحة فانا لا اريد ان انفرد برأيي ولا أن اسير الامور على حسب ما ارتأيته ولكن اريد أن اسير شؤون البلاد ببعد النظر الدقيق وبعد التخطيط وبعد التحليل .

ولا يتأتى ذلك الا اذا كنت على يقين أنني ساجد فيكم فرادى وجماعات من تكون له الشجاعة الكافية للادلاء برأيه واعطاء نظره وان ما اجتاح المغرب من مشاكل طوال القرون التي عاشها فى التاريخ المجيد يرجع الى شيء واحد الا وهو ما أسميه « بمؤامرة الصمت أو مؤامرة الكتمان » اذا رأينا كلما مر المغرب بمصيبة او مشكلة فى تاريخه كان ذلك يرجع الى شيء واحد الا وهو أن الدائرة والبطانة التي كانت تحيط بملك المغرب كانت تخفى عليه أما الكل أو البعض فهذا ما اسميه مؤامرة الكتمان .

فالله اسال أن يعطيكم الحذاقة واللياقة والنظر الثاقب والتحليل المصيب حتى يمكنكم جميعا أن تقوموا بعملكم بكيفية تشرف اول خادم لبلده عبد ربه الحسن وتشرفكم كاشخاص وتشرف الاسر التي تنتمون اليها .

انه سميع مجيب والسلام عليكم ورحمة الله .

تحت شعار الآية الكريمة (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) افتتح جلالة الملك البرلمان:

بالشورى وتعدد الآراء، نتحدى مدرسة الديكتاتورية

● استهل أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله خطابه السامي بمناسبة تدشين البرلمان الجديد في فاتح ذي القعدة ـ 14 اكتوبر الماضي بالآية القرآنية الكريمة : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا .. » مشيرا ـ حفظه الله ـ الى أنه لم يجد أحسن من هذه الآية لافتتاح البرلمان . وبنى جلالته خطابه الهام على أساس شرح الآية القرآنية رابطا بينها وبين مسؤولية المنتخبين في البرلمان ودورهم القيادي في النهوض بالبلاد ومقارنا بين الوضع عندنا حيث الاستقرار والحرية والشورى والديمقراطية الاصيلة وبين الاوضاع في العالم المعاصر القائمة على أساس الفوضى السياسية والاضطراب الاقتصادي والتخلف الاجتماعي واتباع الاهواء والنزوات والميل ذات اليمين وذات اليسار على حساب الشعوب المغلوبة على أمرها .

وقال جلالة الملك في هذا الخطاب بالخصوص أن الفكر والتفكير يجب أن يكون في اطار الاسلام والسنة النبوية . وبهذه العبارة الجامعة ختم جلالة العاهل خطابه التاريخي الذي يسجل الدخول في طور جديد من أطوار معركة البناء والتشييد والتمكين للمؤسسات الديمقراطية ●

الحمد لله ، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة المنتخبين

أصحاب السعادة رؤساء الجمعيات التمثيلية للدول الصديقة والشقيقة

انه ليوم سعيد هذا الذي نعيشه اذ يلتقي مع رغبة من أشد رغباتنا ويحقق خطوة من أعز خطواتنا ،

لقد فكرت كثيرا في موضوع الخطاب الذي أفتتح به دورة هذا البرلمان فلم أجد أحسن من آية قرآنية أكررها كثيرا على مسامع شعبي العزيز وهي كما يقول الله سبحانه وتعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطا ».

فالله سبحانه وتعالى بعدما خلق البرية أبى بكرمه الا أن يهذب ويربي البشرية ، فعلى يد أنبيائه ورسله وكتبه رباها وهذبها حتى سار بها الى المستوى الذي وصلت اليه ، وكلما زادت البشرية في عمرها حقبا بعد حقب وقرونا بعد قرون الا والتهذيب الرباني

يصبح ادق وأصلح للمجتمع وللتعايش فيه وهكـــذا حينما ختم رسالاته سبحانه وتعالى برسالة النبـــي صلى الله عليه وسلم وحينما جعل تلك الرسالة عامة أراد ان يهذب البشرية بهذه الجملة وهذه الايـــة : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » .

وكم نحن فى حاجة الى هذا التعليم القرآنـــي فى القرن الذي نعيش فيه ، فالانسانية أصبحـــت حمقاء فى اقتصادها فى تجارتهـــا فى تعاملهـــا فى انظمتها ، لقد سيطرت على البعض الجهالة الجهلاء وسيطرت على البعض الثروة العمياء وسيطرت على الطرف الثالث الحماقة الحمقاء وأخيرا سيطر على الطرف الرابع الاستهتار بالمقدسات والاخـــلاق ›› فالامة الوسط هي التي تعرف كيف توفق بين الدول النامية وبين الدول التي هي فى طريق النمـــو فى المؤتمرات الاقتصادية فيما يخص التبادل التجاري والطاقة والمواد الاولية ، الامة الوسط هي التـــي تعرف كيف يمكنها ان تجعل نظاما محترما محكمـــا يتعايش مع حريات خاصة وعامة ، الامة الوسط هي الامة التي تعرف كيف توفق بين طاقاتها وامكاناتهـــا وبين مطامحها وامالها .

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا »

لا افراط ولا تفريط ، وكيف يمكـــن أن نصل الى هذه الامة الوسط ؟ نصل اليهـــا بالتشـــاور او بتعريف جديد بالديموقراطية ، فالتشاور هو بنفسه يقتضي أن يكون أمة وسطا حتى لا يطغى أحد مـــن السلطتين التنفيذية والتشريعيـــة ، وحتـــى فـــي مشاوراتنا علينا ان نكون أمة وسطا .

لي اليقين أن الجل منكم وعد منتخبيه وعودا ووعودا انه سينجز وسينجز وسينجز ، وكم أكـــون فخورا ان ينجز كل منتخب كيفما كانت نوعيته وكيفما كـــان حزبـــه .

وكم أكون فخورا أن ينجز كل منتخب ما وعد به ولكن حتى فى هذا الميدان علينا ان نكون أمـــة وسطا ففي عدتنا ما هو جدير بالاسبقية وما يمكـــن تأجيله وتأخيره لقلة الوسائل او لقلة الاطر .

أمة وسطا معناها انه مكتوب عليكم أيها المنتخبون قبل كل شيء وقبل احصاء الحاجيات ، ان تكونـــوا على معرفة تامة بالامكانات ، ولما تكونوا على معرفـــة تامة بالامكانات يمكنكم آذاك ان تنتقوا من الضروريات ومن الحاجات ما هو جدير بالاسبقية ، وهذه الخصال من خصال الامة الوسط .

حضـــرات الســـادة

عليكم ان تعلموا كذلك ان العالم كلما اتســـع اتسعت افاقه امامنا بالوسائل السمعية والمرئية او بالوسائل السلكية واللاسلكية او بوسائل النقل .

ان العالم كلما اتسع كلما صغر فى الحقيقة ، فلذا حينما تتطرقون الى موضوع من المواضيـــع اياكم ان تعتقدوا انه موجود الآن موضوع داخلـــي صرف ، انه لا يوجد موضوع داخلي صرف اليـــوم لدولة تريد ان تسير مسيرتها مثل المغرب ، لدولة جعلها الله على باب من ابواب بحار ، مثل المغرب ، كدولة جاءت فى مفترق الطرق بين أوربا وبين المغرب العربي وبين افريقيا .

فعليكم اذن ان تعتقدوا وتعلموا وتومنوا بان كل تشريع شرعتموه وكل تخطيط خططتموه الا ولـــه ، مساس كبير او صغير ، وصلة قريبة او بعيـــدة ، بالميادين الخارجية ، وانا متيقن ان هذا يزيدكـــم تقديرا للواجب الملقى على عاتقكم وللامانة التي كلفتم بها من لدن منتخبيكم .

حضـــرات الســـادة

ان بلدنا بلد محب للسلام ، كان دائما داعيـــة للسلام وسيبقى دعامة للسلام ، لذا أريد منكـــم ان تنكبوا على مشاكل امن بلدكم وطمانينتها واطمئنانها ، أن تنكبوا عليها بامعان وادراك للمسؤولية ذلـــك ان عملنا اليوم ، وخطابي اليوم ، وجودكم هنا اليـــوم يشكل استفزازا بل تحديا لمدرسة الديكتاتوريـــة ولمدرسة الحزب الوحيد ولمدرسة الافقار الفكري حتى تتمكن بسهولة من السيطرة على الافكـــار وعلى الجماعـــات والافـــراد .

ان بلدنا الذي هو معرض الى ما هو معرض اليه منذ القدم ، لان الله سبحانه وتعالى جعله من أعز بلاد المخلوق على الارض وكثر الله حسادنا وكمـــا قال النبي صلى الله عليه وسلم فبلدنا بعمله هـــذا زاد



سببا من أسباب الاستفزاز ، ومن أسباب التحدي ، ولكن ما أشرف هذا التحدي وما أشرف هذا الاستفزاز ، فانا أريد أن أتحدى الناس بالحريات ، أريد أن أتحدى الناس بالمشاورة مع المنتخبين ، أريد أن أتحدى الناس بتعدد الاحزاب والهيئات والآراء ، لان تحديات مثل هذه هي التحديات التاريخية الاصيلة الملصقة بتاريخ المغرب ، ماضيه، حاضره ومستقبله ان شاء الله .

انني وانا باسم الله الرحمن الرحيم اعلن افتتاح هذه الدورة أرجو منه سبحانه وتعالى ان يجعلها مليئة بالخير كفيلة بتحقيق كل ما علقه عليكم ملككم ومنتخبوكم ، ان يجعل من اعمالكم اعمالا مباركة حتى تكونوا اديتم كعادتكم وكأبنائكم من بعدكم ، اديتم واجبكم نحو هذا البلد ولا أعتقد اني فى حاجة الى ان أؤكد لكم لان احساساتكم كاحساساتي لهذا البلد الذي يستحق كل تضحية وكل تقدير .

جعله الله سبحانه بلدا آمنا تهوى اليه قلوب الناس من مشارق الارض ومغاربها حتى يصبح جنة خضراء لكل من أراد ان يستظل بظل الحرية المقننة، بظل القانون الحر ، بظل الفكر والتفكير فى اطار الاسلام والسنة النبوية .

والسلام عليكم ورحمة الله

في الرسالة الملكية السامية إلى الحجاج المغاربة :

يقيننا قوي في وجوب الاحتكام إلى الإسلام لحل النزاع وبناء عالم إنساني.

وجه امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله رسالة سامية الى حجاجنا الميامين قراها على الفوج الاول منهم السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور احمد رمزي بمناسبة مغادرته التراب الوطني يوم الاحد 23 اكتوبر .

وقد تضمنت الرسالة المولوية الكريمة عدة توجيهات سديدة الى حجاج المملكة الذين يعتبرون بحق سفراء لبلادهم في تلك البقاع المقدسة التي يجتمع على صعيدها الطاهر المسلمون من كل بقاع العالم .

وفيما يلي النص الكامل للرسالة الملكية :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حجاجنا الميامين

قال الله تعالى في كتابه العزيز ، مخاطبا عز وجل نبيه وخليله سيدنا ابراهيم عليه السلام :

« واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات »

لقد جرت العادة ومضت سنة آبائنا واجدادنا ان نخاطب حجاجنا الميامين ، في مثل هذه الايام من كل سنة ، مستهدفين تبيان جوهر هذه الفريضة المباركة ، وقاصدين توضيح المهمة الجليلة التي تنتظر الحجاج المغاربة في تلك البقاع المقدسة ، بين اخوان لهم ، اختلفت السنتهم والوانهم ، وتعددت جنسياتهم وانسابهم ، واجتمعت كلمتهم على التوحيد والتسليم لله سبحانه وتعالى ، والاستسلام لدينه الذي ارتضاه للناس كافة .

وان من أجل الاهداف الكونية التي جاء الاسلام من اجل تحقيقها بين شعوب الارض واممها الدعوة الى

السلام والتآلف والمحبة ، ونبذ الاحقاد والحزازات ، وطرح الخلافات ، وتجاوز كل ما من شأنه أن يفسد العلاقات بين بني البشر . ولا تزال هذه القضية من اهم القضايا التي تشغل بال العالم المعاصر ، وتستأثر باهتمام انسان اليوم ، ولا يزال يقيننا قويا في وجوب الاحتكام الى الاسلام ، لحل النزاعات واقامة العلاقات وبناء عالم انساني ، تسوده روح الوئام والالتئام ، والمحبة والسلام .

ولعل فريضة الحج أهم مظهر من مظاهر السلام العالمي الذي ينشده الاسلام ويحث عليه ويرغب فيه، فأنتم – حجاجنا الميامين – مقدمون على أداء شعيرة من أعظم الشعائر ، لا ينحصر مدلولها في النطاق الذاتي والمدلول الروحي والعبادي ، بل يتعداه الى مجال اوسع وارحب باعتبارها تدريبا على السلام ، واغراء به ودعوة ملحة الى انتهاج سبيله ، وسلوك محجته .

واذا كانت الشعوب الاسلامية قد ابتليت بداء الانفصام والتجزئة والتشتت ، فان هذا استثناء وليس قاعدة ، لان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم، جاء موحدا وداعيا الى التآخي والتعاضد ، ولم يأت مفرقا ولا ممزقا للشمل ، فعلى المسلمين ان يأخذوا من دينهم ما يصلح حياتهم ومعاشهم ، ويقتبسوا من مشكاة النبوة الطاهرة اقباسا يسيرون على هديها في حاضرهم ومستقبلهم .

حجاجنا الميامين :

لقد من الله سبحانه وتعالى علينا بنعمة الوحدة وجمع الشمل ، واكرمنا – جل جلاله – بالحرية والعزة والكرامة ، وهيأ لنا من أسباب الفوز والنصر والتمكين ما استطعنا به أن نرفع رؤوسنا في المحافل الدولية ، فحق علينا أن نحمده حمدا موصولا ، ونضرع اليه في كل وقت وحين أن يديمْ علينا نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، وينأى بنا عن مزالق الردى، فاحرصوا وفقكم الله على أن تستكثروا من الدعاء الصالح في ذلك المقام الرباني الذي تتشوق لرؤيته النفوس المؤمنة ، وانقلوا عنا لاخوانكم هناك الصورة المثلى لبلادكم التي دخلت – بفضل الله تعالى – مرحلة جديدة من البناء والنمو والانطلاق والاخذ باوثق اسباب الشورى والديموقراطية الاسلامية المبراة من شوائب الهوى والتبعية ، والقائمة على اساس يرضي الله ورسوله والمؤمنين .

عليكم أن تكونوا سفراء لبلادكم في تلك البقاع المقدسة ، تبسطون لاخوانكم في الدين الحقائق وتطلعونهم على الانتصارات المتعاقبة ، التي تحققت في شتى المجالات .

حجاجنا الميامين :

هنيئا لكم بما هديتم اليه من قصد نبيل ، ووفقتم اليه من سعي جميل ، والله المسؤول ان يصلح أحوالكم ، ويكتب السلامة لكم في ظعنكم واقامتكم ، وفي متنقلكم ومثواكم ، ويعيدكم بمنه وكرمه الى اهليكم ووطنكم ، وقد تحققت لكم الغايات وحصلت المقاصد والرغبات ، وفزتم بالاجر الجزيل والثواب العميم ، آمين .

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد ان هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، انك انت الوهاب »

« ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الابرار ، ربنا آتنا ما وعدتنا على رسلك ، ولا تخزنا يوم القيامة ، انك لا تخلف الميعاد » .

صدق الله العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله .

وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية تستقبل وزيرها الجديد

الدكتور احمد رمزي

عين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله الدكتور السيد احمد رمزي وزيرا للاوقاف

السيد حسن لوقاش كاتب الدولة فى الاوقاف والشؤون الاسلامية سابقا .



والشؤون الاسلامية فى التشكيلة الحكومية الجديدة خلفا للسيد الداي ولد سيدي بابا الذي تقلد هذا المنصب نحو ثلاث سنوات ونصف السنة الى جانب

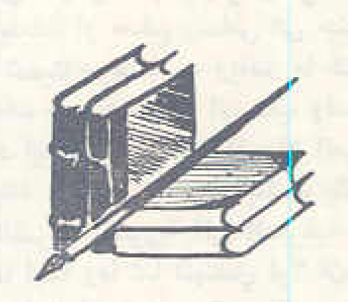
وقد اقيم حفل بقاعة المحاضرات بالوزارة سلم خلاله الوزير السابق السلطات الى الدكتور احمد رمزي الذي القى كلمة قيمة عبر فيها عن اعتزازه

بالثقة الغالية التي وضعهـا فى شخصه صاحـب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله . وتحدث عن دور الوزارة فى نشر الوعي الاسلامي وصيانـة اوقاف المسلمين وتكوين اجيال مؤمنـة باسلامهـا وتراثهـا .

كما القى السيد الداي ولد سيدي بابا بالمناسبة كلمة قدم فيها السيد الوزير منوها بخصاله وتكوينه العلمي والثقافي الواسع واخلاصه للعرش العلـوي المجيـد .

الدكتـور أحمـد رمـزي :

— من مواليد الدار البيضاء سنة 1939 .
— تابع دراسته الابتدائية والثانوية بنفس المدينة، والتحق بكلية الطب بمدينة مونبيليي بفرنسا ، حيث نال شهادة الدكتوراة فى الجراحة العامة.
— من 1963 الى 1967 ، تقلد منصـب مديـر مستشفى بمراكش .
— من 1969 الى 1972 شغل منصب الطبيـب الرئيسي لعمالة اكادير .
— من 25 ابريل 1974 الى 14 مارس 1975 تولى وزارة الصحـة .
— من 28 ابريل 1975 الى 16 دجنبـر 1976 ، عمل سفيرا لصاحب الجلالة بالعراق .
— يجمع بين الدراسات التخصصية العليـا فى الجراحة العامـة ، وبين الثقافـة العربيـة الاسلامية المعمقـة .
— عضو فى البرلمان عن مدينة اكادير .



في الذكرى الثانية للمسيرة الخضراء :

●● لو لم تكن المسيرة لما تحررت الصحراء . ولو لم تكن منطلقات المسيرة اسلامية في الجوهر والصميم لما كانت لتنجح هذا النجاح الباهر ، لان هذه الجماهير المحتشدة المندفعة الزاحفة بلا مقابل مادي او مردود مضمون لم تتحرك بشعار غير شعار الاسلام ، ولم تستجب لنداء سوى نداء القرءان ولم تكن لتخرج من بيوتها لو لم يكن صاحب القرار جلالة الملك الحسن الثاني ...

● عاملان اساسيان دفعا بالمسيرة الى الامام واوقدا في صفوفها شعلة الحماس والايمان والتحفز والاستعداد لمواجهة أسوأ الاحتمالات ..

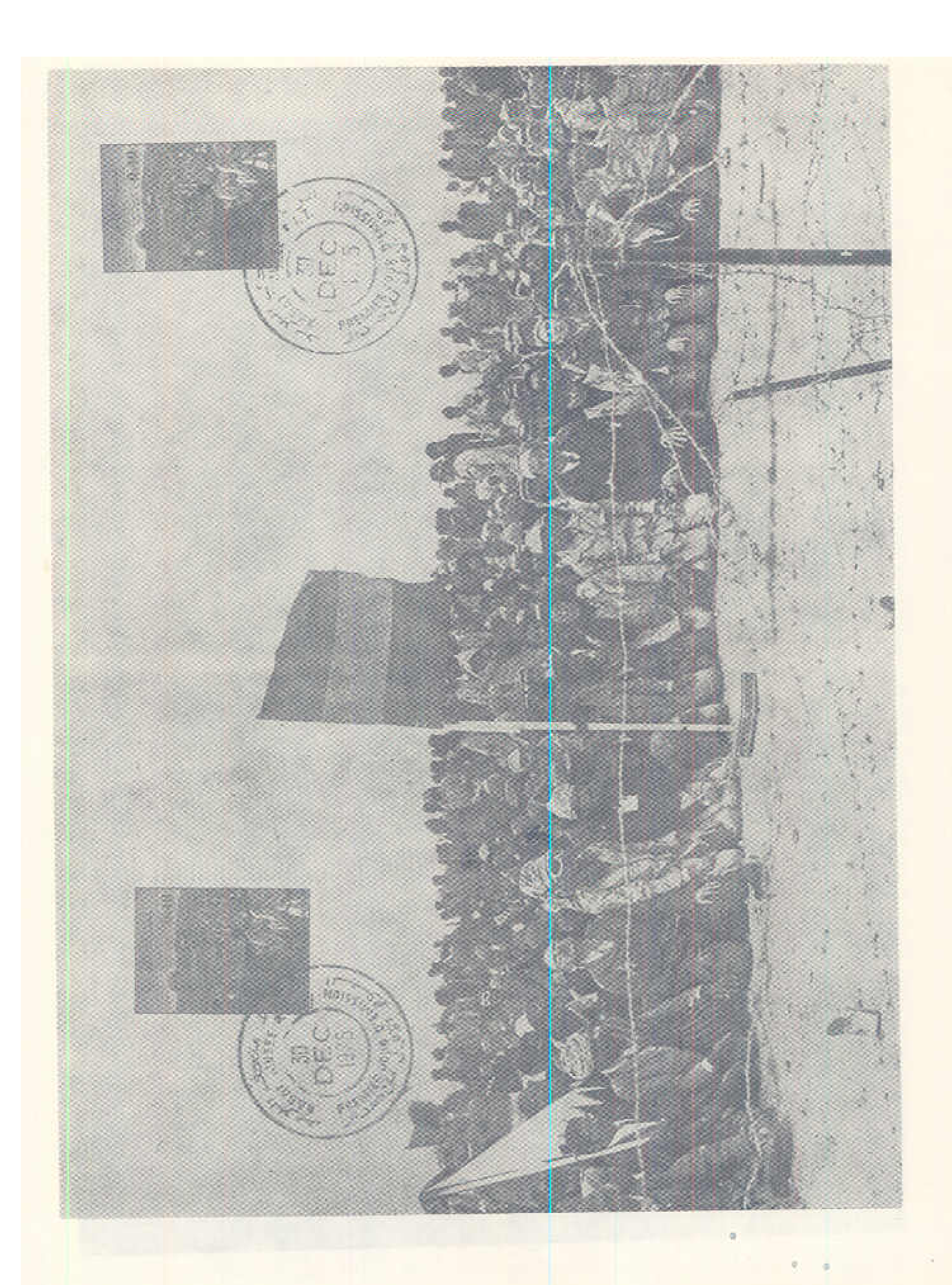
● العامل الاول الاسلام ، لانه اساس الكيان المغربي وهو عقيدة وتراث وحضارة هذا الشعب .

● العامل الثاني العرش . وهو نظام الحكم في المغرب الذي لم يعرف نظاما للحكم غير العرش . وهو نظام لم يفرض فرضا على هذا الشعب : لم يفرضه مغامر طائش بدبابة او مدفع رشاش في جنح الليل ... ولكنه خاصية من خصائص شعبنا ووطننا .. وبقدر ما نلتفت حوالينا عبر الحدود فتفزعنا حمامات الدم وحملات الارهاب واساليب قهر ارادة الانسان بقدر ما نزداد ايمانا ويقينا ووثوقا بهذا العرش الرائد القائد ... وبقدر ما ترتفع الاصوات في دول شقيقة ابتليت بالازمات السياسية تدعو للانتقال مما يسمى بالشرعية الثورية الى الشرعية الدستورية ... بقدر ما نحمد ربنا ان هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله الى هذه الشرعية الدستورية منذ الفاتح الاكبر رضي الله عنه ...

●● هذه روح المسيرة ... تسري في كيان المغرب ... ورسالة الفكر المغربي ان ينهض بعبء التبشير بمبادىء المسيرة واخلاقها وايجابياتها وفضائلها ... وهي مبادىء السلام والمحبة والتكافل الاجتماعي والتعاضد والتآخي .. وهي مبادىء كما نرى تتعارض على طول الخط مع مذاهب الحقد والكراهية والدمار الاجتماعي ...

● فلتكن رسالة « دعوة الحق » ـ اذن ـ مستلهمة من روح المسيرة .. بل لتكن هذه المجلة مسيرة فكرية مستمرة نحو الحق والصدق والعقل .

عبد القادر الادريسي

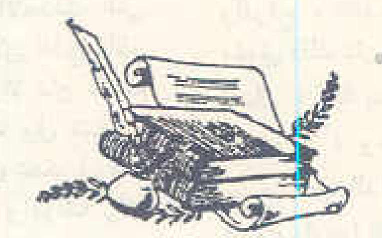






دراســات اســلاميــة

- الرد القرآني على كتيب هل يمكــن الاعتقــاد بالقــرآن ؟
- شجاعــة النبــي (ص)
- أثر تطبيق الاقتصاد الاسلامي فى المجتمع
- أثر الرسالة النبوية فى الحضارة الانسانيــة
- وجوب تطبيق الشريعة الاسلاميــة فى كــل زمــان ومكــان
- نظرية الاصلاح الاجتماعي عند تاج الدين السبكي



- 10 -

الرّد القرآني

على كتيب : هل يُمكن الاعتقاد بالقرآن ؟

للأستاذ عبد الله كنون

عيد المولد :

بعد عيد الاضحى تعرض الكاتب للمولد النبوي الشريف ، فقال : « يحتفل المسلمون بعيد المولد فى الشهر القمري ، ربيع الاول ، وهو عيد يندرج فى التاريخ القصصى لميلاد النبى محمد ، وكان تحديده على سبيل التحكم ، فى وقت متأخر جدا عن الحوادث التى بنى عليها . واحتفل به قديما فى اول يوم اثنين من ربيع الاول » وعلى هذه الفقرات عدة مآخذ ، اولها انه يجعل هذا العيد مندرجا فى التاريخ القصصى لميلاد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعنى ذلك انه لا اساس له ، لان المولد النبوي من اصله لا يثبت تاريخيا ، وانما هو من جملة القصص التى تحكى ويتحدث بها وليس لها حقيقة ولا وجود فى الواقع . وقصده هو نفى وجوده صلى الله عليه وسلم بالمرة وبالاحرى انكار مولده الشريف كما سيصرح بذلك فيما ياتى له . وثانيها قوله أن تحديد تاريخ المولد كان على سبيل التحكم بناء على تأخره عن الاحداث التى صاحبت المولد ، هو مغالطة مفضوحة ، لان الذي تأخر هو الاحتفال بالمولد لا تحديد تاريخه ، والا فان تاريخ ميلاده عليه الصلاة والسلام عام الفيل ، وفى شهر ربيع الاول منه ، لا يختلف فيه اثنان ؟ فاي تحكم فى هذا الامر الذي هو اجماع لا خلاف عليه ؟ والمؤلف راى كلام الناس فى ان عيد المولد والاحتفال به ، انما احدث فى القرون المتاخرة ، فحوله الى تاريخ المولد نفسه ، مغالطة منه للقاريء ، واستغلالا له فى تأييد زعمه ان المولد الشريف انما هو نوع من التاريخ القصصى للنبى صلى الله عليه وسلم . وثالثها دعواه انه احتفل بالمولد قديما فى اول يوم اثنين من ربيع الاول هى مناقضة لما قاله قبل من أنه انما وقع تحديد تاريخه فى وقت متأخر ، فاذا كان قد احتفل به قديما ، فقد بطل انه لم يحدد تاريخه الا مؤخرا ، ثم قوله ان ذلك كان فى اول يوم اثنين من ربيع الاول ، هو مما يدل على سوء فهمه للنصوص التاريخية ، فقد قرأ أن ولادته صلى الله عليه وسلم كانت يوم الاثنين ليلة الثانى عشر من ربيع الاول على المشهور ، فجعلها يوم أول اثنين من الشهر المذكور ، وهكذا كلام هذا الكاتب ، اما تحريف عن قصد وسوء نية ، واما عدم فهم وقلة ادراك .

ثم تابع كلامه بقوله : « ان الوعاظ المسلمين ينظمون الصلوات فى ايام مختلفة من هذا الشهر احتفالا بمولد الرسول ، وبعض العلماء يزورون المومنين فى بيوتهم ويقومون بالصلاة التى تصحبها احتفالات وافراح ، تكلف المومنين نفقات واسرافا غير معقول ، وفوق ذلك فان صاحب الدار يدفع للعالم مبلغا كبيرا من المال ، كما يدفع مبالغ اخرى لمن حضر الاحتفال من المدعوين ، وهؤلاء بدورهم يدفعون للعالم مما اخذوه من صاحب الدار . الامر الذي يخلق عجزا فى ميزانية رب البيت ولربما اتى على مصروفه الشهري بكامله ، فتبقى عائلته فى ضائقة لا تجد ما تسد به حاجتها . ولا يخفى ما فى هذا التبذير والنفقات المرهقة من التاثير على

العمل ونتيجته . وبذلك تكون هذه الاحتفالات والاعياد الدينية عملا مضادا لبناء الشيوعية » .

ان هذا الكلام على طوله فارغ فراغ عقل كاتبه من اي مضمون يستحق الاهتمام ، ومع ذلك فعلينا ان نتتبعه لابطاله جملة جملة ، لانه وهو دعاية سخيفة للشيوعية ، ربما يجد من بسطاء العقول من يتقبله بدون تفكير ولا تأمل .

فقوله ان الوعاظ المسلمين ينظمون الصلوات فى شهر المولد ، ان كان يريد به الصلاة المعروفة فى الاسلام ، فهو كذب مردود عليه ، لانه ليس هناك صلاة مخصوصة بهذا الشهر ولا غيره ، عدا صلوات التراويح فى رمضان ، وباقى الشهور الصلوات فيها واحدة ، فريضة كانت او نفلا . وان كان يريد به الصلاة بمعنى الدعاء ، وهى La prière بالمفهوم الاجنبى فانه كذلك امر مستبعد هنا ، لان ما يقع فى الاحتفال بالمولد هو دراسة سيرته صلى الله عليه وسلم وقراءة قصة المولد ، وهى غير الدعاء ، ومثل هذا يقال فيما نسبه للعلماء الذين يزورون بيوت المومنين من قيامهم بالصلاة فى احتفالات المولد .

اما ما زعمه من ان هذه الاحتفالات تكلف المومنين نفقات باهضة تاتى على ميزانيتهم الشهرية ، وانهم يعطون للعالم مبلغا كبيرا من المال ، وكذلك للمشاركين فى الاحتفال الذين يعطون بدورهم ما استفادوه من صاحب البيت للعالم الذي يدير الاحتفال ، فانه من تحريف هذا الكاتب وتهويله وتشنيعه الذي يريد به التاثير على قارئه وحمله على استنكار الاحتفال بالمولد النبوي ، والحال ان الامر اكثر بساطة مما ذكر ، وهو يحمل فى طياته صورة للحياة الضنكة التى يعيشها المسلمون فى الاتحاد السوفياتى .

ان هؤلاء المبتلين بالحكم الالحادي الكافر بكل دين ، يعبرون باحتفالاتهم الدينية ، ومنها الاحتفال بالمولد الشريف ، عن تعلقهم بدينهم ومعتقدهم وتشبثهم بالحياة الروحية التى يحاول الحكام الماديون ان يبعدوهم عنها بكل وسيلة ، وهذا ما يغيظ الكاتب وكل شيوعى متحمس للمذهب الماركسى اللينينى ، فيجعله يتقول على المسلمين وعلمائهم ما ليس له اصل ويرميهم بكل تهمة باطلة . قصد تجريحهم وتسويىء سمعتهم والطعن فى الدين عموما والاسلام خصوصا .

واما ما يتعلق بالنفقات الباهضة المدعاة من الكاتب فانها مبالغة منه ومجازفة لا تجوز الا على من يجهل الحالة المادية للمواطن السوفياتى ، والفرد المسلم بالخصوص الذي يعيش تحت الحكم الشيوعى وهل ابقى هذا الحكم لاحد ما يتوسع به فى النفقة ويجعله يبذر ويسرف ويعطى للعالم المبالغ المالية الكبيرة ، وللمدعوين الذين يحضرون الاحتفال فيتبرعون هم ايضا للعالم بما اعطاهم اياه صاحب الدار ، وهم من يقولون بلسان حالهم : اعلى احوج منا ؟ !

اما ان يصل الحال الى استهلاك ميزانية الشهر كلها فى هذا الاحتفال وبقاء العائلة على حالة لا تجد ما تسد به حاجتها ، فهذا دليل على ضآلة هذه الميزانية وكونها لا تسمن ولا تغنى من جوع ! . .

وقد حضرنا فى احتفالات من هذا القبيل ببلد شيوعى هو فى الجملة اوسع حالا واقل مضايقة من بلاد الكاتب ، فكان ما يقدم للحاضرين هو كأس من الحلو اي الماء المجعول فيه قليل من السكر ، وكعكة مصنوعة من الدقيق الساذج فقط لا غير ، فاين هو هذا الاسراف الذي يؤثر على العمل ويضاد بناء المجتمع الشيوعى ؟ .

عيد رجب :

هكذا يعبر المؤلف عن حادث الاسراء والمعراج الذي يحتفل به المسلمون فى رجب ، وهو تعبير لا يعرفه المسلمون اطلاقا ، فليس عندهم عيد يعرف بعيد رجب ، بل ان الاكثرية المطلقة من المسلمين لا تستسيغ حتى تعبير موسم ، ومدلوله اقل بكثير من مدلول عيد ، عند احياء ذكرى الاسراء والمعراج ، فالمؤلف يتكلم عن اشياء معينة ومعروفة ، ولكنه يسميها بغير اسمها تعصبا منه وتنطعا ليتأتى له الكلام عليها بحسب هواه وفى ذلك يقول : « يحتفل المسلمون ايضا بعيد رجب ، او المعراج الذي يعنى صعود محمد الى السماء السابعة ليكلم الله ، والقصة تقول ان محمدا ركب فى هذه الرحلة حصانا غريبا يسمى البراق فمر به على اسرائيل ، وكلم الله بالعربية فى موضوع دين جديد ثم رجع الى الارض فى برهة قصيرة ؟ والمسلمون الى اليوم يتقبلون هذه الخرافة كانها حقيقة واقعة » وهذا الكلام ينقصه التحرير بل الصدق ، فاما عن قوله عيد رجب فقد بينا ما فيه . واما عن كون المعراج هو صعود محمد صلى الله عليه وسلم الى السماء السابعة فان فيه مجاوزة السموات الست التى قبل السابعة وقد كان العروج اليها واحدة فواحدة بحسب ترتيبها الطبيعى حتى وصل الى السابعة ، وليس كما يفهم

كلامه انه كان راسا الى السماء السابعة وقد اغفل الاشارة الى الاسراء وهو الرحلة الى بيت المقدس قبل العروج الى السماء ، ولعله كان يلمح اليه بقوله فمر به على اسرائيل ، والمراد المقدس عاصمة فلسطين اما اسرائيل فلم يكن لها وجود حينئذ ، وانما اقحمها الكاتب هنا تعاطفا مع الصهيونية العالمية التي هـي والدة الشيوعيـة .

وأما أن الرسول كلم الله عز وجل باللغة العربية وسياق الكاتب له مساق الاستغراب فلعله كان يريـد أن تقع المكالمة باللغة الروسية ، وبذلك يـزول الاستغراب ، ولكن من المؤسف ان الروسية وقتئذ لم يكن لها وجود أو أن تكوينها كلغة لم يتم بعد ! .

وقوله ان الكلام كان في موضوع دين جديد ، يدل على جهل المؤلف بوقائع القصة وبتاريخ الاسلام من اصله ، فان هذا الدين كان قد تقرر ، ومر على قيام دعوته اثنتا عشرة سنة . وكلام المؤلف يعطي ان بدء تشريعه كان في المعراج ، وهو خطأ فادح ، بل ربما افهم انه دين ينسخ الاسلام نفسه ، وذلك لما في عبارته من قصور . ومعلوم أن الامر الذي شرع في المعراج هو الصلاة لا غير ، وهو امر لا يصح أن يعبر عنه بأنه دين جديد ! . . هذا ما يرد على وصف الكاتب لقصة المعراج من الاخطاء ، وأما رأيه فيه فقد اجمله في تعبيره عنه بأنه خرافة وزاده تأكيدا بقوله : « كل سوفياتي يعلم انه لا توجد قوة فوق الطبيعة في السماء وأن البراق لم يوجد أصلا ، وأن العقل البشري المحيط بجميع جوانب الطبيعة ، وصل الى معرفة جميع أسرار السماء » يعني فلم يجد هناك ما يدل على وقوع حادث المعراج كما يقول المسلمون ! . .

ما أسخف عقل هذا الكاتب واضعف حججه التي تكون عليه لا له ! فمن من الاغبياء في العالم يقال له ان السوفيات لا يسلمون بهذا الامر اي امر كان فيعتبر ذلك حجة على انتفائه ؟ وما السوفيات الا مجلس العمال الحاكم في روسيا ، وان توسع في اطلاقه على ما يشمل اتحاد الجمهوريات في هذه البلاد . ومـن المعلوم ان مجلس العمال هذا يتكون من اقطـاب الشيوعية في روسيا ، وهم بحكم شيوعيتهم لا يقرون بوجود الاله ويكفرون بكل دين ، فلا يصح أن يكونوا حجة على ما يسمى بالاتحاد السوفياتي نفسه الـذي لا يمثل الا نحو عشرة في المائة من سكانه فأحرى على سكان العالم مسلمين وغير مسلمين ! . . ومن القواعد المقررة عندنا نحن المسلمين أن الحق لا يعرف بالرجال

والقرآن الذي يهاجمـه محامي الشيوعية يقـول : (هاتوا برهانكم) ويعيب على من يقولون : (انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون) فكيف يحتج علينا بمجلس السوفيات في معرض نقد القرآن وما جاء به من الايات البينات ؟ وهذا مع تسليم ما زعمه من أن كل سوفياتي يعرف ان ليس هناك قوة فوق الطبيعة ، فان هذه الكلية تقتضي ان كل سوفياتي عالم من علماء الطبيعة وانه اثبت المقولة المزعومة ، ودون ذلـك خـرط القتـاد .

كما ان قوله ان العقل البشري وصل الى معرفة اسرار السماء هو من ارسال الكلام على عواهنه ، بل هو بكلام العامة أشبه ، ولا غرو فقد برهن لنا هذا المؤلف اكثر من مرة على أنه عامي ساذج ، ويرحم اللـه القائـل :

علـوم الارض لم تصلـوا اليهـا
فكيـف بكم الـى علم السمـاء ؟

ثم نسأل حضرته ماذا يريد بالسماء ؟ ان كانت عنده هي المجال الفضائي فانه باعتراف علماء الفضاء انفسهم ما زال لم يكشف لهم عن بعض اسراره بله جميعها . ولذلك ما تزال الدراسات متتابعة والاقمار الصناعية والمراكب الفضائية ترود جوانب الفـراغ وتأتي بقليل من المعلومات عن هذا الكون الفسيح ، وان كان يريد السماء بالمعنى الغيبي الذي تحدثت بـه الاديان السماوية ، فان المسكين يكون قد اخطأ خطأ فادحا لا يشبهه الا خطأ كاكارين في حسبانه ما وصـل اليه من أجواز الفضاء هو السماء التي هي من عالم الملكوت ، وقال كلمته الرعناء التي استنكرها كل من سمع بها من العقـلاء ! . .

وارى من المناسب ايراد الابيات الرجزية التي قلتها عندما صدرت تلك الكلمة المظلمة من رائد الفضاء السوفياتي وهي بعنوان : زلة كاكارين ، ونصها :

وقـال رائد الفضـا مـن جهلـه
مـا ان رأيـت الله فـي السماء

اي سمـاء رادها ؟ وهـل درى
ان السمـا ليست مـن الفضـاء ؟

وهـل درى بأنـه سبحانـه
مـا ان يرى بهيكـل الفنـاء ؟

قـال لموسـى الطهر : لن ترانـى
فكيـف بالحصـاد والبنـاء ؟

وهـل درى أن السماء لـم تكـن
قـط مقـر الالـه ذي السناء ؟

فاللـه فوق عرشـه قـد استوى
وايـن عرشـه من الاجـواء ؟

وقـد نهـى نبينـا محمـد
فيمـا روى عنـه ذوو الانبـاء

عن المفاضلـة بيـن مـن رقـى
الـى السمـآ ومن هـوى فى الماء

فان ربنـا تعالـى مغنـا
بعلمـه المحيـط بالاشيـاء

فى كـل مـا ايـن نكـون فيـه
وكـل مـا آن مـن الانـاء

يـا زلـة مـا ان لهـا اقالـة
وهـل لـداء الجهـل مـن دواء

فقسمـا لو ان (لايكـا) نطقـت
لمـا اتـت بهـذه العـوراء

ويقفز الكاتب بعد هذه الاحكام الاعتباطية الـى ما هو اكثر تهافتا واشد مخرقة فيقول : « العلم لا يثبت وجود النبى محمد ، ويرفض جميع الروايات المنسوبة اليه ، واحيانا المسلمون انفسهم يسخرون من هـذه الخرافة » ويستدل على قوله هذا بحكاية ينسبها الى من سماه (على اكبر) من اهل سمرقند ، وهى ان مسلمين احدهما يسمى محمد وثانيهما احمد ، خرجا فى رحلة لطلب الرزق وان احدهما كان له حمار فنفق فدفنه ، واقام على محل دفنه مشهدا فصار الناس يزورونه ويقدمون له القرابين والهدايا ، وكان ذلـك فى صحراء العرب وفى غياب رفيقه عنه . فلما رجع رفيقه وساله عن صاحب القبر قال له انه لا يوجد به الا عظام مركوبه صاحب الاذنين الطويلتين ولكنه يقول للناس الذين يزورونه : انه قبر أشرف رجل ، وهـو محمد بن عبد الله . وقد آمن الناس بهذه الخرافـة وصاروا يتقربون الى القبر ويبنون المنازل حوله ، وهكذا وجدت البلدة المسماة بالمدينة والقبر المزعوم انه قبر محمـد ! . . .

ان المرء ليحار فى شان هذا المعتوه كيف اصبح سفير بلاده ، وهى ما هى علما وتقدما وحضـارة ؟ وكيف سولت له نفسـه ان يكون من رجال القلم والتاليف وهو بهذه العقلية السخيفة التى يتحاشى عنها اجهـل الجهلة واغبى الاغبياء ؟ ! ولئن كانت هذه هى التربية التى يتلقاها الشيوعيون فى الاتحاد السوفياتـى والمعلومات التى يلقنونها عن رجال التاريخ وتاريخ الاديان والحضارات والشعوب ، فاننا لا نحجم عن القول بان هذا اعظم ظلم اجتماعى بل اكبر جناية على العقل البشري تمارس فى العصر الحاضر ، ولا تشبهها فاشية ولا نازية ولا صهيونية ، لان هذه وان بلغت قمة التعصب والعنصرية واحتقار الغير فانها لم تبلغ بها العجرفة الى انكار واقع التاريخ والمتواتر من الاخبار والمعلومات القطعية ، ولولا اننا نعرف الاتحـاد السوفياتى ولنا فيه اصدقاء من العلماء والمؤرخين لا يقرون هذا الهراء ، لساء ظننا به لمثل السوء الذي يعطيه هذا الامعة عنـه !

وليت شعري ما هو هذا العلم الذي ينكر وجود النبى محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ان كان هو العلم الطبيعى المعبر عنه بالسيانس كما جاء فى كلام الكاتب La Seince فليس ذلك من موضوعه علـى حسب ما بيناه فى فصل كيف خلق الله العالم ، وان كان هو علم السير والتاريخ وتاريخ الاديان ، وهـو الذي يرجع اليه فى هذا الموضوع فان آلاف التواريـخ التى وضعت بمختلف اللغات قديما وحديثا تتحدث عن وجود النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ومولـده وحياته قبل البعثة ، وبعثته ودعوته ، وما لاقاه مـن قومه من التكذيب والمقاومة ، واضطهاد اصحابـه وهجرتهم أولا الى الحبشة فرارا بدينهم من الفتنة ، ثم هجرته هو واصحابه الى المدينة وقيام المجتمع الاسلامى الاول فى هذه المدينة ، والاصطدام الاول الذي وقـع بينه وبين اهل مكة وهو المعروف بغزوة بدر ، والغزوات التى تلتها الى فتح مكة واكمال الدين الذي جاء به ، وقد كان ابتداؤه بنزول اول آية من القرآن عليه فـى غار حراء الى أن تكامل نزوله وحج عليه الصلاة والسلام حجة الوداع ، فى السنة التى توفى فيها وقد حضر معه فى هذه الحجة مائة واربعة وعشرون الفا من المومنين . . . كل هذا وغيره من التفاصيل المتعلقة بحياته الخاصة والعامة ، مما احتوته التواريخ الخاصة والعامة كذلك ، ما كتب منها من طرف المسلمين ومن طرف غيرهم ، وتناقله الناس فى مشارق الارض ومغاربها ، وقـد برز بالطباعة الكثير منه مما الف قبل ظهور الطباعة ، وبقى مثله او اكثر منه فى رفوف الخزائن العلمية ينتظر أن يرى النور فى يوم ما ، ولحد الان ولن يزال ذلـك

مستمرا الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، لا يفتأ الكتاب والمؤرخون مسلمين وأجانب يؤلفون الكتب والتواريخ المختصرة والمسهبة عن حياته صلى الله عليه وسلم تمجيدا وتنويها ، وربما نقدا وتجريحا ، ومع ذلك فلم يقل أحد منهم انه صلى الله عليه وسلم لم يثبت وجوده تاريخيا ، ولا رفض ما ينسب اليه من اعمال واقوال ، وجهد فى سبيل تبليغ رسالته ، وتأسيس الدولة الاسلامية ، واثره فى خروج العرب من جزيرتهم وفتح اقطار العالم وانشاء الحضارة العربية التى بذت جميع الحضارات التى كانت قبلها ، ومنها انبثقت الحضارة الغربية الراهنة .

بل ان المؤرخين اجمعوا على انه لم يبلغنا عن نبى من الانبياء من المعلومات ما بلغنا عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم وان حياته منذ نشاته الى وفاته معروفة بالتواتر للجميع ، ولا كذلك حياة المسيح ولا حياة موسى عليهما السلام ، وهما اكثر الانبياء شهرة واتباعا بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، فاننا لا نعرف عنهما الا قليلا وقليلا جدا ؟ فأين ذهب بعلم مؤلف كتاب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ومعرفته وثقافته العامة التى اهلته لان يكون سفيرا لبلاده ، وهو فى الحقيقة سبة عليها ووصمة فى ديبلوماسيتها ومثل يضرب فى الجهالة والطيش وقلة الحياء ؟ ! . .

ويطول بنا الكلام لو اردنا ان ننقل كلام المؤرخين وكتاب التراجم فى هذا الصدد ، فلنقتصر على كلمة واحدة من آخر ما وقفنا عليه ، وهى للمستشرق الانجليزي (باسورث سميث) قال : « ترى الشمس ها هنا بارزة بيضاء تنير اشعتها كل شيء ، وتصل الى كل شيء لا شك ان فى الوجود شخصيات لا نعلم عنها شيئا ، ولا نتبين حقيقتها ابدا ، او تبقى منها امور مجهولة ، بيد ان التاريخ الخارجى لمحمد (صلى الله عليه وسلم) نعلم جميع تفاصيله من نشاته الى شبابه وعلاقته بالناس وروابطه وعاداته ، ونعلم اول تفكيره وتطوره ، وارتقائه التدريجى » الى ان يقول : « وعندنا كتابه (القرآن) لا مثيل له فى حقيقته وفى كونه محفوظا مصونا ، وانه لم يشك احد فى قيامه على اساس الصدق شكا يعتد بـه ، وهو عندنا ممثل لروح عصره ومرآة لبيئته » (1) .

ثم نقول ان الحكاية التى نسبها لعلى اكبر الذي زعم انه من اهل سمرقند هى حكاية متداولة معروفة فى بلاد العالم الاسلامى لكنها تساق مساق النقد والتذكير والايقاظ لعباد القبور والمتعلقين بها والمستغلين لها ، وهم كثير فى كل الشعوب ، وفى الشعوب النصرانية اكثر ، ومنها هذا البلاء لجهلة المسلمين ولكنها فى السياق الصحيح تقول ان الحمار الذي نفق كان للرفيقين معا ، وانهما دفناه وذهبا لحال سبيلهما ، وبعد امد طويل مرا بنفس المكان الذي دفناه فيه فوجدا عليه مشهدا وان الناس يزورونه ويتبركون به ، فعجبا من جهلهم وسخافتهم وبينا للناس ما هو ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر . . وهذا السياق لم يعجب المؤلف فحوره واضاف اليه ما ظن انه ينال به من الاسلام ونبى المسلمين ، فكان ذلك منتهى العباطة وغاية الجهل ، والدليل القاطع على ان الرجل مختل العقل سقيم الادراك ، اذ انكر المحسوسات ونفى المسلمات ، (ومن يهن الله فما لـه من مكـرم) .

واخيرا نسأله اذا كان هذان الشخصان مسلمين بحكم تسمية احدهما محمدا والاخر احمد ، فيكف أسلما قبل مبعث نبى الاسلام ؟ .

ويزيد هذا المؤلف امعانا فى الضلالة والجهل فيقول : « كيف يمكن ان نفكر فى حياة النبى محمد ، فى حين انه لا توجد حجة تاريخية مادية مكتوبة تدل على وجوده ، ومحمد نفسه لم يترك وراءه شيئا فى الموضوع » فاما قوله انه لا توجد حجة تاريخية على وجوده فهو وان كان اشبه شيء بالهذيان فقد اجبنا عنه آنفـا . . . ونزيد عليه ان كتابه صلى الله عليه وسلم لهرقل الذ يوجد الان فى حوزة ملك الاردن والذي خضع لتحليلات علمية دقيقة اثبتت صحته ، هو حجة مادية مكتوبة تقنع عراض القفا الذين لا يومنون الا بالمحسوسات امثال المؤلف ، واما ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يترك وراءه شيئا فى موضوع وجوده فنقول عليه بلى لقد ترك للاغبياء ما لم يستطيعون نفيه الا بمثل حكاية على اكبر التى كشفتهم وفضحتهم هم والذين اعتمدوهم كمدافعين عن ايديولوجيتهم ، وترك للعقلاء الكتاب الذي نوه بـه المستشرق سميث فى الكلمة التى نقلناها عنه قريبا ، وكفى بذلك تركة فى الموضوع .

ويلح السفير رحمانوف على انكار وجود النبى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول : « ان رجلا فى مثل

---

1) مجلة الجامعة الاسلامية ـــ العدد 2 السنة 9 .

عظمة محمد كيف لا يكون معروفا لمعاصريه من المؤرخين والكتاب والشعراء والنحات وبخاصة في بيزانطة وارمينيا ، بل وفي بلاد الخلافة العربية نفسها ، فان اكثر المؤرخين العرب والعلماء المسلمين وحفاظ القرآن ليس لديهم معلومات محددة عنه ، والمثل (الاوكراني) يقول من كان غير موجود ليس له وجود ، ولذلك فان ميلاد محمد لا يعرف لانه لم يوجد قــــط » .

ولسنا بحاجة الى تفنيد هذه الاقوال وتزييف ما فيها من ادعاءات وانما نقلناها لانها ربما تثير بعض الشبهة عند محدودي الادراك وضعاف العقول كالمؤلف فيما يتعلق بالنحات فنشير الى ان الاسلام جاء بتحريم الصور والتماثيل ، فمن تطبيق تعاليمه ان لا يكون النبي الذي جاء به موضع تجارب للمصورين والنحات الذين يمكن ان يكونوا في دار الاسلام ، واما بخصوص مؤرخي بيزنطة وارمينيا فقد يكفينا بالنسبة للاولى الكتاب النبوي الذي ارسله صلى الله عليه وسلم لهرقل كما أشرنا اليه من قبل ، فانه من عندها خرج ، وفي خزائن ملوكها كان محفوظا ، وبالنسبة للثانية فقد لا نبالغ اذا قلنا ان تاريخها القومي في زمن بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يصلنا ، ولعله لم يسجله أحد من أهلها بل ان كثيرا من شعوب المنطقة والبلاد الروسية نفسها ، لم تعرف لها تاريخا في هذه الفترة وما بعدها الى زمن الخلافة العباسية الا من طريق المؤرخين العرب ، فكيف تسجل هي تاريخ غيرها وتاريخ النبي صلى الله عليه وسلم بالذات ؟ .

أما قوله عن جهل تاريخه عليه السلام في بلاد الخلافة العربية ومن العلماء المسلمين وحفاظ القرآن ايضا ، فهو مما يبعث على الضحك من سذاجة هذا الكاتب او وقاحته باعتبار آخر ، لانكاره الاشياء الثابتة بالحس بل ما يقره هو من حيث لا يشعر ، فمجرد ذكره للخلافة هو اثبات لما ينكره ، لانها خلافة عنه صلى الله عليه وسلم ، بوجوده كانت ، وبقيام الخليفة مقامه في تسيير شؤون المسلمين سمي خليفة ، ولكن من اين لغليظ الفهم ادراك هذه المعاني ؟ . . .

وبعد أن ينفي الكاتب بناء على أوهامه وتخرصاته وجود النبي محمد صلى الله عليه وسلم متذرعا بذلك لابطال الاحتفال بالمولد الشريف وبذكرى الاسراء والمعراج لانهما لم يقعا ، ولم يثبت وجود صاحبهما تاريخيا ، يقول ان السوفيات الذين يبنون بلادهم من جديد ، ليسوا بحاجة الى هذه الاعياد والعادات الاجنبية عن المبادىء العلمية الماركسية ، والتي تعطل قيام المجتمع الشيوعي » .

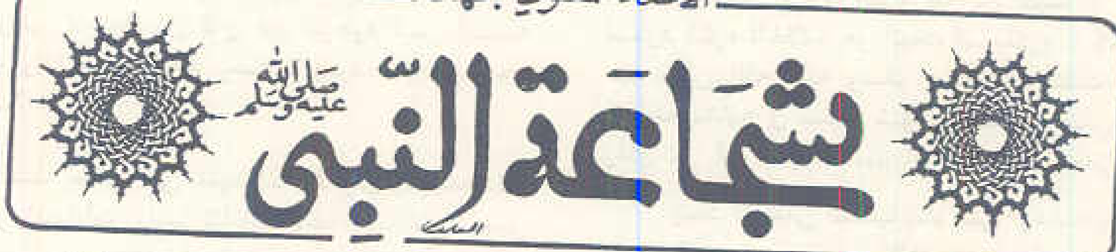
وهذا هو بيت القصيد عنده من هذا الفصل ، ولكن الغريب هو أن يعد الاعياد الاسلامية والتقاليد التي مرت عليها قرون وقرون في بلاد الاسلام اجنبية ، ومبادىء اليهودي ماركس التي فرضت على البلاد بالحديد والنار اصلية ومن صميم حياة الشعب ، وهي لا يعتنقها الا نحو 10 ٪ منه سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو سوى ذلك .

عبد الله كنون



الاسلام والنصر :

الاعداد المعنوي للجهاد



للواء الركن محمود شيت خطاب

— 1 —

ما احوج العرب والمسلمين اليوم ، الى الاقتداء بشجاعة الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام، والارض المقدسة والقدس الشريف والضفة الغربية وقطاع (غزة) وسيناء والهضبة السورية تئن تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلى ، وبلادهم من النيل الى الفرات مهددة بالتوسع الصهيونى الاستيطانى ؛ ليخاطبوا اسرائيل باللغة الوحيدة التى تفهمها وترضخ لها ، وليستعيدوا حقوقهم المغتصبة ويفرضوا السلام فى ارض السلام . . .

وسيرة النبى صلى الله عليه وسلم العطرة ، تقدم نماذج رائعة فذة ، تبرز بها شجاعة النبى صلى الله عليه وسلم فى أيام السلام والحرب على حد سواء . . .

كانت رجولته النادرة تملأ الاعين قدرا وجلالا ، وكان فى السلم (رجلا) يوحد من اجل الجهاد ، وكان فى الحرب (رجلا) يجاهد من اجل (التوحيد) ، وكانت حياته المباركة منذ مبعثه الى التحاقه بالرفيق الاعلى (توحيدا) من اجل (الجهاد) و (جهادا) من اجل (التوحيد) ، وكان من بعض آثار جهاده وتوحيده ، جمع شتات العرب فى شبه الجزيرة العربية كلها تحت لواء الاسلام . .

ولست بصدد ذكر أمثلة من شجاعته فى ايام السلام ، لاننى احب ان يقتصر حديثى على شجاعته فى ايام الحرب ، لان العرب والمسلمين يعانون فى هذه الايام العصيبة من حرب فرضت عليهم فرضا ، فهم احوج ما يكونون الى تدارس شجاعته صلى الله عليه وسلم العسكرية ، لتكون اسوتهم الحسنة فى حاضرهم ومستقبلهم ، وليقتفوا اعماله البطولية فى ميدان القتال . . .

ولكننى استأذن القراء بذكر مثال واحد دليلا على شجاعته فى ايام السلام ما قرأته فى السيرة النبوية العطرة الا وهتفت من صميم قلبى : ما أعظم شجاعتك يا رسول الله عليك افضل الصلاة وازكى السلام ! !

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه : « حضرتهم (1) ، وقد اجتمع اشرافهم يوما بالحجر (2) ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما راينا مثل ما صبرنا عليه من امر

---

1) يريد : حضرت قريشا .

2) الحجر : حجر الكعبة ، وهو ما تركته قريش فى بنائها من اساس ابراهيم عليه السلام ، وحجرت على المواضع ليعلم انه من الكعبة ، فسمى حجرا لذلك ، لكن فيه زيادة على ما فى البيت ، وكان ابن الزبير ادخله فى الكعبة حين بناها ، فلما هدم الحجاج بناءه رده على ما كان عليه فى الجاهلية (راجع معجم البلدان) .

هذا الرجل قط : سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا — لقد صبرنا منه على أمر عظيم . فبينما هم في ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت . فلما مر بهم غمزوه (3) ببعض القول ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم مضى ، فلما مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : أتسمعون يا معشر قريش ! أما والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بالذبح (4) ! . . فاخذت القوم كلمته ، حتى ما منهم رجل الا كانما على راسه طائر واقع ، حتى ان اشدهم فيه وصاة (5) قبل ذلك ليرفؤه (6) باحسن ما يجد من القول ، حتى انه ليقول : انصرف يا ابا القاسم ، فوالله ما كنت جهولا ! ! فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اذا كان الغد اجتمعوا في (الحجر) وانا معهم ، فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه ! فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا اليه وثبة رجل واحد ، واحاطوا به يقولون : انت الذي تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الللَ صلى الله عليه وسلم : نعم ، انا الذي اقول ذلك ! . . » (7) .

كان ذلك أيام ضعف المسلمين ، قبل الهجرة الاولى الى أرض الحبشة وقبل اسلام حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذا يدل على تحد شديد لقريش ، وعلى شجاعة مذهلة حقا . . .

— 2 —

ولكن ما نحتاج اليه اليوم ، هو التذكير بشجاعة النبي صلى الله عليه وسلم في ايام الحرب ، حتى تكون نبراسا للعرب والمسلمين قادة وجنودا وحكاما ومحكومين وحكومات وشعوبا . . .

ان من أهم صفات القائد بخاصة والجندي بعامة ، هي التحلي بالشجاعة الشخصية . . .

والقائد الذي لا يتحلى بالشجاعة لا ينتصر ابدا ، لان جنوده لا يثقون به ، ولانه لا يستطيع أن يكون مثالا شخصيا لرجاله في الاقدام والتضحية ، ولانه لا يخاطر بروحه فلا يخاطر اتباعه بارواحهم . . .

والقائد الشجاع يتبعه رجاله الى الموت ، والقائد الجبان يسبقه جنوده الى النجاة . . .

والشجاع يربي الشجعان ، وخصلة الشجاعة تنتقل منه الى اتباعه بالعدوى ، وفاقد الشيء لا يعطيه . . .

لقد برزت شجاعة الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام في غزواته كلها بشكل يبهر العقول والقلوب معا ، ويدعو الى أعظم الاعجاب والتقدير ...

ان (قراره) قبول خوض غزوة (بدر) الكبرى ، وهي اول غزوة خاضها المسلمون ، شجاعة نادرة فذة ، لان تعداد المسلمين يبلغ ثلث تعداد المشركين ، ولان المشركين كانوا متفوقين على المسلمين بالتسليح والقضايا الادارية . . .

فقد بلغت قوة المسلمين في (بدر) ثلاثمائة وخمسة رجال من المهاجرين والانصار (8) ، وبلغت قوة المشركين تسعمائة وخمسين رجلا . .

---

3) غمزوه : طعنوا فيه .
4) الذبح : مجاز عن الهلاك ، ومنه في حديث القضاء : (من تصدى للقضاء وتولاه فقد تعرض للذبح ، فليحذره) .
5) الوصاة : الوصية .
6) يرفؤه : يهدئه ويسكنه ويرفق به ويدعو له .
7) انظر التفاصيل في : سيرة ابن هشام (309/1 — 310) ، تحقيق مصطفى السقا ورفاقه ، القاهرة ، 1355 هـ .
8) كان المهاجرون اربعة وسبعين رجلا وسائرهم من الانصار . انظر طبقات ابن سعد 2 / 12 ، مع اختلاف طفيف في عددهم بالمصادر الاخرى . انظر جوامع السيرة لابن حزم 114 — 146 ، وسيرة ابن هشام 324/2 — 354 .

وكان مع المسلمين فرسان فقط وسبعون بعيرا ، وكان مع المشركين مائتا فرس يقودونها وعدد كبيـــر من الابل لركوبهم وحمل أمتعتهم . . .

وكان المسلمون فقراء يفتقرون الى الطعـــام ، وكان المشركون اغنياء ينحرون كل يوم تسعة مــن الابل او عشرة لطعامهم ، بينما يكتفى المسلمون غالبا بالتمر والسويق (9) . . لسد الرمق . .

وكان الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام يدرك كل الادراك خطر الاشتباك بالمشركين ، لان اندحار المسلمين فى هذه الغزوة الحاسمة قد يؤدي الى القضاء المبرم على مستقبل الاسلام ، لذلك ابتهل الى الله سبحانه وتعالى فى دعائه قبل نشوب القتال وفى اثنائه قائلا : (اللهم هذه قريش ، قد اتـــت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك . اللهم ، فنصرك الذي وعدتنى . اللهم ان تهلك هذه العصابة اليـــوم لا تعبـــد) . . .

وحين اشتد اوار القتال فى بدر ، نزل الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام بنفسه ليقود صفوف المسلمين ويباشر القتال ، فلم يكن احد من المسلمين اقرب منه الى العدو . قال على بن ابى طالب رضى الله عنه : « لما كان يوم (بدر) ، اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان اشد الناس باسا ، وما كان احد اقرب الى المشركين منه » (10) . . .

وقال الامام على رضى الله عنه : « انا كنا اذا اشتد الخطب (11) واحمرت الحدق (12) ، اتقينـــا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رايتنى يوم (بـــدر) ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليـــه وسلم وهو اقربنا الى العـــدو » (13) .

— 3 —

وكانت قوة المسلمين فى (أحـــد) تسعمائة وخمسين فارسا ، وكانت قوة المشركين ثلاثة آلاف راجل وفـــارس . . .

وقد أعد الرسول القائد عليه افضل الصـــلاة والسلام خطة تعبوية لخوض غـــزوة (أحـــد) ، قادت المسلمين الى النصر فى المرحلة الاولى مـــن المعركة ، حتى انهزم المشركون وتكبدوا خسائـــر فـــادحـــة . . .

ولكن (الرماة) الذين امرهم النبى صلى اللـــه عليه وسلم الا يبرحوا اماكنهم ولو راوه واصحابه يقتلون ، اختلفوا فيما بينهم ، فانطلق اكثرهم لجمـــع الغنائم من معسكر المشركين ظنا منهم بأن المعركة قد انتهت بنصر المسلمين . . .

وانتهز خالد بن الوليد رضى الله عنه هـــذه الفرصة ، فهاجم مواضع رماة المسلمين ، وضرب المسلمين من الخلف ، وطوقهم . فلما راى المشركون ذلك ، قاموا بهجوم مضاد على المسلمين ، فأصبـــح المسلمون مطوقين من كل جانب ، واصبح مصيرهم مهددا بالفنـــاء . . .

ولجا اكثر المسلمين الى جبل (احـــد) ، وثبـــت مع الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام اربعة عشر رجلا : سبعة من المهاجرين وسبعة مـــن الانصار (14) ، يقاتلون ليشقوا لهم طريقا من بـــين قوات المشركين التى اطبقت عليهم من كل جانب . واستطاع المشركون أن يصلوا قريبا من موضـــع الرسول صلى الله عليه وسلم فرماه احدهم بحجـــر اصاب انفه وكسر رباعيته (15) .

---

9) السويق : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير ، سمى بذلك لانسياقه فى الحلق ، جمعها : اسوقة .
10) انظر : دلائل النبوة للبيهقـــى 1 / 278 ، القاهـــرة ، 1389 .
11) الخطب : الحال والشأن ، وفى القرآن الكريم : (قال : فما خطبكم أيها المرسلون) ؟ ! . والامر الشديد يكثر فيه التخاطب جمعها : خطوب . وهنا يريد : الامر الشديد ، والخطر المحدق .
12) الحدق : جمع حدقة . والحدقة : الســـواد المستدير وسط العين . واحمرت الحدق : اشتد الخطر وتفاقم الامر ، حتى احمرت الحدق من جراء ذلك . وهذا التعبير : احمرت الحدق ، كناية عـــن تفاقم الخطر واشتداده .
13) أنظر الرسول القائد 431 .
14) طبقـــات ابن سعـــد 42/2 .
15) الرباعية : السن بين الثنية والناب ، وهـــى أربع : رباعيتان فى الفك الاعلى ، ورباعيتان فـــى الفـــك الاسفـــل .

وتمالك النبى صلى الله عليه وسلم نفسه، وسار مع البقية الباقية من اصحابه مقاتـــلا ، فاذا بـــه يقع فى حفرة حفرها ابو عامر ليقع فيها المسلمون ، فاسرع اليه على بن ابى طالب رضى الله عنه واخذ بيده . ورفعه طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه حتى استـــوى . . .

واخذ المشركون يديمون زخم هجومهم المضاد للقضاء على المسلمين وعلى النبى صلى الله عليـــه وسلم بالذات ، وصاح احدهم بأعلى صوته : (قتلت محمـــدا ..) ..

وقاد الرســول القائد صلوات الله وتسليمـــه عليه رجاله ، ورمى بنفسه عن قوسه ، حتى تحطمت القوس . . . وتساقط المسلمون حوله صرعى واحدا بعد الاخر ، حتى استطاعوا بقيادته الفذة شـــق طريقهم عبر صفوف المشركين ولجأوا الى رابيـــة مشرفة من روابـــى جبـــل (احـــد) . . .

وتركت هذه الشجاعة المذهلة اثرها فى قريش ، فتوقف زخم هجومها ، وذهبت محاولات قريش كافة للقضاء على النبى صلـــى اللـــه عليه وسلـــم ادراج الريـــــــاح . . .

وصدق الله العظيم : (ولقد صدقكم الله وعده ، اذ تحسونهم (17) باذنه ، حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعدما اراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الاخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنـــــين) (18) . . .

وعاد المشركون ادراجهم الى مكة ، وعـــــاد المسلمون الى المدينة ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم قرر القيام بحركة جريئة ترد الى المسلمين معنوياتهم ، وتدخل الى روع يهود والمنافقين الرهبة ، وتعيد الى المسلمين سلطانهم بالمدينة المنورة قويا كما كـــان . . .

لذلك خرج بأصحابه الذين شهدوا غــــزوة (احـــد) فقط ، فى اليوم الثانى من يوم (احـــد) لمطاردة المشركين . فلما وصل موضع (حمـــــراء الاسد) (18) ، جاءه من يخبره أن قريشا قـــررت السيـــر لــــــه . . .

وقرر الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام لقاء قريش ، وبقى ينتظرهم هناك ثلاثة ايام ، ولكن المشركين المنتصرين خافوا لقاءه وحرصوا علـــى الاحتفـــاظ بمكاسبـــهم . . .

ان شجاعة النبى صلى الله عليه وسلم فـــى (احـــد) تجل عن الوصف ، فقد استطاع ان يسيطر على الموقف الحربى تجاه تفوق ساحق للمشركين فى معركة يائسة الى ابعد الحدود ، ثم يعيد تنظيـــم رجاله ويعيد اليهم معنوياتهم ويصد هجمات مضـــادة للمشركين ، فيحيل الهزيمة النكراء الى نصر ، لانه اضطر قريشا الى اليأس من القضاء على المسلمين ، بعد أن كان فناء المسلمين امرا حتميا ، ثم اضطرهم الى الانسحاب من ساحة المعركة بعد اليأس مـــن ابـــادة المسلمين . . .

ولم يكتف بذلك ، بل خرج فى اليوم الثانـــى من المعركة ، لمطاردة المشركين ، حتى اضطرهم الى اتخاذ (الحيلـــة) بارسال معلومات كاذبة الـــى المسلمين حول اعتزامهم على اعادة الكرة علـــى المسلمين ، فلم يكترث الرسول صلى الله عليـــه وسلم بهذا التهديد والوعيد ، وانما اعد العدة لمجابهة المشركين ، وقرر لقاءهم مهما تكن الظـــــــروف والاحـــوال . . .

اننى لم اقرا فى تاريخ الحرب ، قائدا تميز بمثل هذه الشجاعة الخارقة ، ولعل موقف النبى صلى الله عليه وسلم فى (احـــد) هو من اعظم مواقفه العظيمة فى الحرب التى تدل على شجاعته التى لا تتكرر ابدا . . .

— 4 —

أ ــ وكان تعداد جيش المسلمين فى غـــزوة (الخندق) ثلاثة آلاف رجل ، وكان تعداد الاحزاب

---

16) تحسونهم : تستأصلونهم بالقتل . قال ابـــن هشام : الاستئصال . يقال : حسست الشىء : اي استأصلته بالسيف وغيره . انظر سيرة ابن هشـــام 66/3 .

17) الاية الكريمة من سورة آل عمران 3 : 152 .

18) حمراء الاسد : موضع على ثمانية اميال من المدينة ، على طريق المدينة ــ مكة . انظر التفاصيل فى معجم البلدان 337/3 .

عشرة آلاف مقاتل ، اربعة آلاف من قريش وستـة آلاف من سليم واسد وفزارة واشجع وغطفان . . .

وحاصر المشركون المدينة المنورة ، واشتـد القتال ، وكان رجحان كفة المشركين على المسلمين ظاهرا للعيان ، لذلك نكث يهود قريظة وانضموا الى المشركـين . . .

وتحرج موقف المسلمين كثيرا ، اذ اصبح الخطر يتهددهم من داخل المدينة بيهود ومن خارجهـا بالمشـركـين . . .

في ذلك الموقف العصيب ، الذي يفتت اصلب النفوس واشجعها ، والذي وصفه القرآن الكريـم وصفا ابلغ وصف وأصدق وصف . فقال تعالـى : (اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم ، واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون باللـه الظنونا . هنالك ابتلـى المؤمنون وزلزلوا زلـزالا شديدا . واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض : ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) (19) . واشهد انني لا اكاد اقرا هذه الاية بعد اربعة عشر قرنا مـن نزولها ، الا وتكاد اعصابي تتمزق ويتملكني الشعور بالخوف الشديد والاشفاق على المسلمين من الموقف الرهيب الذي عاشوه يومذاك وعلى راسهم النبـي صلى الله عليه وسلم في غزوة الاحزاب . . .

ومع ذلك ثبت الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام ثبات الجبال الشم الراسيات لا يتزعزع ولا يريم ، واثقا بالله معتمدا عليه معتدا به يقاتل كمـا يقاتل اصحابه ، ويحفر كما يحفرون (20) ، ويحرس كما يحرسون ، ويسهر كما يسهرون ، بل كان يستاثر بالخطر ويؤثرهم بالامن ، ثم يحرضهم على القتـال ويبشرهم بالنصر او الجنة ، وانما هي احـدى الحسنيين : انتصار او شهـادة . . .

ب) ويوم (حنين) كان خالد بن الوليد رضي الله عنه على مقدمة المسلمين في مائة فرس هـي خيل بني سليم عند التقدم من مكة المكرمة الى الطائف لقتال هوازن وثقيف الذين اجمعوا علـى حـروب المسلمـين (21) .

وكان مالك بن عوف النصري قائد المشركين قد عبأ رجاله في وادي (حنين) ليلا وأمرهم أن يحملوا على المسلمين حملة واحـدة . . .

وانحدر المسلمون في عماية الصبـح في وادي (حنين) على تعبية ، وهو واد من أودية (تهامة) اجوف حطـوط (22) ينحدر انحدارا .

وهاجم المشركون المسلمين من كل جانـب ، فانكشفت خيل بني سليم مولية وتبعهم اهل مكـة وتبعهم الناس منهزمين . . .

ولكن الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام ثبت وثبت معه نفر قليل من اصحابه واهل بيتـه لا يزيدون على العشرة رجـال (23) .

واخذ النبي صلى الله عليه وسلم ينادي الناس اذ يمرون به منهزمين : « اين ايها الناس ؟ اين ؟ . . . هلموا الى ! انا رسول الله ! انا محمد بن عبـد اللـه . . ! » . .

وتقدم عليه افضل الصلاة والسلام وهو راكب بغلته البيضاء يركضها نحو العدو وهو يقـول :

« انـا النبـي لا كـذب
انـا ابـن عبـد المطلـب »

وامر صلى الله عليه وسلم عمه العباس رضي الله عنه ان ينادي : « يا معشر الانصار ! يا اصحاب البيعـة يوم الحديبيـة » . . .

---

(19) الايات الكريمات مـن سورة الاحزاب 33 : 10 — 12 .
(20) عمل النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق كأي فرد من المسلمين ، بل كان المسلمون يستعينون به عندما تصادفهم بعض العقبات والصعاب في أثناء الحفر ، كظهور الصخور ، فيحضر هـو بنفسه لتفتيتهـا .
(21) انظر طبقات ابن سعد 149/1 ، والطبري 344/2 ، وسيرة ابن هشام 68/3 .
(22) تهامة : ما انخفض من ارض الحجاز . واجوف : متسع . وحطوط : منحـدر .
(23) هم : ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب والعباس عم النبي صلى الله عليـه وسلم وابو سفيان بن الحارث وابنه جعفر والفضل بن العباس وربيعة بن الحارث وأسامة بن زيد وايمن بن ام ايمن بن عبيد الذي قتل يومئـذ .

وكرر العباس النداء ، حتى تجاوبت أصداؤه فى جنبات الوادي . . . وسمع المهاجرون الانصار النداء ، فكافحوا ليبلغوا مصدر الصوت ، ورمى أكثرهم درعه وترك بعيره واستصحب معه سيفه وترسه فقط ، ليبلغ مصدر الصوت بسرعة . . .

واجتمع حول الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام نحو مائة مسلم وهم يتصايحون : « لبيك . . لبيك . . » فاستقبل بهم صلى الله عليه وسلم المشركين . .

واشتد القتال ، وتقدم الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام برجاله ، ففر المشركون . . . واستسلم كثير منهم أسرى ، فلما عاد المسلمون الذين هربوا وجدوا الكثيرين من المشركين أسرى مصفدين بالاغلال . . .

ولولا ثبات النبى صلى الله عليه وسلم ، لاصيب المسلمون بكارثة عسكرية ، ولصدق القائل حين راى انهزام المسلمين : « لا تنتهى هزيمتهم دون البحر » (24) . . .

ولكن شجاعة النبى صلى الله عليه وسلم غيرت الموقف من حال الى حال . . .

قال البراء بن عازب رضى الله عنه : « كنا اذا حمى البأس نتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الشجاع الذي يحاذي به » (25) . . .

وأخرج الشيخان واللفظ لمسلم عن أنس رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أشجع الناس . ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله راجعا وقد سبقهم الى الصوت ، وهو على فرس لابى طلحة رضى الله عنه عري ، فى عنقه السيف ، وهو يقول : « لم تراعوا . . لم تراعوا . . »

لقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام ، يقود رجالة من (الامام) ، يقول لهم : « اتبعوني . . . اتبعوني . . .

لذلك استحوذ بشجاعته واقدامه . . . بمثاله الشخصى الذي يضربه لرجاله فى الشجاعة والاقدام . . . ببذله وتضحيته واستئثاره بالاخطار وايثار أصحابه بالامن . . . استحوذ على (ثقة) رجاله ، فقادهم من نصر الى نصر ، ومن فتح الى فتح ، حتى شمل الاسلام أرجاء شبه الجزيرة العربية ، فوحد العرب تحت لواء الاسلام . . .

ذلك هو الدرس العظيم الذي يعلمه الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام لاتباعه المسلمين ولقومه العرب . . فى هذه الايام بالذات . .

فما أحوج العرب والمسلمين أن يتلقوا هذا الدرس ، عن سيد القادات وقائد السادات ، رجل الرجال وبطل الابطال ، امام المجاهدين وقدوة المؤمنين وخاتم النبيين . . .

---

(24) أنظر التفاصيل فى : الرسول القائد 357 — 361 ، وخالد بن الوليد المخزومى 80 — 82 .
(25) رواه البخاري .

● كتب الجاحظ الى رجل وعده : أما بعد فان شجرة وعدك قد اورقت ، فليكن ثمرها سالما من حوائج المطل ، والسلام .

وقال المهلب بن أبى صفرة القائد الاسلامي المشهور لبنيه : يا بني اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما ، فكفى بذلك تقاضيا . . .

أثر تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي في المجتمع

للدكتور علي عبد الواحد وافي

أقام الاسلام بنيان نظامه الاقتصادي على أربع دعائم يكمل بعضها بعضا وتعمل متضافرة على اقرار العدالة الاجتماعية وتحقيق التوازن الاقتصادي على امثل وجه ومن احسن طريق .

الدعامة الاولى : تتمثل فى اقرار الاسلام للملكية الفردية وحمايته لها ، وحمايته للعمل الانسانى وثمرات الجهود . ويرمى الاسلام من وراء هذه الدعامة الى تشجيع الحافز الفردي ، وفسح المجال أمام المنافسة والطموح والرغبة فى التفوق ، وتحقيق تكافؤ الفرص بين الناس فى هذه الميادين ، واعطاء كل مجتهد جزاء اجتهاده من ثمرات الحياة الدنيا ، ومسايرة الطبيعة الانسانية التى فطر الله الناس عليها ، لان حب التملك غريزة من غرائز بنى الانسان .

الدعامة الثانية : تتمثل فيما يدخله الاسلام على تصرف المالك من قيود وما يضعه على كاهله من أعباء وواجبات . فالاسلام لا يدع المالك حرا يتصرف فى ملكه كما يشاء وتشاء له اهواؤه لا فى حياته ولا بعد مماته ، بل يقيد تصرفه هذا بقيود كثيرة لتحقيق الصالح العام واتقاء الضرر والضرار . ولا يدع المالك حرا فى كسب ماله واستثماره من اي طريق شاء ، بل يحدد له الطرق السليمة التى يكسب منها ماله ويستثمره ، ويحظر عليه ما وراء ذلك من طريق الكسب والاستثمار ولا يكتفى الاسلام بتقييد حرية المالك فى تصرفه فى ملكه فى حياته وبعد مماته وبتقييد حريته فى كسب ماله واستثماره . بل انه ليضع كذلك على كاهله واجبات واعباء مالية كثيرة يؤديها للدولة وللمجتمع وللصالح العام وللفقراء والمساكين فى مقابل تمتعه بما بقى له من حقوق .

ويرمى الاسلام من وراء هذه الدعامة بجميع فروعها الى اقرار العدالة الاجتماعية وتحقيق التوازن الاقتصادي ، وتقليل الفروق المالية بين الطبقات والافراد ، وتقريب هؤلاء وأولئك بعضهم من بعض ، واتقاء تضخم الثروات وتجمعها فى أيد قليلة ، وتقليم اظافر رأس المال ، وتجريده من وسائل الطغيان والجبروت والسيطرة على شؤون الحياة ، وضمان حياة انسانية كريمة لافراد الطبقات الدنيا والطبقات الكادحة من الشعب .

الدعامة الثالثة : تتمثل فى الاسس العامة التى يقيم عليها الاسلام العلاقات الاقتصادية بين الناس فالاسلام لا يقيم هذه العلاقات على أسس نفعية مادية كما تفعل النظم الاخرى ، بل يقيمها على اسس انسانية خلقية يتحقق بفضلها التكافل والتعاون والتواد والتحاب والتراحم بين الناس بعضهم مع بعض ، والتواصى بالبر والخير والعدل والاحسان ، واحترام الشخصية الانسانية التى كرمها الله فينظر كل فرد الى غيره على انه غاية فى ذاته لا على انه وسيلة لجلب المنفعة، ويحب كل فرد لغيره ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه .

الدعامة الرابعة : تتمثل فى أن الاسلام لا ينظر الى المعاملات الاقتصادية على انها معاملات بين

الناس بعضهم مع بعض فحسب ، بل ينظر اليها كذلك على انها معاملات بين العبد وربه ، ولا يجعل ثواب من يسير على تعاليمه فى شؤون الاقتصاد مقصورا على ما عسى أن يناله من خير فى الدنيا بل يعده كذلك بأجر كبير فى الاخرة ، ولا يجعل عقاب من ينحرف عن تعاليمه فى شؤون الاقتصاد مقصورا على ما عسى ان يصيبه من ضرر فى الدنيا بل يتوعده كذلك بعذاب اليم فى الآخرة . وبذلك يضم الاسلام فى شؤون الاقتصاد الى الوازع الدنيوي وازعا آخر اقوى كثيرا واشد اثرا وهو الوازع الدينى الاخروي .

**

هذا ، وان نظرة مجملة فى هذه الدعائم لكافية فى الدلالة على سمو النظام الاقتصادي فى الاسلام وما يمتاز به عن النظم الاقتصادية المطبقة فى الوقت الحاضر .

فمن هذه النظرة المجملة يتبين لنا ان النظام الاقتصادي فى الاسلام ليس نظاما شيوعيا لانه يقر الملكية الفردية بجميع انواعها ويحميها ، على حين أن النظام الشيوعى لا يقر الملكية الفردية بحال، أو بعبارة ادق لا يقرها الا فى امور ليست ذات بال فى شؤون الانتاج .

ومن هذه النظرة المجملة يتبين لنا كذلك أن النظام الاقتصادى فى الاسلام يختلف اختلافا جوهريا عن النظم الاشتراكية المطبقة فى الوقت الحاضر ، وذلك بما تتضمنه الدعامتان (الثالثة والرابعة) السابق ذكرهما من مباديء لا نظير لها فى هذه النظم ، بل انه ليختلف عنها اختلافا جوهريا بكثير من التفاصيل التى تضمنتها الدعامتان (الاولى والثانية) ، كما سيظهر لنا فى دراستنا التفصيلية لهاتين الدعامتين .

فالنظام الاقتصادي فى الاسلام ليس اذن نظاما شيوعيا ، ولا هو من النظم الراسمالية ويختلف اختلافا جوهريا عن النظم الاشتراكية المطبقة في الوقت الحاضر .

وهو نظام نسيج وحده ، منقطع النظير بين النظم الاقتصادية الحاضرة ، له مقوماته ومثاليته الخاصة به .

**

هذه نظرة مجملة فى الدعائم التى يقيم عليها الاسلام نظامه الاقتصادي وفى الاهداف التى يرمى اليها من وراء هذه الدعائم وفى وضع هذا النظام بين النظم الاقتصادية الحاضرة .

ويبقى بعد هذه النظرة المجملة ان نشرح بشيء من التفصيل هذه الدعائم . وهذا هو ما سنعرض له فيما يلي من هذا البحث . وفى أثناء شرحنا للدعامتين (الاولى والثانية)سنضمنهما أهم ما تشتمل عليه الدعامتان (الثالثة والرابعة) لتداخل عناصر هذه الدعائم بعضها فى بعض ، فيغنينا ذلك عن الكلام على هاتين الدعامتين الاخيرتين فى صورة مستقلة .

**

الدعامة الاولى
اقرار الاسلام للملكية الفردية وحمايته لها وحمايته للعمل الانسانى وثمرات الجهود

ويرمى الاسلام من وراء هذه الدعامة بجميع فروعها ، كما قلنا ، الى تشجيع الحافز الفردي وفسح المجال أمام المنافسة والطموح والرغبة فى التفوق ، وتحقيق تكافؤ الفرص بين الناس فى هذه الميادين ، واعطاء كل مجتهد جزاء اجتهاده من ثمرات الحياة الدنيا ومسايرة الطبيعة الانسانية التى فطر الله الناس عليها . وذلك لان حب التملك غريزة من غرائز بنى الانسان .

وتشتمل هذه الدعامة على عنصرين : أحدهما خاص بالملكية الفردية ، والآخر خاص بالعمل الانسانى ، وسنقف على كل عنصر منهما فقرة على حدة .

**

— 1 —

اقرار الاسلام للملكية الفردية ، وتيسيره سبل الحصول عليها ، وحمايته لها

يقر الاسلام الملكية الفردية وييسر سبل الحصول عليها ما دامت هذه السبل سليمة مشروعة ولا يكتفى الاسلام باقرار الملكية الفردية وتيسير سبل الحصول عليها ، بل انه ليحيطها كذلك بسياج قوي من الحماية ،

ويتمثل هذا السياج في العقوبات الدنيوية والاخروية التي يقررها الاسلام لمختلف انواع الاعتداء على الملكية كالسرقة وقطع الطريق والغصب ونقل حدود الارض.. وما الى ذلك

فيقرر الاسلام عقوبة قطع اليد في السرقة ، قال تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا ، نكالا من الله ، والله عزيز حكيم » (1) ولم يتشدد الرسول عليه السلام في تنفيذ حد مقدار تشدده في تنفيذ حد السرقة . فقد جاءه مرة اسامة بن زيد — وكان من احب الناس اليه يشفع في فاطمة بنت الاسود المخزومية (التي كانت قد وجب عليها حد السرقة لسرقتها حليا وقطيفة ورأى اهلها ان اقامة الحد عليها سيلحق بقبيلتهم العريقة عارا ابديا ، فلجئوا الى اسامة لمكانته عند الرسول عليه السلام، راجين ان يشفع لها عنده) فانكر الرسول عليه السلام شفاعته ، وانتهره قائلا : « اتشفع في حد من حدود الله ؟ ! » ثم قام فخطب الناس فقال : « ايها الناس انما ضل الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف فيهم اقاموا عليه الحد ، واسم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » (2) .

وهذا كله في السرقة العادية ، أو ما يسميه فقهاء المسلمين « السرقة الصغرى » واما قطع الطريق او ما يسميه فقهاء المسلمين « السرقة الكبرى » او « الحرابة » (بكسر الحاء) فعقوبته اشد من ذلك بكثير وفي هذا يقول الله عز وجل : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم » (3) .

واما الغصب ونقل حدود الارض فمقترفهما ملعون في نظر الاسلام ومحروم من رحمة الله وفي هذا يقول عليه السلام: «من غصب شبرا من أرض طوقه الله من سبع أرضين يوم القيامة» وتوجب الشريعة الاسلامية على الغاصب أن يرد الشيء المغصوب أو يرد قيمته اذا اتلفه أو بدده . فان كان المغصوب أرضا فغرس فيها أو بنى ، قلع الغرس وهدم البناء وردت الى صاحبها كما كانت . ويوقع على الغاصب عقوبة الحرابة السابق ذكرها اذا توافرت أوصافهـا في جريمته أو توقع عليه عقوبة التعزير اذا لم تتوافر هذه الاوصاف . والتعزير عقوبة يقدرها القاضي او يقدرها القانون المتواضع عليه في صورة تتفاوت شدتها حسب درجات الجريمة ومبلغ خطرها وحسب اختلاف المجرمين أنفسهم وما يكفي لردعهم وزجر غيرهم ، وتكون بالحبس والجلد .. وما الى ذلك

وفي سبيل حماية الاسلام للملكية يجيز الاسلام للمالك أن يدفع عن ملكه بجميع وسائل الدفاع التي تتاح له ، حتى لو ادى ذلك الى قتل المعتدي ، وفي هذه الحالة لا قصاص عليه . واذا مات هو في اثناء دفاعه هذا فانه يموت شهيدا لقوله عليه السلام : « من قتل دون ماله فهو شهيد » .

ولا ينهى الاسلام عن الاعتداء على الملكية فحسب بل انه لينهى كذلك حتى عن مجرد النظر بعين نهمة أو حاسدة الى مال الغير .. وفي هذا يقول الله تعالى : « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير وابقى » (4) ويقول : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ، ان الله كان بكل شيء عليما » (5) .

---

1) آية 38 من سورة المائدة .
2) رواه الامام البخاري في صحيحه في باب (كراهية الشفاعة في الحد اذا رفع الى السلطان) .
3) آية 33 من سورة المائدة ، انظر في كتب التفسير وكتب الفقه الاسلامي اختلاف الائمة في تفسير هذه الآية وفي نوع الجرائم والعقوبات التي تشير اليها وفي توزيع هذه العقوبات على حالات الجريمة ونوعها .
4) آية 131 من سورة طه .
5) آية 32 من سورة النساء .

حمايـــة الاسلام للعمل الانسانى وثمرات الجهـــــود

ولما كان الانتاج لا يتوقف على رأس المال الممثل فى الملكية الفردية فحسب ، بل يتوقف كذلك على العمل الانسانى ، ولما كان فقراء الناس ودهماؤهم لا يملكون الا قواهم الجسمية والعقلية وليس لهم من رؤوس أموالهم الا ما يستطيعون بذله من مجهود ، لذلك احاط الاسلام العمل الانسانى برعاية وحماية لا تقلان فى قوتهما عن الرعاية والحماية التى احاط بهما الملكية الفردية .

فالاسلام يقدس العمل ، ويعلى من شأنه ويحث عليه . وفى هذا يقول الله تعالى : « هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » (6). ويامر القرآن المؤدين لصلاة الجمعة الا يطول مكثهم فى المسجد ، وان ينصرفوا الى اعمالهم بعد انتهائهم من اداء الفريضة ، وقال تعالى : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله » (7) . بل لقد اجاز القرآن مباشرة اعمال التجارة وما اليها فى اثناء اداء مناسك الحج ، قال تعالى : « ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم » (8) ، قال المفسرون فى تفسير هذه الآية انها تحث على الاخذ بأسباب الرزق ومزاولة اعمال التجارة وما اليها فى مواطن الحج نفسه ومواسمه » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما اكل احدكم طعاما قط خيرا من عمل يده » ، وروى أن النبى عليه السلام لما اقبل من غزوة تبوك استقبله معاذ ابن جبل وصافحه ، فوجد الرسول عليه السلام خشونة فى يده ، فقال له « لقد كنبت يداك يا معاذ » اي خشنت وغلظت . فقال معاذ : نعم يا رسول الله، لاننى احترث بالمسحاة وانفق من ذلك على عيالى ، اي اشتغل بالزراعة واستخدام الناس وانفق من ذلك على عيالى ويرجع الى عملى هذا السبب فى خشونة يدي ،فقبل الرسول عليه السلام يده ، وقال : « تلك يد يحبها الله ورسوله ، تلك يد لا تمسها النار » . وروى عن ابن عباس أن قوما قدموا على الرسول عليه السلام فقالوا ان فلانا يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر . فقال عليه السلام : « ايكم يكفيه طعامه» فقالوا كلنا ، اي نتعاون جميعا على سد حاجته من نتاج اعمالنا حتى نعفيه من العمل فيتفرغ لعبادته » ، فقال عليه السلام : « كلكم خير منه » اي لانكم تعملون وهو لا يعمل .

وعلى اساس هذه النظرة المقدسة للعمل ، يقدس الاسلام حق العامل فى ملكية اجره فهو يدعو الى الوفاء به ، وينذر من يجوز عليه من اصحاب الاعمال بحرب وخصومة من الله عز وجل .

وفى هذا يقول الرسول عليه السلام فيما يحكيه عن ربه فى الحديث الشريف : « يقول الله عز وجل : ثلاثة انا خصمهم يوم القيامة ، رجل اعطى بى ثم غدر، ورجل باع حرا فاكل ثمنه ، ورجل استأجر اجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره » . ويدعو الاسلام كذلك الى التعجيل بأداء الاجر . وفى هذا يقول الرسول عليه السلام : « اعطوا الاجير اجره قبل ان يجف عرقه » . ويطبق الاسلام هذه المبادىء على جميع انواع العمل المباح ، سواء فى ذلك الاعمال الجسمية والاعمال العقلية واعمال التنظيم والادارة .



الدعـامــة الثــانيــة

ما يدخله الاسلام من قيود على تصرف المالك فى ملكه فى حياته وبعد مماته ، وعلى حريته فى كسب ماله واستغلاله ، وما يضعه على كاهله من اعبـاء وواجبـات

لا يدع الاسلام المالك حرا يتصرف فى ملكه فى حياته كما يشاء ، ولا يدعه كذلك حرا يتصرف فيما يؤول اليه ملكه بعد وفاته ، بل يقيد هذه التصرفات كلها بقيود كثيرة لتحقيق الصالح العام واتقاء الضرر والضرار . ولا يدع كذلك المالك حرا فى كسب ماله واستثماره من اي طريق شاء ، بل يحدد له الطريق السليمة التى يكسب منها ماله ويستثمره ، ويحظر عليه ما وراء ذلك من طرق التملك والاستثمار ، ولا يكتفى الاسلام بتقييد حرية المالك فى ملكه فى حياته

6) آية 15 من سورة تبارك .
7) آية 10 من سورة الجمعـة .
8) آية 198 من سورة البقرة .

وبعد مماته وتقييد حريته فى كسب ماله واستثماره ، بل انه ليضع كذلك على كاهله اعباء وواجبات مالية كثيرة يؤديها للدولة وللمجتمع وللصالح العام وللفقراء والمساكين فى مقابل تمتعه بما بقى له من حقوق .

ويرمى الاسلام من وراء هذه الدعامة بجميع فروعها — كما قلنا — الى اقرار العدالة الاجتماعية ، وتحقيق التوازن الاقتصادي ، وتقليل الفروق المالية بين الطبقات والافراد وتقريب هؤلاء واولئك بعضهم من بعض ، واتقاء تضخم الثروات وتجميعها فى ايد قليلة وتقليم اظافر راس المال ، وتجريده من وسائل الطغيان والجبروت والسيطرة على شؤون الحياة ، وضمان حياة انسانية كريمة للفقراء والمساكين وللطبقات الدنيا والطبقات الكادحة من الشعب .

وتشتمل هذه الدعامة على أربعة عناصر وهى: ما يدخله الاسلام من قيود على تصرف المالك فى ملكه فى حياته ، وما يدخله من قيود على تصرفه فيما يؤول اليه ملكه بعد وفاته ، وما يدخله من قيود على حرية المالك فى كسب ماله واستغلاله ، وما يضعه على كاهله من اعباء وواجبات . وسنعقد لكل عنصر من هذه العناصر الاربعة فقرة على حدة .

1 — ما يدخله الاسلام من قيود على تصرف المالك فى ملكه فى حياته :

لا يدع الاسلام المالك حرا يتصرف فى ملكه فى حياته كما يشاء وتشاؤه اهواؤه ، بل يقيد تصرفه هذا بقيود كثيرة لتحقيق الصالح العام واتقاء الضرر والضرار .

فالاسلام يحظر على المالك كل تصرف فى ملكه يؤدي الى ضرر عام او خاص او ينطوي على اعتداء على حرية الآخرين . ويذهب الاسلام فى هذا السبيل الى حد انه يجيز نزع الملكية او رد الاقطاع او منع الاذى اذا أساء صاحبها استخدامه لها ، وادت اساءته هذه الى الاضرار بغيره ، ولم يكن ثم وسيلة أخرى لمنعه من ذلك . وقد طبق هذا المبدأ الرسول عليه السلام على سمرة بن جندب . فقد كان لسمرة هذا نخيل فى بستان رجل من الانصار ، وكان سمرة يكثر من دخول البستان هو وأهله بحجة تعهد نخيله فيؤذى هذا صاحب البستان . فشكاه الى الرسول عليه السلام فاستدعى سمرة ، بعد أن تحقق من صحة الشكوى ، وقال له بعه نخلك ، فأبى . قال فاقطعه وانتفع بـه ، فأبى . فقال هبه ولك مثله فى الجنة ، فأبى . فقال عليه السلام « فأنت اذن مضار » اي تبتغى ضرر غيرك . ثم قال لمالك البستان « اذهب فاقلع نخله » (9) . وروى يحيى بن آدم أنه كان للضحاك بن خليفة الانصاري ارض لا يصل اليها الماء الا اذا مر بأرض لمحمد بن مسلمة ، فأبى محمد هذا ان يدع الماء يجري فى أرضه . فشكاه الضحاك الى عمر وقال له : « أعليك ضرر فى أن يمر الماء بأرضك . قال ولكنها أرضى أمنع عنها ما اشاء . فقال له عمر : « والله لو لم اجد له ممرا الا على بطنك لامررته ؟ » وهذه القصة وان لم تدل على نزع ملكية الارض الا انها نص فى انه لا يجوز للمالك أن يسيء استخدام ملكه بحيث يلحق ضررا بالآخرين.

ولا يجيز الاسلام للمالك تعطيل ملكه وعدم استغلاله اذا كان فى ذلك التعطيل اضرار بالصالح العام ، ويجيز الاسلام فى هذه الحالة منح الملكية لمن يقوى على استغلالها اذا كان صاحبها عاجزا من ذلك، وقد فعل ذلك عمر بن الخطاب مع بلال بن الحارث المزنى . فقد كان الرسول عليه السلام اقطع بلالا هذا ، ارض العقيق ، وهى ارض بجوار المدينة وكانت مساحتها واسعة ، فلم يستطع الا استثمار جزء منها ، ولما تولى عمر الخلافة استدعاه وقال له : « انك قد استقطعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضا طويلة عريضة فاقطعك اياها وان رسول الله ما كان يمنع شيئا يساله (اي ما كان يرد سؤال سائل) وانت لا تطيق ما فى يدك » قال اجل . قال « فانظر ما قويت عليه منها فأمسكه ، وما لم تقو عليه فادفعه الينا نقسمه بين المسلمين » فقال لا افعل والله ولا افرط فى شيء أقطعنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عمر « والله لتفعلن » واخذ منه ما عجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين .

9) روى هذه القصة الامام محمد الباقر ، عن ابيه علي زين العابدين ، عن ابيه الحسين ، عن ابيه على بن ابى طالب .

2 ـ ما يدخله الاسلام من قيود على تصرف المالك فيما يؤول اليه ملكه بعد وفاته :

وكما ان الاسلام لا يدع المالك حرا فى تصرفه فى ملكه فى حياته ، لا يدعه كذلك حرا فى تصرفه فيما يؤول اليه ملكه بعد وفاته ، بل يقيد هذا التصرف كذلك بقيود كثيرة لتحقيق الصالح العام واتقاء الضرر والضرار . وتتمثل هذه القيود فى الاحكام التى وضعها الاسلام للميرات والوصية .

فقد وضع الاسلام للميراث نظاما حكيما يكفل توزيع الثروات بين الناس توزيعا عادلا ، ويحول دون تضخمها ودون تجمعها فى ايد قليلة ، ويؤدى الى تقليل الفروق المالية بين الطبقات والافراد وتقريب هؤلاء واولئك بعضهم من بعض ــ فنظام الميراث فى الاسلام يوزع تركة المتوفى على عدد كبير من اقربائه، فيوسع بذلك دائرة الانتفاع بها من جهة ، ويحول من جهة اخرى دون تجمع ثروات كبيرة فى يد عدد محدود من الافراد . فنظام الميراث فى الاسلام يورث الابناء وأولاد الابناء والبنات ، ويورث الآباء والامهات ، ويورث الاجداد والجدات ، ويورث الاخوة وأبناء الاخوة والاخوات ، ويورث الاعمام وأبناء الاعمام ، يورث الازواج والزوجات ــ فبفضل هذا النظام الحكيم لاتلبث الثروة الكبيرة التى يتفق تجمعها فى يد بعض الافراد ان تتوزع بعد بضعة اجيال على عدد كبير من الانفس ، وتستحيل الى ملكيات صغيرة . وهذا هو أمثل نظام لتحقيق التوازن الاقتصادي وعلاج ما عسى ان يطرأ على هذا التوازن من اختلال .

ولحرص الاسلام على تحقيق هذه الاغراض حرم تحريما باتا كل اجراء يؤدى الى الاخلال بقواعد الميراث وتوعد مرتكبيه بأشد عقاب فى الآخرة . وفى هذا يقول الله تعالى بعد ان قرر قواعد الميراث « تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » (10) .

ومن أجل ذلك يرى معظم فقهاء المسلمين انه لا تصح الوصية لوارث لما ينطوي عليه هذا الاجراء من تحايل على قواعد الميراث واعطاء بعض الورثة اكثر من نصيبه الشرعى ، وعملا بقوله عليه الصلاةوالسلام بعد أن نزلت آيات المواريث : « ان الله اعطى كل ذي حق حقه ، الا لا وصية لوارث » وحتى الذين يجيزون منهم هذ هالوصية يقيدونها فى حدود الثلث من التركة (11) .

واما الوصية لغير القريب فجائزة بالاجماع لتيسير اعمال البر ، ولكن فى حدود ضيقة لا يضار بها الورثة ولا تتأثر بها قواعد الميراث ، وهى حدود الثلث من التركة عند كثير من الفقهاء (12) . وقد توخت الشريعة الاسلامية من هذا وذاك حماية القواعد السامية التى وضعتها للميراث ووقايتها عبث المورثين واهوائهم .

---

(10) الآيتان 13 ، 14 من سورة النساء ، وقد جاءتا عقب آيتى الميراث مباشرة ، وهما الآيتان 11 ، 12 من سورة النساء .

(11) هذا هو مذهب الشيعة الامامية ، وقد صحت عندهم رواية الحديث المذكور آنفا فى هذه الصيغة (ان الله اعطى كل ذي حق حقه ، الا لا وصية لوارث الا فى الثلث) وعلى هذا المذهب يسير الآن التشريع المصري (قانون رقم 71 لسنة 1946) .

(12) وأما الاقرباء الوارثون فمعظم الفقهاء يذهبون الى أن حكمهم حكم غيرهم فى جواز الوصية لهم فى حدود الثلث ، وذهب آخرون منهم* : ابن حزم الى وجوب الوصية لهم اعتمادا على ظاهر قوله تعالى: « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين » آية 180 من سورة البقرة ، فهم يرون أن الآية غير منسوخة وانها تفيد الوصية للاقربين غير الوارثين ، وانه اذا لم يوص الميت لهم قام ولى الامر مقامه وقد اخذ المشرع المصري ببعض تطبيقات هذا المذهب* حينما قرر فى المادتين (76 ، 77) من القانون رقم 71 لسنة 1946 م ان الميت الذي لم يكن قد أوصى لفرع ولده الذي مات قبله تجب فى تركته وصية بمقدار نصيب والده فى حدود الثلث وبشرط الا يكون قد أعطى هذا النصيب بدون عوض عن طريق تصرف آخر . وهذا هو ما يطلق عليه اسم (الوصية الواجبة) .

فأين من هذا النظام الحكيم الذي وضعه الاسلام للميراث ، وأحاطه بسياج من الحماية ، أين منه نظم الغرب التى ينقل بعضها معظم ثروة المتوفى الى البكر من ابنائه ، ويدع كثير منها المالك حرا فى ان يوصى بتركته كلها او بعضها لمن يشاء . فتجمعت من جراء ذلك ثروات ضخمة فى يد عدد محدود من الافراد ، واثار هذا حفيظة الفقراء ، واورثهم الحقد على المجتمع ونظمه ، فنشأت المذاهب المتطرفة الهدامة ، والاتجاهات الشيوعية الفاسدة ، واضطرب نظام الحياة الاقتصادية أيما اضطراب ، وادى هذا الى معظم الثورات والانقلابات الخطيرة التى تعرضت لها اوربا فى العصور الحاضرة .

وقد جعل الاسلام نصيب الاناث فى الميراث نصف نظير نظائرهم من الذكور فى معظم الاحوال وقد بنيت هذه التفرقة على أساس التفرقة بين أعباء الرجل الاقتصادية واعباء المراة فى الوضع الاسلامى . فمسؤولية الرجل فى الحياة من الناحية المادية اوسع كثيرا من مسؤولية المراة واعباؤه فيها أثقل كثيرا من اعبائها بحسب ما يقرره نظام الاسلام . فالرجل فى هذا النظام هو رب الاسرة وهو القوام عليها والمكلف بالانفاق على افرادها ، على حين أن المراة لا يكلفها الاسلام حتى الانفاق على نفسها . فنفقتها واجبة على اصولها او فروعها او اقاربها بحسب ترتيب الفقه الاسلامى لهم فى وجوب النفقة اذا لم تكن متزوجة ، ونفقتها ونفقة بيتها واولادها واجبة على زوجها اذا كانت متزوجة ، لا فرق فى ذلك بين أن تكون موسرة او معسرة . فكان من العدالة اذن ان يكون حظ الرجل من الميراث اكبر من حظ المراة حتى يكون له فى ذلك ما يعينه على القيام بهذه الاعباء المالية التى وضعها الاسلام على كاهله ، وأعفى منها المراة رحمة بها وحدبا عليها وصيانة لها من التبذل والامتهان وضمانا لسعادة الاسرة بل أن الاسلام قد بالغ فى رعايته للمراة اذ أعطاها نصف نصيب نظيرها من الرجال مع اعفائه اياها من اعباء المعيشة والقائها جميعها على كاهل الرجل .

3 ــ ما يدخله الاسلام من قيود على حرية المالك فى كسب ماله واستغلاله :

وبجانب القيود المبينة فى الفقرتين السابقتين ، يقيد الاسلام كذلك حرية المالك فى كسب ماله واستغلاله ، فيحدد له الطرق السليمة التى يكسب منها ماله ويستثمره ويحظر عليه ما وراء ذلك من طرق التملك والاستثمار ، فيحرم الاسلام تحريما قاطعا جميع طرائق الكسب غير السليم ، وهى الطرائق التى تقوم على الربا ، او استغلال النفوذ والسلطان ، او الرشوة الظاهرة او المستترة ، او ابتزاز الناس واكل اموالهم بالباطل ، او انتهاز حالات عوزهم وحاجاتهم، او التحكم فى ضروريات حياتهم او غش المبيعات واخفاء عيوبها ، او التطفيف فى الكيل والميزان .. وما الى ذلك من الطرق التى تتعارض مع الخلق الكريم ومع واجب الانسان نحو اخيه الانسان بحسب ما يقرره الاسلام. وقد حقق الاسلام بذلك عدة اهداف سامية :

فاوصد بذلك أهم الابواب التى تؤدي فى العادة الى تضخم الثروات فى يد بعض الافراد . وذلك أن الطرائق السليمة فى الكسب لا ينجم عنها فى الغالب الا الربح المعتدل المعقول المتفق مع سنن الاقتصاد . واما الارباح الفاحشة والثروات الضخمة فانما تكون فى الغالب نتيجة لطرائق الكسب غير السليم . ففى تحريم الاسلام لهذه الطرائق الاقتصادية تحقيق لتكافؤ الفرص بين الناس ، وقضاء على اهم عامل من العوامل التى تؤدي الى اتساع الفروق الاقتصادية بين الافراد والطبقات .

وحقق الاسلام كذلك بموقفه هذا غرضا ثالثا وهو دفع الناس الى العمل والكد لكسب المال وتنميته وصرفهم عن الكسل والبطالة والطرق المهينة الوضيعة التى تاتى بالكسب والتنمية بدون جهد ولا عناء .

فحرم الاسلام عمليات الربا تحريما باتا ، وجعلها من كبريات الكبائر ، وتوعد مرتكبيها بحرب من الله ورسوله . قال تعالى : « يايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون (13) ثم حث الله تعالى الدائنين على التسامح حيال المدينين الذين لا يستطيعون اداء الدين فى موعده فحبب اليهم ان يمدوا لهم فى الاجل بدون مقابل حتى يتيسر لهم اداؤه فقال : (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) . ثم تدرج فى الحث على مثل اعلى وارقى من ذلك فحبب

---

(13) آيـة 278 ، 279 من سورة البقرة .

الى الدائنين ان يتنازلوا عمالهم من دين فى حالة عسرة المدين وان يتصدقوا به ابتغاء وجه الله ، وتحقيقا للتكافل الاجتماعى وحق الفقراء فى مال الاغنياء ، فقال « وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » (14) .

وحرم الاسلام كذلك استغلال النفوذ والسلطان للحصول على المال ، وحرم امتلاك ما ياتمى عن هذا الطريق ، وأجاز لولى الامر مصادرته واستيلاء بيت المال عليه لانفاقه فى المصالح العامة للمسلمين وعلى ذوى الحاجات منهم . فالاسلام هو أول تشريع سن (قانون الكسب غير المشروع) أو (قانون من اين لك هذا ؟) كما يطيب لبعض الناس ان يسميه فى الوقت الحاضر .

فحرم الاسلام الرشوة الظاهرة التى تقدم الى الحكام لتحقيق نفع مادي او ادبى أو لتيسير الاستيلاء على اموال الناس بالباطل . و فى هذا يقول الله تعالى : « ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون » (15) .

وحرم الاسلام كذلك الرشوة المستترة ، وهى التى تتمثل فى هدايا تقدم الى الحكام والموظفين لتحقيق غرض غير مشروع ، وأجاز لولى الاستيلاء على هذه الهدايا وضمها الى بيت المال .

وقد طبق هذا المبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ، فقد روى البخاري فى صحيحه انه أقبل يوما على الرسول عليه السلام ابن اللتبية (وهو رجل من بنى لتب من الازد — كان الرسول عليه السلام قد استعمله على صدقات بنى سليم ، اي على جمع الزكاة منهم ، وكان قد اهدى اليه فى اثناء قيامه بوظيفته بعض الهدايا) فقسم الرجل ما معه قسمين ، وقال للنبى عليه السلام هذا لكم وهذه هدايا اهديت الى . فظهر الغضب فى وجه النبى عليه السلام وقام فخطب الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال : « أما بعد فانى استعمل رجالا منكم فى أمور مما ولانى الله ، فيأتى احدهم فيقول : هذا لكم وهذه هدايا اهديت الى . فهلا قعد فى بيت ابيه أو قال بيت امه ، فينظر ايهدي اليه أم لا ؟ ! — والذي نفسى بيده لا يأخذ منه شيئا الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته » .
اي أن ما جاءه من هدايا لم يهد اليه لشخصه ، بل اهدي اليه لوظيفته وطمعا فى استغلال نفوذه ، ولو انه لم يكن موظفا وقعد فى بيته ما أهدي اليه شيء . ثم صادر الرسول عليه السلام جميع الهدايا التى اهديت الى ابن اللتبية وضمها الى بيت المال . وطبق هذا المبدأ فى نطاق واسع من بعد الرسول عليه السلام عمر بن الخطاب فى أيام خلافته فكان يصادر ما كان يكسبه الولاة من أعمال لا يجوز لهم الاشتغال بها كالتجارة وما اليها وما كان يأتيهم من هدايا وأموال نتيجة لاستغلال نفوذهم وجاههم . فعل ذلك مع ولاته على البصرة ، بل يقال انه فعله مع ابى هريرة عامله على البحرين ومع عمرو بن العاص عامله على مصر .

وحرم الاسلام كذلك غش المبيعات واخفاء عيوبها . وفى هذا يقول الرسول عليه السلام : « من غش أمتى فليس منى » ويقول : « البائعان بالخيار ما لم يفترقا . فان صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » وتجيز الشريعة الاسلامية للمشتري رد المبيع اذا ظهر فيه عيب أخفاه عنه البائع ، وهذا هو ما يسميه الفقهاء « خيار العيب » ولولى الامر ان يوقع من العقوبات على مرتكبى هذه الجرائم ما يراه كافيا لردعهم وزجر غيرهم ، وقد ثبت أن عمر رضى الله عنه أراق اللبن المغشوش بالماء تأديبا للغاش وزجرا للناس عن غش المبيعات .

وحرم الاسلام كذلك التطفيف فى الكيل والميزان ، وتوعد مرتكبيه بعذاب شديد فى الآخرة . وفى هذا يقول الله تعالى : « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون . الا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين » (16) .

ويقص علينا القرآن الكريم قصة أصحاب الايكة الذين كانوا يطففون الكيل والميزان وأرسل الله اليهم شعيبا لهدايتهم ونهيهم عن ذلك ، فلم ينتهوا ، فأهلكهم الله بذنوبهم فى الدنيا واعد لهم عذابا اليما فى الآخرة » (17) .

---

14) آية 280 من سورة البقرة ؟
15) آية 189 من سورة البقرة .
16) الآيات الاولى من سورة المطففين .
17) آيات 176 — 191 من سورة الشعراء .

وحرم الاسلام كذلك احتكار الضروريات للتحكم فى اسعارها . وفى هذا يقول الرسول عليه السلام : « من احتكر طعاما أربعين يوما فقد بريء من اللــه وبريء اللــه منه » — ويقاس على ذلك احتكار صنف ما فى التجارة أو الصناعة للتحكم فى السوق ، متــى كان فى ذلك اضرار بالمستهلكين ، عملا بالقاعـــدة الاسلامية التى تخضع لها جميع المعاملات ، وهــى قوله عليه الصلاة والسلام : « لا ضرر ولا ضرار » .

4 — ما يضعه الاسلام على كاهل المالك من أعباء وواجبـــات :

لا يكتفى الاسلام فى سبيل تحقيق العدالــــة الاجتماعية بتقييد حرية المالك فى تصرفه فى ملكــه فى حياته وبعد مماته وكسب ماله واستغلاله بالقيود السابق بيانها ، بل يضع كذلك على كاهله واجبات واعباء ، مالية كثيرة يؤديها للدولة وللمجتمع وللصالح العام وللفقراء والمساكين فى مقابل تمتعه بما بقــى له من حقــوق .

وترجع اهم هذه الاعباء الى سبعة انــواع ، وهى : الزكاة والخراج والضرائب والصدقات الموسمية والكفارات وواجبات التكافل الاجتماعى والصدقـــات المستحبة .

وسنعقد فيما يلى لكل عبء من هذه الاعباء فقرة على حدة ، ونختم البحث بفقرة ثامنة نشرح فيهــا دعوة أبى ذر الغفاري لعلاقتها بموضوع الصدقات ونبين اتفاقها مع روح الاسلام وبعدها عن الشيوعية .

ا) الزكـــاة :

فرض الاسلام على كثير من أنواع الثروة ومظاهر النشاط الاقتصادي مع أنواع الزكاة ما يكفـــل تحقيق العدالة الاجتماعية ، ويحول دون تضخم الملكيات وتجمعها فى أيد قليلة ويؤدي الى تقليل الفروق المالية بين الطبقات والافراد وتقريب هؤلاء وأولئك بعضهم من بعض ، ويسد حاجات المعوزين ، ويعمل على أشاعة روح التعاون والتكافل والتواصى بالبر والخير والعدل والاحســـان .

ففرض الاسلام الزكاة فيما تنتجه الارض وفيما يملكه الفرد من الذهب والفضة والانعام وعــروض التجارة بالشروط والمقادير المبينة فى كتب الفقـــه الاسلامــــى .

والاصل فى الزكاة بجميع أنواعها أن تدفع الى بيت المال ، وبيت المال يقوم بصرفها فى مصارفهــا التى حددتها الشريعة الاسلامية ومن أهمها الانفاق على الفقراء والمساكين وذوى الحاجة وفى سبيل الله (18) .

وقد جعل الاسلام الزكاة من اهم أركانه ، وقرنها دائما بالايمان بالله وبالصلاة ويبلغ من اهتمام الاسلام بامرها أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قد حارب القبائل التى امتنعت بعد وفاة الرسول عليه السلام عن اداء الزكاة ، حتى من بقى منهم على اسلامه واعتبـر هؤلاء فى حكم المرتدين ، وقال فى ذلك قولته المشهورة : « والله لو منعونى عناقا (وهى الانثى الصغيرة من ولد المعز وفى رواية عقال بعير (19) — كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ولو وحدى ، ما استمسك السيف بيدي لقد كمل الديــن وتم الوحــى (20) ، أو ينتقص وأنا حــى ؟ ! » ، فتضى بذلك على اكبر فتنة كانت تهدد الاسلام ونظمه الاقتصاديـــة القويـــة .

هذا ، وتختلف الزكاة عن كثير من أنواع الضرائب المقررة فى الوقت الحاضر فى أنها لا تفرض على ما تنتجه رؤوس الاموال فحسب ، بل تفرض كذلك على رؤوس الاموال المنقولة نفسها . فاذا تعطل رأس المـال المنقول عن الكسب فانه لا يلبث أن يذهب الزائـد منه عن النصاب زكاة فى نحو أربعين عاما . وذلك فى الاموال التى تقدر زكاتها سنويا بربع عشرها ، وهى تشمل الذهب والفضة وعروض التجارة ، وحتـــى اذا لم يتعطل رأس المال المنقول عن الكسب فـــان

(18) انظر فى مصارف الزكاة كتب الفقه الاسلامى ، وقوله تعالى : (انما الصدقات للفقراء والمساكـين . . الآيـــة) وهى آية 20 من سورة التوبة ، وتفسير هذه الآية فى كتب التفاسير .

(19) كان يجب على دافع زكاة الانعام أن يقـدم الى جامع الزكاة عقال ما يدفعه اليه من انعام ، حتـى لا يحتمل بيت المال ثمن هذا العقال .

(20) يشير بذلك الى قوله تعالى : (اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينـــا) (من آية 3 من سورة المائدة) .

متابعة اخذ الزكاة منه سنويا بالمقدار المقرر تنتقصه دائما من اطرافه وتحول دون تجمع ثروة كبيـــرة في يد صاحبـه .

ب) الخـــراج :

وفي عهد عمر رضي الله عنه فرض الخراج (وهو ما نسميه الآن بالاموال الاميرية المقررة على الاراضي المنزرعة) وذلك انه لما فتحت في عهده ارض العراق رغب بعض الصحابة في أن توزع على الفاتحين . فأبى عليهم ذلك ذاهبا الى انها بهذا التوزيع تؤول الى قلة من الناس في حين أن الدولة تحتاج في المستقبل الـى المال للخدمات العامة ومرافق البلاد وشؤون الموظفين ومقتضيات الجيش والجهـاد . . وما الى ذلك ، ورأى ابقاء حق الرقبة في هذه الارض للدولة وترك الزراع يعملون على ان يلتزموا للدولة بدفع ضريبة معينـة على كل مساحة من الارض يزرعونها ، واطلق على هذه الضريبة اسم الخراج . وانتهى امر الصحابـة بموافقتهم على هذا الاجراء فاصبح تشريعا ، ويخصص الخراج للمصالح العامة للمسلمين . ويدخل في ذلـك (اصلاح حال المسلمين وارزاق (اي مرتبات) الموظفين والولاة والقضاء واهل الفتوى من العلماء ورجـال الجيش وتعبيد الطرق وعمارة المساجد والرباطـات والقناطر والجسور واصلاح الانهار . . وما الـى ذلـك) (21) .

ج) الضـرائـب :

ويجيز كثير من الفقهاء للامام أن يفرض مـن الضرائب الدائمة أو المؤقتة ما تدعو اليه الحاجـة وتستقيم به احوال المسلمين وتقتضيه شؤون الدفاع عن البلاد ، اذا لم تكف الموارد الثابتة لذلك وعلى هذا الاساس فرضت في عهود الخلافة الاسلامية ضرائب على الواردات ، وعلى التجار الذين يمرون ببعـض نقط المراقبة في البلاد الاسلامية ، وعلى السفن التي تمر بموانى هذه البلاد ، وعلى الحوانيت ودور سـك النقـود . . وعلى نواح اخرى كثيرة من هذا القبيل .

ولما اخذ ملك مصر المظفر قطز يعد العدة لحرب التتار واجلائهم عـن دمشق وما احتلوه من مـدن سوريا ، وجد بيت المال خاويا ، فاتجه الى العز بن عبد السلام كبير فقهاء عصره وقاضي قضاة الشافعية يستفتيه في ضرائب يفرضها على الناس لحماية الدولة وتجهيز الجيش ، فأفتاه بجواز ذلك اذا لم يكف لهذا الغرض ما في خزائن الدولة وما يملكه الامراء . ففرض الملك المظفر قطز بعد هذه الفتوى ضريبة دفـاع مقدارها دينار على كل رجل وامراة ، واخذ الاوقاف الخيرية قبل ميقاتها بشهر ، وعجل الزكاة سنة واخذ من التركات ثلثها (22) ، وبفضل ذلك كتب للجيش المصري النصر على جيوش التتار في موقعة (عـين جالوت) سنة 658 هجرية ، فانقذ بذلك الاسـلام والحضارة الانسانية من شرور اولئك الوحوش .

د) الصدقـات الموسميـة :

واوجب الاسلام على الاغنياء والقادرين في بعض مواسم تتكرر كل عام وفي بعض اعياد ومناسبات ان يخرجوا من اموالهم صدقات للفقراء والمساكين او جعل ذلك سنة مؤكدة ، ومن اهم هذه الصدقات ، زكاة الفطر التي يخرجها رب الاسرة في يوم عيد الفطر عن نفسه وخدمه ومن تجب عليهم نفقتهم من افراد اسرته ، والتي قال الرسول عليه السلام بشأنها (ان صيام رمضان معلق بين السماء والارض لا يرفع الا بزكاة الفطر) ويتصدق بها على الفقراء والمساكين وذوي الحاجـة او يدفع بها الى بيت المال ويتولى بيت المال انفاقهـا في مصارفها . ومن هذه الصدقات كذلك الضحايا التي تنحر في عيد الاضحى والهدى الذي يجب أن يستحب للحاج نحره ، وكلاهما يخصص كله او معظمه او قسم منه للفقراء والمساكين . قال تعالى في بيان طريقـة الانتفاع ببعض ذبائح الهدى (فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) (23) — وقال في آية اخرى : (فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر) (والقانع السائل ، والمعتر الذي يطيف ولا يسأل) .

---

21) هذه هي عبارة الميداني على القدوري من كتب الفقه الحنفي انظر صفحتي 276 ، 277 من هذا الكتاب ، وانظر تفاصيل هذا الموضوع في كتاب الخراج للامام ابي يوسف تلميذ ابي حنيفة وكتاب الخراج لابي يعلى الموصلي من كبار فقهاء الحنـابلـة .
22) انظر تاريخ ابن اياس ، وصفحة 137 مـن كتاب (ابن تيمية) لمرحوم الشيخ محمد ابو زهرة .
23) آيـة 28 من سورة الحـج .

هـ) الكفـــارات :

وعمد الاسلام الى طائفة من المخالفات والخطايا التي يكثر حدوثها وجعل كفارتها اخراج الاموال والتصدق بها على الفقراء والمساكين . والتعبير هنا بكلمــة (التصدق) تعبير غير دقيق ، لاننا لسنا بصدد صدقة ولا احسان ، بل بصدد أمر واجب حتمى ، فجعل الاسلام ذلك كفارة للحنث فى اليمين ، والظهار (وهو ان يقول الرجل لامراته انت على كظهر امى او عبارة من هذا القبيل ثم يرغب فى مراجعتها ، وكانت هــذه العبارات كثيرة التردد على السنة العرب) ولبعض المخالفات التى تحدث فى مناسك الحج ، ولبعض انواع الفطر فى رمضان ، قال تعالى فى كفارة اليمين (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ، فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم . .) (24) .

وقال فى كفارة الظهار : (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا . . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين . . فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا) (25) — وقال فى مخالفات الحج وما يعرض فيه من ضروريات : (واتموا الحج والعمرة لله ، فان احصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله ، فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك (اي ذبيحة) فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى (26) . ويقول : (يايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة ، او كفارة طعام مساكين . .) (27) وقال فى الكفارة الواجبة فى بعض انواع الفطر فى رمضان : (وعلى الذين يطيقونه) (اي لا يستطيعون الصوم الا بصعوبة كبيرة لشيخوخة او مرض لا يرجى برؤه) « فدية طعام مسكين » وفى قراءة (مساكين) (28) . وجاء رجل الى النبى عليه السلام يسأله عن كفارة جماعه لامراته عمدا فى نهار رمضان ، فقال له : (هل عندك ما تعتق به رقبة) قال لا : قال (فهل تستطيع صيام شهرين متتابعين قال لا ، قال : (فهل عندك ما تطعم به ستين مسكينا) . . (الحديث) (29) .

و) واجبات التكافل الاجتماعى :

وضع الاسلام أمثل نظام للتكافل والتعـــاون الاجتماعى ، وسن احكاما كثيرة لتحقيق هذا التكافــل وهــذا التعــاون .

فاوجب على الاغنياء ان ينفقوا على الفقــراء والعاجزين عن الكسب من اقربائهم على ما هو مفصل فى كتب الفقه الاسلامى . فحقق بذلك التكافل الاجتماعى فى نطاق الاسرة .

واوجب على أهل كل حى وقرية ومدينة أن يعيش بعضهم مع بعض فى حالة تكافل وتعاون يرق غنيهــم لفقيرهم ، ويسد شبعانهم حاجة جائعهم ، حتى لقــد ذهب جماعة من الفقهاء منهم ابن حزم الى مسؤولية البلد الذي يموت احد افراده جوعا فيدفع اهله الديــة متضامنين الى اهله كانهم شركاء فى موته ، لتقصيرهم فى واجب التكافل الاجتماعى . وفى هذا يقول الرسول عليه السلام : « ايما اهل عرضة امسوا وفيهم جائع فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله » . فحقق الاسلام بذلك التكافل الاجتماعى فى نطاق الحى والقريـــة والمدينـــة .

واوصى القرآن بالجار القريب والجار البعيد فى اكثر من آية . ومن ذلك قوله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين ، والجار ذي القربى والجــار

---

(24) آيــة (89) من سورة المائدة .
(25) آية 3 ، 4 من سورة المجادلة .
(26) آيــة 196 من سورة البقرة .
(27) آيــة 95 من سورة المائدة .
(28) آيــة 184 من سورة البقرة .
(29) اخرجه البخاري فى باب الصوم .

الجنب » (30) فقرن وجوب الاحسان بالجار القريب والجار البعيد بوجوب عبادة الله وعدم الشرك بـه ووجوب الاحسان الى الوالدين واوصى الرسول عليه السلام بالاحسان الى الجار فى اكثر من حديث ، فمن ذلك قوله عليه السلام : « ليس منا من بات شبعان وجاره جائع » ، وقوله : « خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهـم لجـاره » فحقق الاسلام بذلك التكافل الاجتماعى فى نطاق الجـوار .

ولا يفرق الاسلام فى ذلك بين الجار المسلم وغير المسلم ، فعن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجيران ثلاثة : جار له حق واحد ، وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق ، فأما الجار الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له » اي لا تربطه بجاره المسلم رابطة دين ولا رابطة قرابة ، ومع ذلك يجب على جاره المسلم ان يحسن اليه لان له عليه حق الجوار « واما الجار الذي له حقان فجار مسلم لا رحم له ، له حق الجوار وحق الاسلام ، واما الجار الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم ، له حـق الجوار وحق الاسلام وحق القرابة » . وروى مجاهد قال كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يذبح شاة ، فقال ابن عمر لغلامه اذا سلخت هذه الشاة فابدأ بجارنا اليهودي ، ثم كرر ذلك عدة مرات . فقال له مجاهد متعجبا من الحاحه فى هذا الطلب مع ان الجار يهودي : كم تقول هذا يابن عمر ؟ فقال اننى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه » اي سيجعل له نصيبا من تركتنا بعد وفاتنا . ولم يفرق الرسول فى ذلك بين الجار المسلم وغير المسلم (31) .

واوجب الاسلام فى حالات الشـدة والضرورة والازمات الاقتصادية ان يعود القادر على المحتاج بما يسد حاجته ، روى ابو سعيد الخدري حال النبى فـى سفر وشدة ، فقال كنا فى سفر وشدة مع رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « من كان عنـده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، ومن كان عنده فضل ظهر (اي مطية) فليعد به على من لا ظهر له » ثم اخذ يعدد من اصناف الاموال حتى ظننا ان ليس لنا من مالنا الا ما يكفينا (32) . وعن ابى موسـى الاشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الاشعريين (وهم رهط ابى موسى الاشعري) اذا ارملوا فى الغزو او قل طعام عيالهم فى المدينـة جمعوا ما عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهـم فى اناء واحد بالسوية ، فهم منى وانا منهم » (33) وبذلك حقق الاسلام التكافل الاجتماعى فى اوقات الشدة والضرورة والازمات الاقتصادية .

ز) الصدقـات المستحبـة :

وقد حبب الاسلام الى الاغنياء التصدق علـى الفقراء والمساكين بفضل اموالهم زيادة على الاعباء السابق ذكرها ، وجعل هذا التصدق من اكبر القربات واعظمها (أجرا) وجعل اكتناز الذهب والفضة وعدم انفاقها فى سبيل الله من كبريات المعاصى وتوعـد المكتنزين بأشد عقوبة يوم القيامة والآيات القرآنية التى وردت فى ذلك تجل عن الحصر ولا تكاد تخلو منها سورة القرآن الكريم (34) .

وبعض آيات القرآن الواردة فى هذا الصدد تدل على ان الاسلام لا ينظر الى هذا النوع من الانفاق على انه احسان وتصدق ، بل على انه حق للفقراء فى مال

---

30) آية 36 من سورة النساء ، وقيل فى معانى الجار ذي القربى والجار الجنب ، أن الاول هو الجار القريب فى المكان او فى النسب ، والاخر هو الجار البعيد فى واحد منهما او فى كليهما .

31) راجع اسنـاد الاحاديث المذكورة فى الجار فى تفسير ابن كثير لقوله تعالى : « واعبدوا اللـه ولا تشركوا به شيئا . . » (آية 36 من سـورة النساء) ، وفى احياء علوم الدين للغزالى وتخريج العراقى لاحاديثه فى الهامش ، صفحات 188 — 191 من الجزء الثانى ، طبعة مصطفى الحلبى عام 1346 هـ .

32) اخرجه البخاري فى صحيحـه .

33) اخرجه البخاري فى صحيحـه .

34) من ذلك آيات 254 ، 260 الى 273 من سورة البقرة ، وآيتى 34 ، 35 من سورة التوبة وآيات 6 الى من سورة الانسان ، وآيات 17 — 21 من سورة الليـل .

الاغنياء قال تعالى يصف المؤمنين : « والذين فى اموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم » (35) وقال : « فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون 7 (36) فوصف فى هاتين الآيتين هذا النوع من الانفاق على انه حق للفقراء لا مجرد احسان من الاغنياء .

وكثير من آيات القرآن الواردة فى هذا الصدد تدل كذلك على ان الاسلام ينظر الى التملك على انه مجرد وظيفة يقوم صاحبها بانفاق المال على مستحقيه ، وينظر الى المالك على أنه مستخلف على ثروته من قبل الله لانفاقها فى سبيله وفى هذا يقول الله تعالى : « آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير » (37) .

بل لقد حبب الاسلام الى الاغنياء أن ينفقوا الفضل من اموالهم فى سبيل الله والمصلحة العامة وسد حاجات المعوزين . والفضل من المال هو ما كان زائدا عن حاجة الفرد وحاجة من يعولهم ولا يؤدي انفاقه الى اضطراب فى حياته ولا فى حياتهم الحاضرة والمستقبلة .

وفى الحث على هذا الانفاق يقول عليه الصلاة والسلام : « ما احب ان يكون لى مثل احد ذهبا انفقه فى سبيل الله اموت واترك منه قيراطين » اي انه ليؤلمه أن يكون له مثل جبل احد ذهبا يظل ينفق منه على الفقراء والمساكين وذوى الحاجة ، ثم تعجله المنون وفى يده منه قيراطان لم ينفقهما بعد فى سبيل الله .

وليس معنى هذا ان الاسلام يحبب الى الاغنياء ان ينسلخوا من جميع ما يملكون ويقدموه صدقة للفقراء والمساكين ، بل ان الاسلام ليكره المسلك كل الكراهية . ويوجب على الفرد ان يبقى من امواله ما يكفى لحاجته وحاجة من يعولهم . وكل ما يحبب فيه الاسلام هو انفاق ما زاد عن هذا القدر ، وما لا يؤدي انفاقه الى اضطراب ما فى حاضر حياتهم ومستقبلها . وفى هذا يقول الله تعالى : « يسألونك ماذا ينفقون قل العفو » (38) والعفو هو السهل اليسير الذي لا يؤثر فى حياة الفرد . وقد ثبت ان الرسول عليه السلام كان يرد صدقة من يريد التصدق بجميع ماله . فقد جاءه يوما رجل بمثل بيضة ذهب وقال يا رسول الله اصبت هذا من معدن ، فخذها فهى صدقة ، ما املك غيرها فاعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم مرارا وهو يردد كلامه هذا ، وبعد لاي اخذها منه وحذفه بها ، فتخطأته ، ولو اصابته لاوجعته . وقال : « يأتى احدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ، فيتكفف الناس ! ! خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى » . واخرج البخاري عن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، وابدا بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى » اي ان تظل غنيا تتصدق على الناس وتكون يدك هى العليا ، خير من ان تنسلخ عن جميع اموالك، فتتكفف الناس ، فتصبح يدك هى السفلى ، واخرج البخاري عن الزهري عن سعد بن ابى وقاص قال عادنى النبى صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع من مرض اشفيت منه على الموت ، فقلت يا رسول الله بلغ منى من الوجع ما ترى ، وانا ذو مال ولا يرثنى الا ابنة لى واحدة ، قال افاتصدق بشطره ؟ (اي بنصفه) ، قال لا ، افاتصدق بثلثى مالى ؟ قال لا قال فاتصدق بثلثه ؟ قال : « فالثلث يا سعد والثلث كثير فانك أن تدع ورثتك اغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس » وروى كعب بن مالك (وهو احد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله فى غزوة تبوك وامر الرسول عليه السلام اصحابه بمقاطعتهم عقابا لهم ، وظلوا كذلك مدة طويلة حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت ، ثم تاب الله عليهم ، ونزل فيهم قوله تعالى : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا الا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم » (39) — انه بعد ان بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضى عنه وان الله قد تاب عليه ، جاء الى النبى صلى الله عليه وقال له يا رسول الله قد جعلت توبتى عن التخلف عن الجهاد فى غزوة تبوك ان انخلع عن جميع مالى صدقة

35) آيتى 24 ، 25 من سورة المعارج .
36) آية 38 من سورة الروم .
37) آية 70 من سورة الحديد .
38) آية 219 من سورة البقرة .
39) آية 118 من سورة التوبة .

الى الله ورسوله فقال له : « امسك عليك بعض مالك فهو خير لك » قال فانى امسك سهمى الذي بخيبر (40) .

ح ـ دعوة ابى ذر الغفاري واتفاقها مع روح الاسلام وبعدها عن الشيوعية :

قام ابو ذر الغفاري رضى الله تعالى عنه فى عهد عثمان بن عفان يدعو الاغنياء الى ان ينفقوا فى سبيل الله والبر بالفقراء والمساكين وذوى الحاجة جميع ما فضل من اموالهم عن حاجاتهم وحاجات من يعولونه وينهاهم عن البذخ والترف واكتناز الاموال والترفع على الفقراء والمستضعفين من الناس .

وكان ابو ذر يعتمد فى دعوته هذه على احاديث كثيرة سمعها هو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواها غيره كذلك ، واشرنا الى بعضها فيما سبق . منها ما رواه هو عن النبى عليه السلام قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو احد (وهو جبل بجوار المدينة حدثت فى الغزوة المسماة باسمه) فقال عليه السلام يا ابا ذر ، فقلت نعم يا رسول الله بابى انت وامى قال ابصر احدا ، فنظرت الى الشمس ما بقى من النهار وانا اظن ان رسول الله سيرسلنى فى حاجة ناحية احد ، فقلت نعم يا رسول الله ، قال : « ما احب ان يكون لى مثل احد ذهبا انفقه فى سبيل الله اموت واترك منه قيراطين » . قلت او قنطارين يا رسول الله . قال بل قيراطين . اي انه لبؤلمه ان يكون له مثل جبل احد ذهبا يظل ينفق منه على الفقراء والمساكين وذوى الحاجات ثم تعجله المنون وفى يده منه قيراطان لم ينفقهما بعد فى سبيل الله . ومن هذه الاحاديث كذلك قوله : « عهد الى خليلى رسول الله ان اي مال ذهب او فضة اوكى عليه (اي ربط عليه وادخر) فهو جمر على صاحبه حتى يفرغه فى سبيل الله » .

وقد دعا ابو ذر الى مبادئه هذه وهو بالشام فى ايام ولاية معاوية بن ابى سفيان من قبل عثمان بن عفان ، ولم يرتح معاوية لدعوته ، وخاف ان تحدث فتنة وان ينال نظام المال من جرائها اضطراب ، وحاول ان يثنيه عنها ، فلم يستطع . فكتب بشأنه الى عثمان . فطلب اليه عثمان ان يرسله اليه فى المدينة . ولما عجز عثمان كذلك عن منعه عن نشر دعوته ، ورأى تماديه فى الاجتماع بالناس وبثهم مبادئه ، اضطر الى نفيه الى الربذة ، وهى قرية صغيرة فى ضواحى المدينة ، فظل بها حتى وافته منيته رضى الله عنه .

هذا ، ولم تشتمل دعوة ابى ذر هذه على افراط ولا مبالغة الا من ناحية واحدة وذلك ان ابا ذر كاد يوجب على الاغنياء ان ينفقوا فى سبيل الله وسد حاجات المعوزين جميع ما فضل من اموالهم عن ضروريات حياتهم وحياة من يعولونهم ، على حين ان الاسلام يحبب الى الاغنياء هذا المسلك كما تقدم بيان ذلك فى الفقرة السابقة ولكنه لا يوجبه عليهم ايجابا ، بل يعد المسلم مؤديا لواجبه المالى ما دام لم يقصر فيما فرضته الشريعة او اوجبته عليه من زكاة وضرائب وصدقات مقررة ونفقات على الاهل وما الى ذلك .

بيد ان هذا ـ كما لا يخفى ـ هو اضعف الايمان ، ومن فوقه منازل رفيعة فى الاسلام تتقدم فى سموها وقربها الى الله تعالى حتى تصل الى المثل الاعلى الذي حث عليه ابو ذر واستمده من روح الاسلام ومثاليته .

وقد اخطأ كثير من الباحثين اذ يعدون تعاليم ابى ذر الغفاري والتعاليم المشبهة لها فى الاسلام من قبيل الاتجاهات الشيوعية . والحق انها هى والشيوعية على طرفى نقيض ، فهذه التعاليم اذ تحث الملاك على اداء زكاة اموالهم وعلى البر بالفقراء وذوى الحاجة ، تعمل بذلك على تثبيت الملكية الفردية وحمايتها من كل ما يتهددها من ثورة او انتفاض من جانب الفقراء والمحرومين كما تعمل بذلك ايضا على اتقاء الصراع بين طبقات الاغنياء والفقراء ، وبين اصحاب رؤوس الاموال والعمال وعلى اقرار التعايش السلمى بين الناس ، على حين ان الشيوعية تعمل على الغاء الملكية الفردية وجعل الملكيات كلها ملكيات جماعية ، وتمهد لذلك باثارة الصراع بين الطبقات . ومن ثم تعد دعوة ابى ذر الغفاري وجميع التعاليم السمحة التى من طرازها من الد خصوم الشيوعية ومن اشد ما يوضع فى سبيل انتشارها من معوقات .

---

40) اخرجه البخاري .

(خـــاتمــــة)

مما تقدم يتبين لنا صدق ما ذكرناه فى فاتحـــة هذا البحث من أن نظام الاقتصاد فى الاسلام نظام نسيج وحده ، منقطع النظير بين النظم الاقتصادية المطبقـــة فى الوقت الحاضر ، لا يدانيه نظام منها فى دقته وسموه ومبلغ تحقيقه لخير الافراد والجماعات ، له مقوماتـــه ومثاليتـــه الخاصة بـــه .

د علي عبد الواحد وافى

● قال النبي صلى الله عليه وسلم : من أعطى حظه من الرفق ، فقد أعطى حظه من الخير كله ، ومن حرم حظه من الرفق فقـــد حـــرم حظه من الخير كلـــه ..

قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه وهو أمير المؤمنيـــن : يا أبت مالك لا تنفذ الامور فو الله لا أبالي فى الحق لوغلت بي وبك القدور فقال له عمر : لا تعجل يا بني فان الله تعالى ذم الخمر فى القرءان مرتين وحرمها فى الثالثة ، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه وتكـــون فتنـــــة ...

أثر الرسالة النبوية في الحضارة الانسانية

للأستاذ عمر بهاء الدين الأميري

● شارك الاستاذ عمر بهاء الدين الاميري بهذا البحث فى المؤتمر العالمى للسيرة النبوية المنعقد اخيرا فى اسطنبول بتركيا .

بسم الله رب العالمين ، قاهر الجبارين المكابرين ناصر المؤمنين الصادقين ، ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره الكافرون والمشركون ....

صلاة الله وسلامه عليك ، ايها الصادق الامين ، يا محمد ، يا خاتم الانبياء والمرسلين ، يا صفوة الخلق ورحمة العالمين ...

احييكم ايها الاخوة فى الله ، بتحية الاسلام الطيبة الخالصة ، واعانقكم من صميم القلب وأعماق الحب ، فسلام الله عليكم ورحمته ورضوانه ، وبركاته وانعامه واحسانه .

وبعد ، فانه ليوم ، عظيم عظيم ، هذا الذي نجتمع به فى عاصمة من اكبر وأخطر عواصم الاسلام ، ماضيا وحاضرا ، ومستقبلا زاهرا .

استامبول مدينة المنائر والمآثر ، وبلد كرام الاجداد وجليل الامجاد .

استامبول ، عاصمة الدولة العلية ، والخلافة العثمانية ، التى كان ابناؤها بالاسلام وللاسلام معاقل وحصونا ، تحافظت على وحدة امتنا ومجدها . قرونا ... وقرونا ..

فالشكر لله العلى القدير جل جلاله على لقاء الاشقاء المؤمنين ، وعملهم مجتمعين مؤتمرين ، لاحياء سيرة خاتم الانبياء والمرسلين ، رسول الحق ، سيد الخلق ، هادي الاولين والآخرين الى الاسلام ، دين الله المبين . . . ان الدين عند الله الاسلام ، ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ..

يا رب ، ايمانا بك ، واخلاصا لك ، واعتمادا عليك ..

يا رب ، انبعاثا فى سبيلك ، وجهادا لاعلاء كلمتك واستمدادا من تسديدك وتأييدك .. انت القادر ، وانت القاهر .. وانت الغالب .. وانت الناصر .. ونحن عبادك عبادك .. نلتمس طولنا من طولك ، ونخرج عن حولنا لحولك ، لا اله الا انت ، ولا حول ولا طول ، ولا عزة ولا قوة ، الا بالله رب العالمين ، له الحمد وله المجد كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه .

وبعد فاسمحوا لى ايها الاخوة الاحباب ان تكون كلمتى بينكم قصيرة مكثفة ، ضنا بوقتكم ، واعتمادا على رصيدكم الكبير الجدير من العلم والفهم :

سأتناول بشكل موجز مركز ، ايها الحفل الكريم:

اثر الرسالة المحمدية فى الحضارة الانسانية :

أرسل محمد صلى الله عليه وسلم ، على فترة من الرسل ، وقد فشت فى المجتمع البشري أنواع الجاهليات : جاهلية الكفر .. وجاهلية الشرك .. وجاهلية الظلم .. فانحدرت بالانسان عن المقام الذي خلقه الله له : « خليفة فى الارض »

كانت هناك مظاهر حضارية ذات شأن ، ولا سيما فى بلاد الفرس والروم ..

أما الحقيقة الحضارية الانسانية السوية ، فلم يكن لها وجود فعال . . كانت قوى البغى متسلطة على عباد الله ، تتخذ بعض بنى آدم ، مجرد سلعة او متعة.. فالضعيف الفقير — ولو كان موهوبا وصاحب حق — يمتهن ويتاجر به .. يلحق بالارض يباع معها ..

والمرأة ، من جهة ، حيوان نجس لا تدخل ملكوت السماوات ، وقد خلقت لخدمة الرجل .. وهى ، من جهة ثانية ، اداة استلذاذ واستمتاع . .

والوليد البر ، عبء ثقيل ، لا يستراح منه الا ببيعه أو بالتخلى عنه ، بقتل وأدا ، او يتخذ عبدا..

والحكام الاكاسرة والقياصرة ، ومن يدور فى افلاكهم .. اذا تهادنوا ، غرقوا فى الملذات الشهوانية والترف المفرط الى درجة الانحلال ..

واذا تخاصموا ، اشعلوا نيران الحروب ، وجعلوا حلفاءهم وشعوبهم لها وقودا ..

والله جل وعلا ، مطلع عليم حكيم .. يغضبه كل الغضب ، أن يتعطل المعنى الانسانى ، ويختل المقصد الربانى .. وهو الذي يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى .. وقد حرم الظلم على نفسه ، وجعله محرما على عباده وهو يمهل ولا يهمل ..

وهكذا كان . . وحم الاوان . .

وولد محمد بن عبد الله فى « مكة المكرمة » مركز الكرة الارضية ، بلد البيت العتيق ، الذي رفع قواعده اجداده ابراهيم واسماعيل .. وجعله الله مثابة للناس وأمنا ..

نشأ محمد بأعين الله ورعايته ، من اسرة مجد وخير وبركة ، فى محيط عربى صحراوي ، وكانت له فى حياته تألقات انسانية فذة لا يتسع المجال للحديث عنها ..

حتى اذا كان الاجل المرصود ، اصطفاه الله جل جلاله ، هاديا داعيا معلما متمما لمكارم الاخلاق . . فكان خاتم الانبياء والمرسلين .. وكان رحمة للعالمين ..

وأخذ يستقيم امر الانسانية بعد اعوجاج .. وكان ذلك ايذانا بوضع حجر الاساس ، لصرح أمثل حضارة انسانية ، قامت فى الوجود ، جدارة وصدارة.. صلاحا وفلاحا .. صعودا وصمودا .. وملاءمة للانسان ، اي انسان فى كل زمان ومكان ..

ان الدين عند الله الاسلام .. اجل ، ان الدين عند الله الاسلام ، بعث به كل الانبياء والرسل ، على أساس توحيدي واحد ، وشرائع متعددة متجددة تلبى حاجات الامم والاقوام ، فى كل عصر ومصر .

اما محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد بعث بالاسلام التمة للناس كافة . . مصدقا لما بين يديه ، ومهيمنا عليه .. واكمله الله له اكمالا تقتضيه عالميته الممتدة .. فتوفر لدين محمد بذلك ، الثبات والتطور فى وقت معا ، وكان اعجازه الاكبر ، استيعابه للكلية الانسانية المطلقة ..

اقام محمد صلى الله عليه وسلم « الانسان » فى مقامه الاصيل « خليفة » يحمل « الامانة » ويتمتع بالعقل المميز ، والقدرة على الاختيار . . فاعاد الى بنى آدم بذلك ، الهبة النعمة الالهية الكبرى ، التى كثيرا ما فرطوا بها وضيعوها ، وسلبها بعضهم من بعض ، الا وهى « الكرامة » ..

واعلن ان النساء شقائق الرجال .. فهم سواء فى التكليف والتشريف ، فى الحقوق والواجبات ..

واكد أن الانسان هو ركن الاكوان ، سخر له ربه كل شيء ، واباح له الطيبات من الرزق ، واستعمره فى الارض ..

من هذا المنطلق السوي ، مضى الرسول عليه الصلاة والسلام ، يخطط للحضارة الاسلامية ابعادها الانسانية ، على بصيرة من الايمان ، وذخيرة من القرآن ، ومسيرة من العرفان والاحسان ..

ولم ينتقل صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه ، الا بعد أن تركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها..

وخلفه لنا ما لا نضل أبدا لو اتبعناه ، كتاب الله المبين، وسنة رسوله الامين ..

وسرعان ما اخذت الحضارة الاسلامية حجمها الكبير الخطير ، فى الاعماق وفى الافاق ، وقد حباها دين الله فى شريعته المحمدية ، من خصائصه الفذة ، ما جعلها فريدة فى التاريخ ، زاخرة بالحياة ، مرنة الاهاب .. دائمة الثبات ..

لقد كانت الرسالة المحمدية « هندسة » جديدة للكون ، وليست ثورة ولا انقلابا . انها بنيان شديد سديد ، واصلاح جذري كامل شامل ، ينهض على قاعدتين راسختين من : حتمية العمل ، ومنهجية السعي فيه ..

انها انبثاق عن الفطرة البشرية ، وتلبية سوية لها .. لان الجدارة التديرة التى جعلها الله للانسان ، تتنافى مع الحرمان .. ولان روحانية البشر الخليفة ، تتنزه عن التردي ..

وقد أوقف الاسلام « انسانه المكرم » وجها لوجه امام الله تعالى ، دون وساطات ولا كهنوتيات .. وجعل كل فرد هو المسؤول الاول فى قطاعه الخاص ، مع ركنيته وحيزه الهام فى القطاع العام لامته الاسلامية ، واسرته الانسانية ، فهو راع وهو رعية بنفس الوقت..

وانطلق الاسلام دائما ، فى سيره الحضاري الطويل من قواعد : الحق والعقل والضمير والمحبة.. وجعل طموح رسالته الى استيعاب الانسانية جمعاء .. باذلا بره ، حتى لغير معتنقيه ، مقيما العدل ، حتى مع أعدائه ، داعيا المؤمنين الى أن يغفروا حتى لمن لا يرجون أيام الله معلنا شعار السلام فى الارض ، كمبدأ دائم ، لا يخرج عنه الا محمولا على ذلك ، لدفع الظلم ورد العدوان ، يردد فى صلواته كل يوم مرات ، داعيا رب العالمين : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

وكما انفتح الاسلام ، العقيدة والشريعةوالسلوك على الاديان السماوية الاخرى ، يقر حقائقها الصادقة ويأخذ بها ، فقد انفتحت حضارته الفريدة على الحضارة الانسانية السابقة ايضا ، ومضى «انسانه» يطلب العلم ولو فى الصين .. ويجعل الحكمة ضالته اينما وجدها التقطها ..

وهكذا حافظ الاسلام لحضارته على شخصيتها الفذة وهو يخصبها باستمرار ، بكل عطاء حضاري سائغ .. وقد كان له الدور المجيد فى تأكيد وتوطيد عقيدة التوحيد .. وقد ميزه « الاجتهاد » بقابلية التكيف الارتقائى ، فكان الفقه الاسلامى يمد الحياة الحضارية المتنامية ، باشعاع متجدد للنصوص والاصول الثابتة ، التى كانت دائما وما تزال حية حركية ...

لقد كانت « الربانية » فى نظر الاسلام ، هى كبرى حقائق الوجود ، واساس النظرية الدينية العامة .. وكانت الحياة — فى فهم الاسلام — « كلا » ببرزخين أولى وآخرة ، وقد جمع ذلك عليه وجذب اليه امم الحضارات المادية والروحية على السواء .. لان الاسلام يرفض التطرفات ، ويعتمد القصد والاعتدال فى كل شيء .. فهو يلبى سائر التطلبات السوية ، للكل الانسانى ، بتوفيق ربانى عليهم حكيم .. وقد كان حرصه على تلبية هذا « الكل الانسانى » هو الذي ميز حضارته بالايجابية وبعبقرية الاستيعاب بشكل منقطع النظير ..

وهكذا ، كان دين محمد صلى الله عليه وسلم، دينا حضاريا انسانيا ، تميزت امته بالوسطية فى الزمان والمكان والانسان .. فى العقيدة والاخلاق ، وكل مجالات الانطلاق .. فحق لها أن تكون ، كما خاطبها الله سبحانه : وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا .. والشهادة تبعة انسانية مقدسة تحقق الطواعية الاجتماعية فى ممارسة الخلافة على الارض، وانها لتتسلسل، ابتداء من الضمير ، فولى الامر ، فالرسول عليه السلام فالله جل جلاله .. شهادة اثر شهادة .. وهى للامة الاسلامية سيادة للحق ، وريادة فيه ..

وقد سرى المبدأ العام للتوسط فى الاسلام ، الى نظامه الاقتصادي ، فاقامه على أساس انسانى من التراحم والتداعم ، فى التعامل والتبادل ، واحل التجارة السليمة مكانتها المرموقة ، رافضا الانظمة الربوية ، مشجعا كل الاساليب التعاونية .

وان الفقيه الحضاري المحص ، ليلمس بشكل واضح كيف أن التعايش الانسانى فى كنف هذه الوسطية قد مكن للحضارة الاسلامية من الانتشار والازدهار ، ووسع ابعادها الانسانية بشكل منقطع النظير ، ولم يكن ذلك اعتباطا بل ان توسط الاسلام وامته ، جعل لهما محورية انسانية ، واستقطابا ، فكانت الجدارة التى تستتبع بل تستلزم الصدارة ..

لقد نشأت جدارة النسق الحضاري فى الاسلام، عن انبثاق قيمه من الفطرة البشرية ، ومن حسن تلبيتها لها ، وبالتالى عن سعة مداه الحيوي ..

فكان الاسلام ، من جانب ، ولادة جديدة لمعتنقيه ثم كان من جانب آخر مساواة انسانية عامة ، أمام الله جل وعلا ، في أسس التكليف والتشريف ، فكل الناس من ذكر وأنثى ، وقد خلقهم الله ليتعارفوا ويتعاونوا ، والتقوى وحدها هي ميزان « الاكرمية » .

والاخلاق في الاسلام ، جدارة اصيلة ، لازمة لممارسها ، بصرف النظر عن الجهة التي تنصب عليها فكل يعمل على شاكلته ، وفي مختلف المستويات .. فنظام الاسلام الاخلاقي شامل متكامل ، في شتى مجالات الحياة ، وافانين الفضائل الفردية والجماعية، والخاصة والعامة والدولية ، وهو يشكل حضارة كلية قائمة بذاتها ، ومبذولة للعالمين ، حيث يقوم التعايش الانساني في ظل الاسلام بين حدين ادناهما العدل ، واقصاهما الفضل ، حتى مع الاعداء في صدور شرع الله وهداه .

أيها الحفل الحبيب النجيب

لقد أرسل الله محمدا عليه الصلاة والسلام ، هاديا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .. والسراج الوهاج ، مبذول معطاء ، لا يميز بين القلوب والدروب ، هو للجميع ، وفي شتى الاوقات والحالات .. وهكذا كان الاسلام .. وقرآن الاسلام .. ونبي الاسلام . . وحضارة الاسلام . . للناس كافة ..

أيها الحفل العزيز :

من معين الخصائص الحضارية الفذة في الاسلام : هندسة جديدة للكون وانبثاقا من الفطرة وتلبية لها ، وانطلاقا في آفاق الدعوة والتبشير ، ومواجهة للحياة في بساطة ويسر ، والتماسا للحكمة واخذا بالاجتهاد ، في رصانة مستوعبة ، وعقل متفتح، وتمسكا بالاعتدال ، مع شمول وحسن ملازمة وتوفيق وتوسطا في كل شيء ، ووصلا وتوثيقا للروابط الانسانية الشخصية والاجتماعية ، واقامة للحياة على اسس من القيم السامية ، والاخلاق العامة ، بمشاركة يمارس فيها الفرد ذاته في نطاق الجماعة ، وتؤدي الجماعة رسالتها مراعية كل فرد ..

من معين هذه الخصائص العبقرية ، نفح الاسلام دين محمد الخالد امته المسؤولة ، بنظام جامع مانع ، رحب اريحي ، ثابت في موازينه ، مرن في تطبيقاته ، منبثق من أصول ربانية راسخة ، لا تعبث بها ولا تخلخلها اهواء الناس ، وسطوات الحاكمين ، وتقلبات الزمن ، الامر الذي جعل للحضارة الاسلامية التي افادت من هذه الخصائص الفذة ، حياة تعايش حياة الانسان ما عاش ، وتلبي نموه وسموه ، بل وتأخذ بيده الى مدارج متصاعدة ، ليكون حقا خليفة في الارض، بمستوى لا نجده في اية حضارة من الحضارات البشرية الاخرى ..

هذه الحضارة الاسلامية . . كون كامل ، مستمر الزمان .. ممدود المكان .. سوي الانسان .. والحديث المستوفى عنها ، دسم خصيب ، لا يتسع له الوقت ولا يسمح به المجال ..

وبهذا كله كان اثر الرسالة المحمدية في الخصائص الحضارية الانسانية اثرا هاديا ناميا .. خالدا ابدا ، وقد تميزت حضارة الاسلام دون سواها من الحضارات ، بانها ، صاعدة .. وصامدة .. ينطلق مدها ما استمسك انسانها بدينه ، وسار على سنة نبيه وعمل بشريعة اسلامه .. حتى اذا تخاذل جمعنا، وتبعثر صفنا ، وتقاعس سعينا . . فتخلفنا عن مستوى رسالتنا ، وكادت تضيع شخصيتنا ، تسلط علينا اعداؤنا وعملوا على تعميق ضياعنا .. لم يكن من اثر كل ذلك ، رغم تفاقم كربه وتعاظم خطبه ، ان تندثر الحضارة الاسلامية كما اندثر سواها من الحضارات السالفات ، بل انها لتبقى صامدة مكابدة ، مما في جذورها من ربانية أصولها .. الى أن نأخذ بالاسباب ، فيكون الانبعاث الجديد .. والفجر الوليد .. والانطلاق السديد . نحو غد مشرق مجيد .

اجل ايها الحفل الكريم ، هكذا كان .. وهكذا سيكون .. :

الخلافات « بالخلافة » أودت ... واقتسمنا ، وسادنا الدخلاء
وادعوها قومية ، ثم نادوا ... بدعاوي قد عم منها البلاء
ساسة الحكم نابذوا شرعة اللـ ... ـه فحلت ديارنا الباساء
كم اضاعوا باسم الشعوب شعوبا ... طحنتها المكائد الهوجاء
وابادوا من الرجال فحولا ... لن يموتوا ، فانهم شهداء
واعانوا اعداءنا واستكانوا ... بل وربي هم هم الاعداء
اسلموا لليهود مسجدنا الاقصى ... وكانت طريقهم صنعاء

أي خير ! ! تضيع منـا فلسطين
لبيقى حكامنا الزعماء !!

اجل ايها الحفل الكريم ، هكذا كان .. وهكذا سيكون .. سنة الله التى خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا .. وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . . ولا يأس ! فها اننا نعيش اليوم بكل وجداننا ارهاصات الغد المنشود فى القدر المرصود ، وما هذا المؤتمر العتيد المفيد الا من خطوات السعى المبارك، فى سبيل الله نحو مستقبل مرموق ، يعود فيه الاسلام كما كان .. سائدا قائدا ... رائدا ، وان غدا لصانعه قريب .. والله قوي عزيز .. وان جنده هم الغالبون ..

اللهم لك الحمد على فضلك حتى ترضى يا رب العالمين

والف شكر لحزب السلامة الاسلامى ، ورئيسه القدير الجدير الوزير الكبير الاخ نجم الدين اربكان ، وللسيد المحترم المفضال وزير الدولة الاستاذ حسن اقصاي ، ولكل من شجع الدعوة الى هذا المؤتمر النبوي الهام ، وعمل له وسعى فى انجاحه ، وأكرمنا بالاسهام فيه . . وانى لا اريد ان ابالغ فاقول باننا سنغير وجه الكون وسير التاريخ بمجرد مؤتمر ..! فان من نواميس الفطرة ، ان النجاح لا يكون بالطفرة .. ولكنها خطوات على الصراط المستقيم ، سيكون لها ما بعدها، رغم الظلم والظلمات .. وشتى العوائق والعثرات .. وانى لاعلنها من صميم اليقين والايمان ، والعزم والجزم على عمل يحقق الله به الامل . . اعلنها عنيدا فى الجهاد والصبر ، صادقا واثقا بالنصر .. اعلنها اعلان عبد أواب هصور .. ولله عاقبة الامور :

سترى أعين العصور انبلاجا
من دياجيرنا لنور هدانا

النواميس فى ركابك يا اسلام
تمضى وتستحث الزمانا

علم الكون فى غد ونشيد
الكون طرا وخطنا وخطانا

ونجاة الوجود فى القدر
المرصود أمر يحكم القرآنا

وكلمات أخيرة قصيرة ايها الاخوة الاحباب :

كيف سنمضى فى سيرنا الدائب منذ اليوم ؟ وقد من أين نبدأ ؟ ! واي خط نتبع ؟ ! وعلى اي منهج ننطلق ، حتى نبلغ الهدف ونحقق امر الله ؟ ؟ ! ! مضت القرون على توقف مدنا الحضاري .. ومرت الدنيا باحداث واحداث . . وتمت اكتشافات واختراعات غيرت اساليب الحياة .. وتداولت السيطرة على الكون وافكار الناس قوى عديدة ، وعقائديات شتى ؟؟!!

يجب علينا اولا ان نعرف حقيقة حالنا . . ومقام الدين كما هو فى واقع حياتنا والوضع الراهن غير المداهن لاجيالنا . . ؟ !

المسلمون ؟ جدارة مسفوحة
وكرامة مجروحة ، وخصام

امم !! يشتت شملهم زعماؤهم
وعدوهم متكاتف غشام

والحكم ، لا ما انزل الله .. الهدى
لكنه الاهواء .. والحكام !

والدين فى قشر الحياة عواطف
وهواتف ، ومظاهر ، وكلام !!

رهط من الصلحاء . . يؤثر عزلة
رغدا ، على وهم العبادة ناموا !

ومنابر لموظفين تفتحت
اشداقها ، ولقد يقال كرام !

لغة القرون السالفات .. وما دروا
تتغير الازمان والافهام

و « الجيل » فى تيه التناقض شارد
يعتام منه المذهب الهدام

أصل أصيل فى الحضارة والهدى
لمعات برق فى الظلام تشام

اما السلوك فنشاة غريبة
وتمرد . . وتبدد . . وفقام

وذوو الجدارة ، والغياري عصبة
عزلاء حيرى ، والخطوب جسام

الكون تطحنه رحى مدنية
هوجاء ، جل عطائها اوهام

ومعسكرين لسامري واحد
وكلاهما هلكت به الاقوام

مكـــر اليهود وبغيهـــم وضلالهم
بعثت به الانصـــــــاب والازلام

السم فى الدسم الشهى وعالـــم
فى « الجاهلية » كالسوام يسام

اوطاننا نهب ، وأمر رؤوسنـــا
شتى ، وبقى الظالمين لهـــــام

والشعب فى زيف «التحرر» ضائع
باسم التقدم زلت الاقـــــــدام

ورسالة الاسلام ، ناموس الهدى
للعالمين .. رعاتها اقـزام .. !!

ويجب علينا ثانيا ان نعرف حقيقة الكون اوضح مما اشرنا اليه سالفا والقوى المتسلطة عليه ، وخطها الصادق بين الخيبة والفلاح ، والفرق الكبير الهائل بين السيطرة والنجاح :

يا اله الكون ، ربـــان الدنـــى اليـــوم أفـــين
لا يراعى الروح ، والانسان دون الروح .. طين !
سامري واحد « روزفلت » يدعى او « لينين »
لم يـــزل فى « تيهـــه » المنبوذ منذ « الاربعين »
هالك ، يداب كـــى يمضون وهم فى الغارقـــين
ويلهم فى المكـــر يمضون وهم فى الغارقـــين
قادهم علمهم الظاهـــر للجهــل الدفـــين
فهـــم يحيـــون لكـــن فى شقـــاء سادريـــن
مـــا الذي ينفعهم غزو فضـــاء بسفـــين
وهمو فى أرضهم صرعى بغزو « الهيروبين »
وبهتك الخمـــر والعهـــر وفتـــك المجرمين !!
سلبوا « الانسان » فحواه وسادوا غاشمـــين
سيطروا .. لكنها سيطـــرة البغـــى لحـــين

ويجب علينا ثالثا واخيرا — وقد صح عزمنـــا بقوة الله على الانعتاق والانطلاق — ان نتعمق فى تدبر قرآننا ، ووعى اسلامنا ، وهدى نبينا .. لنستخرج من كل ذلك الاسلوب الامثل لسعينا ، والمنهج الاكمـــل لانبعاثنا .. ولا تظنوا انى ساسترسل وانفصل القول هنا ، بل اننى ساكتفى عن ذلك بسبع كلمات معدودات فقط ، هى حديث شريف من جوامع حكم النبى الامى ، رسول الهدى العالمى ، يرسم لنا بوضوح تام ، وايجاز يبلغ حد الاعجاز ، الخطة الفريدة ، والمعادلـــة الرشيدة للازدهار الحضاري ، والحياة السوية المهدية ، قال او كما قال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، رحم الله امرءا عرف زمانه واستقامت طريقته » ولله در شاعر الاسلام الكبير — ولا اقول الشاعر التركـــى فحسب — محمد عاكف فقد اقتبس هذا المعنى الخالد ، فى بيت شعر لامع بارع :

دۆ غـــرو دن دو قرويـــه
قـــرآ نـــدن آلـــب الهـامـــى

عصرن ادراكنـــه سويلتمير اسلامـــــى

وانى لازيد عليه كلمة واحدة . . . قرآندن وسنتدن

وبعد ، وما بعدها بعد ، فاسمحوا لى ان اؤكد على امر هام ، لابد من ابرازه وتاكيده وتوطيده فى هذا المؤتمر العالمى الثانى للسيرة النبوية ، فى استانبول العاصمة التاريخية الاسلامية . الا وهو عدم جـــواز مقارنة الاسلام باية ايديولوجية اجنبية ، او قرنه باية صفة مذهبية لا ربانية ، فلا اشتراكية . ولا الراسمالية .. ولا الديمقراطية .. !!

وبالتالى فحتم علينا أن نترفع بمقام الرســـول الاعظم صلى الله عليه وسلم عن اي انتماء الـــى اي مذهب وضعى او نظام عقائدي طارىء مهما كان ولاي مقصد حسن كان .. فلا هو بامام الاشتراكيين ، ولا هو الديمقراطى الاول .. ولكنه صفى الله الامـــين ، وخاتم الانبياء والمرسلين ، ورحمة الله للعالمين .. واما الاسلام ، فانه الاسلام .. وكفى .

قلبى ، وحبك للقلوب شفـــــاء
بهواك يخفق ، والهوى استهداء

يا من بعثت مسددا ومؤيـــــدا
و « محمـــدا » وزكـــت بك الالاء

الجاهليـــة ظلمهـــا وظلامهـــــا
بك بدلت ايامهـــــا الســـــوداء

وتالقت من بعد حلكتها الـــدنـــى
بمكارم الاخلاق فهى سنـــــاء

لم تأت بدعا بل اتيت مصدقـــــا
ومهيمنا ، فعلت بك العليـــــاء

الله اكمل دينـــه بـــك وارتضى
واتـــم نعمته ، وعـــم حبـــاء

فى أمة وسط ، وقوم مازهـــم
خلاقهم ، فهمو همـو الشهـداء

وجعلت انت شهيدهم ومجيدهـم
طوبى لهم ، فهمو بـك السعداء

أبرمت أمر الله عدلا محكمـــا
فى الكون فاتزنت بـه الغبـراء

قسطاســه يسع الوجود بفضله
جحدته ، أم شهدت به الاعــداء

لا ينتمى الا الى الحق الــذي
فى الارض وازت كفتيه سمـــاء

انصافــه للخلــق فيــه سجاحة
وسماحة ومــروءة واخــاء

لا « الاشتراكيون » انــت امامهم
بتطرف ، أو بالهوادة جـــاءوا

والراسماليون ينتسبــــون فى
دعواهم ، كلا فـــذاك هــراء

بــل انت خاتم انبيــاء اللــه فى
الدنيا ، وانت رسوله البنـــاء

المصطفى البــر الامين بنبلــه
وبفضله ، والاســوة المعطــاء

ولانت سيد خلقــه بك كرمــت
كــل البرايا وازدهى الحنفــاء

الوحى ، وحى الله ، انت مكانــه
وبيانه وصراطـــه الوضـــاء

قرآنــه يهـدي لاقوم منهـــج
فى العالمين ، وآيه غـــــراء

فالدين عند الله من تنزيلــــه
« الاسلام » وهو احاطة وغنـــاء

علم تفــرد فى العوالــم شرعــه
فــذ ، وكــل الفلسفات مــراء

اوفــى واربى ، واستقل لذاتــه
باسم تقاصــر دونــه الاسمــاء

لا تنسبــوه الى ســواه تجنيــا
اهــى الغباوة ، أم هم الاعداء !!؟

تــور .. وديجــور .. فأين عقولكم
حكم من الله العليم .. مضــاء

القمة الاسلام « دين محمــــد »
وكفى .. بلاغ «مبرم» .. وقضاء..

اكملت فى استامبول بتاريخ 23 جمادى الاخرة 1397
11 — 6 — 1977

● **قال لقمان لابنه : احذر واحدة وهي اهل للحذر . قال : وما هي ؟ قال اياك ان ترى الناس انك تخشى الله وقلبك فاجر .**

وفى الحديث : من اصلح سريرته ، أصلح الله علانيته ..

تعصى الاله وانت تظهر حبــه — هذا لعمري فى القياس بديــــع

لو كنت تضمر حبـه لأطعتــه — ان المحب لمن يحب مطيــــع

وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية في كل زمان ومكان

للأستاذ محمد العبدلاوي

شارك الاستاذ محمد العبدلاوي فى مؤتمر الفقه الاسلامي المنعقد بالمملكة العربية السعودية تحت اشراف جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ممثلا لرابطة علماء المغرب .

وقد القى الاستاذ العبدلاوي بحثا فى المؤتمر فى موضوع : « وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية فى كل زمان ومكان » كان مثار نقاش ودراسة واسعة خلال جلسات المؤتمر .

موضوع كان من اهتماماتنا كعلماء منذ ان استرد المغرب سيادته واسترجع استقلاله أواسط الخمسينات ايمانا منا ان فترة الاستعمار التى دامت زهاء اربع واربعين سنة كان المستعمر سواء منه الفرنسى فى الجنوب ، او الاسبانى فى الشمال يهدف من وراء ما يسن من قوانين وتنظيمات الى افراغ الشخصية المغربية من محتواها الحقيقى وتجريدها من قيمها ومقدساتها لتعيش فى فراغ روحى وعقائدي ، بل ذهب المستعمر الفرنسى الى ابعد من ذلك ـ حيث استصدر مرسوما يقسم منطقة نفوذه الى شطرين تقفل فيه المحاكم الشرعية وتعوض بأخرى عرفية تحكم بما جرى به العرف والعادة لدى السكان وافق شريعة الاسلام أو لم يوافق .

وشطر تكون ـ محاكمه الاسلامية ـ خاضعة فى تسيير القضايا المدنية . . والجنائية . . والمعاملات التجارية والاقتصادية المعروضة عليها الى التقنينات الوضعية الدخيلة التى لا تتفق مع منطق الشريعة ورأي الاسلام احيانا .

ولا يخفى على السادة المستمعين خطورة هذا التقسيم وابعاده فهو من جهة يهدف الى فصل جزء كبير من الشعب المغربى عن دينه وعروبته واصالته

بقصد تجنيسه وتنصيره ، ومن جهة اخرى يريد ان يضرب المغرب فى وحدته العقائدية والتاريخية والاجتماعية التى تجمع بين العرب والبربر منذ الفتح الاسلامى .

ولذلك كان رد فعل المغاربة — عربا وبربرا — قويا وسريعا — فقد خرجوا فى مظاهرة عظيمة قاصدين جامع القرويين وبيوت الله ومرددين اسم الله اللطيف .

« اللهم يا لطيف . . نسالك اللطف فيما جرت به المقادير . . لا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابر » . .

وكانت هذه الحادثة بداية انطلاق الحركة الوطنية التى آمنت أن المس بشريعة الاسلام مس بكرامة الامة وسيادتها .

وبانتهاء عهد الحجر والحماية — طالب الشعب المغربى وفى طليعته العلماء بتصفية الرواسب الاستعمارية الضاربة جذورها فى المحاكم العرفية وغيرها وباحلال **الفقه الاسلامى** محل كل التشريعات والتنظيمات التى لا تتفق وروح . . الاسلام . . واتخذوا مواقف صريحة وواضحة فى المؤتمرات وكل المناسبات حول وجوب الحكم بما انزل الله وتطبيق شريعة القرآن ، ايمانا منهم بأن الغاية من الكفاح السياسى ، هو الرجوع الى حظيرة الاسلام ، وبأن الاسلام نظام كامل ومنهاج متكامل فمن العبث ان يؤمن اهله بالبعض دون البعض ومن الغفلة ان يؤخذ به فى الاحوال الشخصية وحدها المتعلقة بشؤون الزواج والطلاق والنفقة والعدة والميراث وما الى ذلك دون الشؤون المدنية والجنائية — اذ المغرب عرف فى تاريخه الطويل بقوة ايمانه وسلامة عقيدته وحدبه على شريعته ، شريعة الله فى أرض الله حتى فى اظلم عهود الاستعمار فكان اذا حدث خلاف بين شخص وآخر هتف كل منهما (انا بالله والشرع) اي انا معتصم بالله وراض بحكم شريعة الاسلام .

ومن اجل ذلك تأسست لجنة لتدوين **الفقه الاسلامى** وتبويبه وتنظيمه واسفر عملها عن مدونة الاحوال الشخصية التى يجرى العمل بها الان ، ثم تكونت لبعدها لجنة اخرى لمراجعة القوانين المدنية والمسطرة الجنائية على ضوء الشريعة الاسلامية التى نامل لها المزيد من الحركة والتوفيق .

أردت بهذا المدخل الى موضوع حديثى ان اعرف السادة الحاضرين بأن الشعب المغربى المسلم يخوض بكامل الثقة والايمان — كسائر الشعوب الاسلامية الاخرى — معركة هى من صميم الدعوة الاسلامية وجوهرها معركة الالتزام بشريعة الاسلام منهاجا وسلوكا وتطبيقا ، ومنطلقنا جميعا يجب أن يكون من مركز القوى من هذه الشريعة التى هى وحى من الله وبحكم من الله يجب الالتزام بها والرجوع اليها . . يقول الله تعالى : « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ، ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا » . . فكل تشريع يخالفها وكل تقنين يعارضها فهو مرفوض ومردود : « من احدث فى امرنا هذا . . ما ليس منه . . فهو رد . . ويقول الله تعالى : « فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » . .

والشريعة التى تقوم على اساس الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، مقصدها الاول : تحقيق العدالة ، ونشر الحق بين طبقات الامة حتى لا يشعر المتقاضون بنوع من الحرج والضيق ازاء الحكم الصادر لهم أو عليهم ينصرفون وضمائرهم مرتاحة ونفوسهم مطمئنة .

يقول ابن القيم : فى كتابه : **« اعلام الموقعين »**
« ان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد وهى عدل كلها ورحمة كلها وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث ، فليست من الشريعة وان ادخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة — عدل الله — بين عباده ورحمته بين خلقه » . .

والرجوع للشريعة وتطبيقها انتصار للفكر الاسلامى الاصيل الذي بقى وسيبقى يتحدى المؤامرات الاستعمارية فى العالم الاسلامى ، ويقف فى وجه كل **الانتهازيين** الانهزاميين الذين يتقمصون روح المستعمر ويدورون فى فلكه ويسبحون بحمده للذب عن القانون الاجنبى ، بدعوى التجديد والتقدمية ، وانعزال الاسلام عن الحياة الواقعية وعدم مسايرته لركب المدنية

والحضارة والتكنولوجيـــة . . وهى دعاوي لا أساس لها من الصحة . . فقد اظهرت الايام فشل هذه القوانين ورجعيتها ، وعدم فعاليتها سواء عندنا وعندهم ، ولا ادل على ذلك من شيوع الجرائم وتنوعها وتسلسلها فى انحاء العالم . . **ففى امريكا مثلا** : تتفاقم حوادث الاجرام المؤدية الى السرقة والقتل والاغتصاب بشكل فظيع ومؤسف وبلغت حوادث السرقة وحدها سنـــة **1393 — 1973** — نحو سبعة ملايين حادث سرقة، وهى فى الاشياء الثمينة كالسطو على البنوك ، كمــا هى فى الاشياء التافهة . ولو ان امريكا اخذت بحكــم الشريعة فى موضوع السرقة ، وقطعت ايدي مجموعة من اللصوص لاستراح مجتمعها من جريمة السرقة، وعاش فى امن وسلام على امواله ، مع العلم ان يد السارق لا تقطع فى كل الحالات . . فعند وجود سبب شرعى يدفعه اليها يسقط عنه الحد .

وقد اتخذت اللصوصية اليوم شكلا آخر مــن العنف والقوة . . وهو استعمالها للسلاح القاتـــل للوصول الى اهدافها ، فلماذا يشفق القانون الوضعى على يد السارق ولا يشفق على حياة المسروق منه ؟ مع ان قطع يد السارق تحفظ الامن فى المجتمع وتصون روح المسروق منه وتبعد المجرم عن كل ميل نحو هذه الجرائم المخلة بالامن العــام .

ونفس الاهداف المترتبة عن تنفيذ حد السرقة موجودة فى اقامة الحد على القاتل المتعمد للقتل ، فان كل من عرف انه اذا قتل قتل امتنع عن القتل وكف عنـــه .

ولذا قالت العرب قديما فى الجاهلية « القتـــل انفى للقتل » ويقول القرآن « ولكم فى القصـــاص حيـــاة . . »

وبهذه المناسبة اذكر بما تم فى الندوة العلمية الاولى التى تمت هنا بالرياض سنة 1392 — 1972 بين فريق من كبار العلماء فى المملكة العربيـــــة السعودية وبين آخرين من رجال الفكر والقانون فى اوربا حول الشريعة الاسلامية وحقوق الانســـان فيها ، فقد قال **رئيس الوفد الاوربى الايرلندي : « ماك برايـــد »** الاستاذ فى جامعة دبلن (من هنا وفى هذا البلد الاسلامى يجب ان تعلن حقوق الانسان على غيره من البلدان ، وانه يتوجب على علماء المسلمين ان يعلنوا هذه الحقائق المجهولة عند الراي العام العالمى والتى كان الجهل سببا لتشويه سمعة الاســـلام والمسلمين والحكم الاسلامى عن طريق اعداء الاسلام والمسلمـــين) .

قال احد اعضاء الوفد : « انى بصفتى مسيحيا اعلن انه هنا فى هذا البلد الاسلامى يعبد الله حقيقة ، وانه مع السادة العلماء بأن احكام القرآن فى حقوق الانسان بعد ان سمعها ورأى فى الواقع تطبيقها هى بلا شك تفوق على ميثاق حقوق الانسان » .

والقضية قضية ايمان ومرونة ، ايمـــان بالشريعة ومرونة عند التطبيق ، فعلينا ان نعمق هذا الايمان فى الاجيال الصاعدة عن طريق الكتاب والمنهاج والمربى حتى ينشأ المسلم وهو مؤمن ان ما شرعه الله هو من اجل سعادة الانسان وسلامة ماله وعرضه ونفسه ، ومؤمن بأن هذا الوحى جاء هاديا للانسانية وموجها لعقلها لما فيه صلاحها ونفعها وعلى العقل — ولو بلغ ما بلغ من الذكاء — أن يخضع له فى العقيدة والتشريع ، وأن يرضى برسالة السماء التى تنقذه وتصلحه وتوجهه .

وعلينا مرة اخرى ان نؤمن بمرونة الاســـلام وسعة افقه واستعداده لمد المشرع بالحلول لكل القضايا التى تحدث للناس تبعا للتطور الحضاري ، فلم يأت الاسلام ليهدم كل ما كان عليه الناس من مدنية وعادات وتقاليد ليبنى على انقاضها منهجيته وفلسفته ، وانما كان ينظر الى الاشياء بمنظار المصلحة العامة المشتركة ، فحيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله ، فما كان صالحا اقره . . وما كان فاسدا انكره . اقر الحج بعد ان حرره من مظاهر الوثنية والشرك ، ومنع **الربـــا** لانها وسيلة لاستغلال الغير والاستغناء على حسابه .

ومن هذا المنطق — منطلق المرونة والتفتح — كان علماء المغرب كسائر العلماء أمام الوقائع الجديدة يستعملون سلطتهم وينطلقون فى املاء فتاويهم واصدار احكامهم عند انعدام النص او غموضه ، وقد راعوا فيها الظروف والاحوال والتقاليد التى لا تتنافى والنصـــوص التشريعية ومقاصدها ، فتجمعت لدينا كثير من كتب النوازل ، كنوازل **الونشريشى ، والوزانى** . . التى هى عبارة عن فتاوي حول نزاعات معروضة علـــى المحاكم (1) تدفع عن الشريعة الاسلامية العقـــم

---

1) وما يترتب عنها من احكام يعتبر بمثابة نص قانون فقهى احكامى .

فى قواعدها وتهمة الجمود فى طبيعتها ، وكل ذلك يدخل فى اطار عموم الرسالة ، وان الاسلام صالح لكل زمان ومكان .

ومما يدعو للتفاؤل ويبشر بالخير أن نرى بعثا اسلاميا ووعيا دينيا يسود العالم الاسلامي من المحيط الهادي الى المحيط الاطلسى فى شتى الميادين الحساسة ذات الصبغة الاقتصادية والطابع التشريعى سواء على الصعيد القومى ، أو عن طريق المنظمات الطلابية والهيآت الثقافية .

ففى مصر تكونت حديثا لجنة عليا تتجه الدراسات التى تقوم بها لاصدار القوانين وفقا لاحكام الشريعة ، وقررت احدى لجانها الفرعية الاستعانة بالتشريعات القائمة فى السعودية ونتائج تطبيق الحدود الاسلامية على جرائم الزنا والسرقة .

وفى المؤتمر الحادي عشر للاتحاد العام لطلبة الجامعات المصرية الذي عقد بتاريخ مارس 1976 — اقر اعتبار الشريعة الاسلامية المصدر الوحيد للقوانين والحكم ، والعمل على تعديل كافة القوانين والنظم لتكون متفقة ومتمشية مع احكام ومبادىء الشرع ، وقام الاتحاد من أجل ذلك بمسيرة سامية نحو بيت الرئيس — انور السادات — وقدم وثيقة المطالبة بتطبيق الشريعة . .

وصدور هذا من منظمة طلابية مثابة تعارض تيارات مذهبية وايديولوجيات . . شرقية وغربية . . يعتبر كسبا عظيما للحركات الاسلامية وتشجيعا لها على مواصلة النضال من أجل احقاق الحق والتمسك بشريعة الاسلام شريعة الحق والعدل والرحمة للانسانية جمعاء .

وفى مؤتمر المحامين الباكستانيين المنعقد بتاريخ ماى 1396 — 1976 — ورد فى بيانهم العام **ما يأتى :**

« ان هذا التجمع لرجال الحقوق والقانون يعتقد اعتقادا تاما مدعوما من شهادات التاريخ فى مختلف ادواره بانه كلما طبق الاسلام عمليا فى قطر من اقطار الارض انتفت الجرائم ، ونالت الانسانية المنكوبة حظا وافرا من الرحمة والامن والاستقرار فى ظل الاسلام » .

وورد فى احد مطالبهم :

1) الغاء جميع القوانين التى تخالف كتاب الله وسنة رسوله فى جمهورية باكستان الاسلامية وتنفذ محلها القوانين الاسلامية ، ولتحقيق هذه المهمة يستعان برجال الحقوق والقانون الذين يجمعون بين الثقافة القانونية العصرية والفقه الاسلامى ، وتتخذ الاجراءات اللازمة لجعل المشروعات التشريعية تابعة للكتاب والسنة — فهذا الوعى العام — سادتى العلماء — بالرجوع الى الفقه الاسلامى حدث جديد وحركة مباركة لها ما بعدها ، وجاءت فى نفس السنة التى تعقد فيها مؤتمرنا هذا الذي نامل له كل توفيق ونجاح ، فما علينا الا ان نجتاز مرحلة التصور الى التصديق وتخطى عقبة التخطيط الى التنفيذ .

علينا وقد استمعنا واياكم الى البحوث العميقة والمقالات التحليلية البناءة من اخصائيين فى التشريع والاقتصاد والفكر الاسلامى أن نفكر بعدما اتضحت لنا الرؤية وانكشفت الحقيقة فى الوسائل العلمية والعملية لانجاح ما سيفسر عنه هذا المؤتمر التاريخى الذي ينتظره خصومنا فى الداخل والخارج للحكم له او عليه خصوصا وان موضوعاته المدروسة والمعروضة فى ورقة عمل من صميم . . الدعوة الاسلامية وجوهرها .

لا نكتفى ابدا باصدار توصيات أو اتخاذ قرارات ثم نفترق ولكل وجهة هو موليها بل انى احدد والح بصفة خاصة ان يكون للمؤتمر الموقر لجنة عليا من كبار العلماء الحاضرين وحتى من بعض الذين لم تسعدهم ظروفهم بالحضور معنا يعهد اليها بتبويب النصوص التشريعية الاسلامية ووضعها فى قالب جديد وصيغة مبسطة يسهل الرجوع اليها والاستفادة منها .

2) بالاتصال مباشرة بملوك ورؤساء وقادة الشعوب الاسلامية ليقنعوهم بضرورة العودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية خصوصا وان دساترهم تنص على ان الدين الرسمى للدولة هو الاسلام ، وما دامت الشعوب تؤمن بالاسلام عقيدة وشريعة ومنهاجا فعلى أولياء الامور أن يستجيبوا لرغبات شعوبهم .

3) تنسيق الجهود مع المنظمات الاسلامية المؤمنة بعدالة شريعة السماء وعموم الرسالة من اجل توحيد طرق الكفاح والنضال والسيرة على درب الاســـــلام .

* على أن يوفر للجنة المذكورة مع الامكانيات المادية ، والتشجيعات الادبية ما يساعدها على القيام بمسؤوليتها الجسيمة فى احسن الظروف والاحوال ، وما ذلك على همة مؤتمركم بعزيــز .

* وحفظ الله بطل المملكة العربية السعودية ـ خالد بن عبد العزيز ـ وابقاه ذخـرا وملاذا للعروبة والاسلام . ووفق اللـــــه جمعكم وبارك اعمالكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فاس ـ المغرب محمد العبدلاوي

● قال عمر بن الخطاب للقراء وهم أهل العلم : يا معشر القراء التمسوا الرزق ولا تكونوا عالة على الناس .

وذكر رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد فى العبـــادة والقوة على العمل .. وقالوا : صحبناه فى سفر فما رأينا بعدك يا رسول الله اعبد منه ، كان لا ينفتل من صلاة ولا يفطر من صيام .

فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم فمن كان يمونه ويقوم بـــه ؟ قالوا : كلنا . قال النبي عليه الصلاة والسلام كلكم أعبد منه .

نظرية الإصلاح الاجتماعي

عند تاج الدين السبكي

للأستاذ فاروق حمادة

* لم يعرف التاريخ الانساني امة ذات حضارة وصلت قمة المجد وتربعت عليها من غير نزوح او نزول ولم تعرف الارض مجتمعا بقى في مثالياتـــه يعيشها ويحياها دون ضمور او ذبول ، بل الـــذي حفظه التاريخ ـ ومنه نقيس الغائب على الشاهد مما لم يصلنا عنه شيء ـ ان امما ترتفع فتبني دولا قوية وسلطانا واسعا ثم يعتريها الافول ، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بأوجز عبارة فقال : « وتلك الايام نداولها بين الناس » (1) ، وهذا الامر هـــو الذي دعا علماء الاجتماع بدءا من عبد الرحمن بن خلدون ، الى يومنا هذا ، الى اعطاء هذه الظاهرة حقها ، فسماها ابن خلدون في مقدمته (2) : أعمـــار الدول اذ قال : الا ان الدول في الغالب لا تعدو عمر ثلاثة اجيال . . . (حوالي 120 سنة) .

وسماهـــا المعاصرون (الدورة الحضاريـــة) وقسموا بناء على ذلك المجتمعات الحضارية قديمهـــا وحديثها الى وحدات مستقلة (3) .

* واذا كان قيام الحضارة ورقي المجتمـــــع يستلزم ضرورة وجود مجموعة من العناصر والشروط فكذلـــك انحداره ونزوله يكون بأسبـــاب ومؤثرات ، وبصفة عامة فان هناك بعض الجوهريات والاساسيات في قيام الحضارة وارتفاعها لا تختلف بين امة واخرى قديما وحديثا ومستقبلا ، وبعضها الاخر يختلـــف باختلاف المكان والزمان والامة ، ولكن اسباب الانهيار الاجتماعي والذبول الحضاري واحدة لا تتغير بين أمة واخرى مهما تباعدت واختلفت ، وقد أبرز القـــرآن الكريم هذه الناحية ابرازا هاما ، فحين يقص علينا اخبار من سلف وشؤون من مضوا من الامم والمجتمعات ثم يعقب عليها بنتائج عامة تنطبق على القوم المتحدث عنهم وعلى غيرهم من نظر على سبيل المثال قولـــه تعالى في سورة هود ، وهي في غالبها تتحدث عن خالي العصـــور ودائر الاقوام ، وتبين ارتكاســة كل قوم ومفاسدهم التي تفننوا فيها على حدة يأتي الحديث الالهي معقبا عن ذلك فيقول : « ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ، ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد ، ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس ، وذلك يوم مشهود . . . الايـــات » (5) . انهم تشابهوا جميعا وسلكوا نفس الجادة الى اودت بهم الى دار البوار دنيا وآخرة ، وهي سبيل كل من يسلكها .

وغير خاف ان انهيار الحضارة وزوال مجتمع ما لا يتم بين لحظة واخرى ، بل يستغرق وقتا ليـــس بالقصير ـ كما هو شأن بنائه ـ فاذا تداركت يـــد الاصلاح ما تصدع منه ، وتوجهت الهمم لترميمه حافظ على توازنه واستمراره ، والا فقد انساب في ضباب النسيـــــان . . .

※ واهم شيء في استمرارية عظمة المجتمع ان يكون اهله خصوصا الطليعة المثقفة على معرفة تامة بجميع جوانبه سلبيها وايجابيها ، ليحافظوا على الصالح ، ويتعاونوا على ازالة المفاسد ، وقد ادرك الانسان المتحضر هذا منذ القديم فتجلت هذه الفكرة عند افلاطون في (مجلس المدينة) وتجلت في الفكر الاسلامي في مجلس الشورى ، وفي الحضارة الغربية الراسمالية بـ (البرلمان) وفي الفكر الماركسي وبنياته بـ (مجلس الشعب) او بالتنظيم للحزب الواحد . . . الـخ .

※ واذا كانت آراء المصلحين الاجتماعيين تختلف في قليل أو كثير تبعا لتكوينهم الفكري وموقعهم الحضاري واهدافهم ومثلهم التي يرومون ادراكها ، فانهم يتفقون جميعا على ان المجتمع هو حقل تجاربهم ومحور بحثهم وميدان عملهم ، كما ان عظمة المصلح تظهر من خلال نظريته التي يعرضها لرد الغوائل عن المجتمع ، وان كانت بعض النظريات تجد سبيلها للتطبيق ، وبعضها الاخر يبقى مسطورا للوارثين ، فان عدم تطبيقها لا ينقص من قيمتها ، ولا ينزل من مرتبتها التي تستحقها .

※ وقد عرف المجتمع الاسلامي في تاريخه مصلحين كثيرين صرخوا فيه صوت البعث والنشور ، ونادوه بلهجة المثقف المخلص الغيور ، فوجد بعضهم صدى لارائه وافكاره في عصره بل وفي حياته ، فان بعضا منهم لم يجد ذلك الاثر المرتجى ، ولمسه من جاءوا بعده (6) .

ومن هؤلاء المصلحين الكثيرين الذين عرفهم تاريخ المسلمين ، الامام تاج الدين ، عبد الوهاب السبكي الذي ولد في القاهرة سنة 727 هـ او بعدها بسنة او سنتين وتوفي بدمشق سنة 771 هـ رحمه الله تعالى وهو قاضي القضاة ، ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي .

كان تاج الدين السبكي رحمه الله من الائمة الكبار الذين تبحروا في الفنون والعلوم السائدة في عصره وقد تلقى كل علم على اشهر امام له في ذلك العصر حتى اصبح مجتهدا في المذهب الشافعي ثم تخطى ذلك الى مرحلة الاجتهاد المطلق ، يقول عن نفسه في رسالة كتبها لبعض المسؤولين في الدولة : وانا اليوم مجتهد الدنيا على الاطلاق لا يقدر احد يرد على هذه الكلمة » ويعقب السيوطي على ذلك فيقول الامام تاج الدين مصدق فيما يقول عن نفسه .

ترك وراءه تراثا فكريا ضخما منه جمع الجوامع في اصول الفقه (جمعه من مائة مصنف هو اعجوبة في بابه) ، والاشباه والنظائر ، وطبقات الشافعية — كبرى ، ووسطى ، وصغرى — ونظريته الاصلاحية وسماها « معيد النعم ، ومبيد النقم » وغير ذلك من مؤلفات اخرى (7) .

هذا من الجانب العلمي ، اما من الجانب الاخر فان تاج الدين قد تقلب في مناصب وظيفية متعددة نشا في كنف والده قاضي القضاة تقي الدين ، ثم اصبح في شرخ شبابه مدرسا في كبريات المدارس ومنصب التدريس آنئذ منصب رفيع جليل ، ثم رقي في الادارة حتى اصبح موقعا للدست بين يدي ملك الامراء علاء الدين الماريدني بالشام (8) ، وهو منصب عال كذلك ، ثم رقي الى ان اصبح قاضي القضاة وناهيك به من منصب رفيع ! !

عاصر دول المماليك من الاتراك والشراكة في مصر والشام ، وشاهد من تقلبات الدهر وعواصف الفتن والاضطرابات الشيء الكثير ويكفي أن نلاحظ انه خلال حياته القصيرة التي لم تتجاوز الاربعة والاربعين عاما توالى على منصة الحكم ثلاثة عشر حاكما . . !!

اما المجتمع فقد آل الى درك من الانحطاط ادى به الى ان يخر منهارا تحت اول ضربة لهولاكو وجيوشه وضج الناس من سوء الحال ، وبدءوا على اختلاف طبقاتهم يتلفتون يمنة ويسرة يتلمسون الخلاص فكتب قاضي القضاة السبكي في تلك الظروف العصيبة كتابه العظيم « معيد النعم ، ومبيد النقم » وضمنه منهجا اصلاحيا متكاملا ، بعد خبر المجتمع من جميع جوانبه ، كموظف سام في الدولة وخطيب وامام في المسجد ، ومدرس للشباب والناشئة في معاهدهم وكمرجع لعامة الناس وخاصتهم في القضايا الخاصة والعامة باعتبار منصبه في القضاء ، فهو بهذا احاط بالامور خبرا ، وبالعلل الاجتماعية معرفة ونظرا ، واتيح له ما لم يتح لغيره .

※ كان السبب المباشر لعرضه نظريته سؤالا ورد عليه من بعض الناس يسأله فيه عن الطريق التي يسلكها الانسان لرد مجده بعد الزوال ، ونعمته بعد الانحراف عنه فاجابه جوابا مختصرا ، فطلب السائل

منه البسط والشرح توافق ذلك هوى فى نفسه وعرضها بشىء من التفصيل .

اسس نظريته :

1 — اصلاح الانسان :

كان الامام السبكى يرى حالة الفقر جاثمة أمام عينيه ، والفساد مستشر والفوضى منتشرة ، والخلل فى كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية ، فلم يتجه الى شىء من هذه الاعراض بالاصلاح بل اتجه الى مصدر ذلك كله ، اتجه الى (اصلاح الانسان) فبصلاحه يصلح المكان والزمان وركز عليه من الناحية التربوية ، وبنائه بناء سليما مستقيما ، وابرز امرين هامين فى اصلاحه :

اولهما :

اثر القيم والمثل فى حياة الفرد ، والنتائج الطيبة المثمرة اذا تعلق بها ، ولم ينس ان يذكر بين الحين والحين ان يذكر بما يتطلبه الالتزام بالقيم من صبر وتحمل . . . ويصل التعلق بالقيم قمته عندما يراقب الفرد ربه فى كل عمل من اعماله وكل حركة من حركاته سواء جر نفعا أم مغرما ، فهو ينظر الى ذلك ولا ينظر الى الربح والفائدة الشخصية .

وبما ان السبكى من العلماء الراسخين الذين اوتو حظا وافرا من العلم والعمل ربط هذه القيم التى يمكن ان نقول عنها خلقية ربطها بالعقيدة الاسلامية الصحيحة ، وربما لم يخطر بباله ان يخرج فى نظريته عن العقيدة الاسلامية والمثل الاسلامية ، ويقول فى ذلك :

(مصلحة الخلق فيما شرعه الخالق الذي هو أعلم بمصالحهم ومفاسدهم ، وشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم متكفلة بجميع مصالح الخلق فى معاشهم ومعادهم ولا يأتى الفساد الا من الخروج عنها ، ومن لزمها صلحت أيامه واطمأنت . . . وكذلك اعتبرت فلم أجد من يظن انه يصلح الدنيا بعقله ، ويدبر البلاد برأيه وسياسته ، ويتعدى حدود الله تعالى وزواجره ، الا وكانت عاقبته وخيمة ، وايامه منغصة منكدة ، وعيشه قلقا ، وتفتح عليهم ابواب الشرور . . . وهو شقى فى الدنيا والاخرة .

ويقول عن الشكر على النعمة (أما القلب فالمراد منه أن تعلم وتعتقد أن الله هو الذي منحك النعمة لا أحد سواه شاركه فان كل من تقدره من كبير وأمير ووزير وصاحب وخليل ووالد وغيرهم لا يقدر على فعل شىء لنفسه فضلا عن غيره ، وان جرى على يديه خير فالله تعالى هو الذي أجراه على يديه . . . ص 4)

ويقول مذكرا السقاة بين يدي من لهم سلطة عليهم (ونذكر الساقى بشيئين اثنين ، أحدهما : انه لا يحل لساق يؤمن بالله واليوم الاخر أن يحضر لمخدومه منكرا يشربه ، وعليه اعمال الفكرة والحيلة فى سد هذا الباب . . . وثانيهما : حفظ حق مخدومه والخشية عليه من عدو يضع له فى المشروب ما يهلكه من سم ونحوه ، وقد بلغنا عن جماعة من المماليك السقاة قتل مخاديمهم لاغراض الدنيا فقبحهم الله من طائفة . . . ص 31) .

وثانى الامرين :

هو شعور كل فرد بكرامته ، لانه يستمد ذلك من الله خالق الوجود ، ثم تقديره لامكاناته وقدرته بأن يضعها فيما خلقها الله سبحانه وتعالى له فى سبل الخير والحق والفضيلة ليساهم مساهمة ايجابية صحيحة فى بناء المجتمع ، يقول فى ذلك : والضابط أن تستعمل نعم الله تعالى فى طاعته وتتوقى من الاستعانة بها على معصيته . . . لان الله سائل الانسان عن ذلك « ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا » . ويقول مثلا لذلك : من شكر نعمة العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم وتغضها عن أحكام القبيح . . . ويقول : من شكر نعمة الاذنين الا تسمع حراما ، وان تستر كل عيب تسمعه . . . ص 12 .

2 — عموم المسؤولية :

لا يحمل الامام السبكى مسؤولية انهيار المجتمع لفرد معين او لطائفة مخصوصة بل يشارك فيها جميع افراد الامة ، وكذلك عملية الاصلاح يجب ان يشارك فيها المجتمع وان كانت المسؤولية فى طرفيها تختلف ضخامتها بين شخص وآخر ، ولهذا بدا بالخليفة ومن دونه مرورا بالقادة والمسؤولين الكبار ثم أرباب الفكر والثقافة ، ثم اصحاب الصناعات

والتجار والحرفيين ، وانتهى الى الشحاذ الذي انبه وطالب السلطة بمنع هذه الطبقة وازالتها ، ومن خلال ذلك نلاحظ انه قسم المسؤولية ثلاثة اقسام :

1 ـ مسؤولية رجال الدولة والسلطة .

2 ـ مسؤولية الطليعة المثقفة ورجا لالفكر .

3 ـ مسؤولية الحرفيين وعامة الناس .

وفي توزيعه هذا للمسؤولية نجده يضع القسط الاكبر منها على رجال الدولة والسلطة ، وفي هذا يقول مخاطبا اصحاب المسؤوليات والمراتب (اذا ولاك الله تعالى امرا على الخلق ، فعليك البحث عن الرعية والعدل بينهم في القضية ، والحكم فيهم بالسوية ، ومجانبة الهوى والميل . . . ص 13) .

ويجعل قوام مسؤولية أصحاب السلطة تنحصر في أمرين اثنين البحث عن مصالح الامة ، واقامة العدل في ربوعها .

ويقول في مكان آخر : (فان الله تعالى لم يوله على المسلمين ليكون رئيسا آكلا شاربا مستريحا بل لينصر الدين ويعلي الكلمة . . . ص 17) . وبعد أن يطيل في الحديث عن الاداريين كالوالي ، والمحتسب ووكيل بيت المال وغيرهم يأخذ نفسا عميقا لينتقل الى طائفة المثقفين وهي في عرفهم « العلماء » ومن يلتحق بهم كالمؤذن والمنشد . . . ليطيل معهم الحديث ويفصل لهم الامور تفصيلا باعتبارهم غالبا ما يكونون مستقبلا رجال السلطة والدولة، ويقسمهم الى فرق كثيرة حسب تخصصاتهم فيقول عنهم : ، وهم فرق كثيرة منهم المفسر والمحدث والفقيه والاصولي والمتكلم والنحوي وغيرهم وتتفرق كل شعبة من هؤلاء شعوبا وقبائل ويجمع الكل انه حق عليهم **ارشاد المتعلمين ، وافتاء المستفتين ، واظهار العلم للسائلين** ، فمن كتم علما الجمه الله بلجام من نار ، والا يقصدوا بالعلم الرثاء ، والمباهاة والسمعة ولا جعله سبيلا الى دنيا ، فان الدنيا اقل من ذلك . . . ص 67) .

ثم يبدأ بتفنيد زغلهم وأسباب انحرافاتهم (9) ، وهو الخبير المطلع على أحوالهم اذ عاش معهم وسكن بينهم ورافقتهم . ويبين ثلاثة اخطار هامة في حياة العلماء والمثقفين ، اولها : جعل العلم مطية للدنيا ومطامحها واذلال هذا العلم لمن بيدهم شيء من الدنيا ، وثانيها : خطر الضلالات الفكرية التي تعرض للكثير منهم فينفث سموما قاتلة ، ومثل لذلك بالمؤرخين ، واصحاب المذاهب الفلسفية ، والذين يتقعرون في فنونهم بما لا فائدة فيه . وثالثها : مخالفة السلوك للقول في حياة العالم .

ثم يتناول أصحاب الحرف والصناعات والتجار واصحاب الاموال وينصحهم الا يكونوا مطية لمن فوقهم يستغلونهم في المنكرات ، وخلق المفاسد والمفاتن والبدع وسيء العادات ، يقول مثلا عن الطوفية : (وهم بين البساتين والمساكين الخارجة عن البلد كالحارس بين الدروب في وسط البلد ومن اقبح صنع هؤلاء المداجاة على جلب الخمر لمن يرضيهم بحطام الدنيا ، فلا ينكرون عليه المنكر مع انكارهم زائدا على الحاجة على من لا يرضيهم . . . ص 146) .

ويقول عن الصباغ (ومن حقه الا يصبغ بمحرم وقد كثر منهم الصبغ بالدماء وذلك محرم . . .) .

3 ـ القيام بالواجب :

والاساس الذي ظهر بارزا جدا في آراء السبكي قيام كل فرد بواجبه . وهذا امر في غاية الاهمية ، ففي ايامنا هذه نشهد موجة المطالبة بالحقوق دون النظر الى القيام بالواجبات غالبا ، ولكن السبكي لا يعير جانب المطالبة بالحقوق اي اهتمام لانه في رايي يأتي نتيجة طبيعية للقيام بالواجب ، فاذا قام كل فرد من اعلى طبقات الامة الى ادناها بواجبه فقد وصل لكل واحد حقه دون حواجز او موانع ، ومن هنا نجده يتحدث عن كل طائفة بما عليها القيام به وعمله واليك بعض الامثلة :

يقول : (فمن وظيفة السلطان تجنيد الجنود ، واقامة فرض الجهاد لاعداء كلمة الله . . . ص 16)

وعن الخازن يقول : (وحق عليه الا يمطل من احيل اليه . . . ص 26) وعن كتاب الدواوين : (وعلى الكل الامانة، وتجنب الخيانة . .) .

وعن المدرس (وحق عليه ان يحسن القاء الدرس وتفهيمه للحاضرين . . . ص 105) (على صاحب المال اداء الزكاة . . .) والرهان (وعليه الا يصور صورة حيوان ، لا على حائط ولا على سقف . . . ص 130) والحارس (وحق عليه ان ينصح لاهل الدرب ، ويسهر عينه اذا ناموا . . . ص 130) .

ويخلص التاج السبكى فى عرض آرائه الى ان بداية الانحدار الاجتماعى هو الاخلال بالقيام بالواجب الذي يتعلق به حقوق جميع ابناء المجتمع فيقــول : (وما من وظيفة الا وللمسلمين حق على صاحبها .. ص 49) ويقول فى فاتحة كتابه ص 3 : (اعلم انها لم تزل عنك الا لاخلالك بالقيام بما يجب عليك مــن حقوقها ...) ، وينقل عن والده تقى الدين رحمه الله تعالى رأيا فى غاية الاهمية وهو قوله : (لكل مسلـم عندي ، وعند كل مسلم حق فى اداء هذه الصلوات الخمس ، ومتى فرط مسلم فى صلاة واحدة كان قـد اعتدى على كل مسلم ، واخذ له حقا من حقوقــه لعدوانه علــى حق الله تعالى ، قال : ولذلك اسمع دعوى من يدعى على تارك صلاة واجبة ، وان لـم يرع على وجه الحسبة لان لكل مسلم فيها حقا ... لان المصلى يقول : السلام علينا وعلى عباد اللــه الصالحين ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : ان المصلى اذا قال هذا اصاب كل عبد صالح فى السماء والارض ، ورايت للقفال ما يقتضي ذلك .)

وان هذا المفهوم الاجتماعى فى الاسلام فريد من نوعه ، كما هو فريد فى مفهومه وتركيبه ، ونلاحظ ان السبكى يؤكد ان من القيام بالواجب البحـث عن اسباب الضعف ليتجنبها ، وموجبات علله ليتخلــى عنهـــا .

كيف عرض السبكى آراءه ؟ واسلوبه فى ذلك :

السبكى اصولى كبير ، وناهيك به انه صاحب جمع الجوامع فهو منطقى راسخ وذو فكر فلسفـى واسع ، لم يشأ ان يعرض آراءه على طريقــة الفلاسفة والمناطقة لان ذلك يجعلها حبيسة لطائفة معينة ، بل أراد أن تكون قريبة من المجتمع الذي يعالجه وفى متناول جميع الناس ، لا سيما والطبقة الحاكمة فى عصره من الاعاجم الذين لا يجيدون العربية ـ شأن اكثر العصور المتأخرة ـ وكان فى اسلوبه واضحا سهلا يستعمل الكلمات الاعجمية خصوصا فى اسماء المراتب والمناصب التى تعارفها الناس ، واصبحت تحمل معانــى محددة ، ولكن الشىء المهم هو ان ملء هذا الاسلــوب الصراحة وقولة الحـق دون خوف او وجل حتــى ان صراحته دعته الى استعمال بعض التعابير القاسية ، ولكنها قسوة فى موضعها كما فى قوله : (فمن خطر له انه ان لم يسنك الدماء بغير حق ، ويضرب المسلمين بلا ذنب لم تصلح ايامه ، فعرفه انه جهول باغ احمق حمار ، دولتــه قريبة الزوال ومصيبتــه سريعة الوقوع ... ص 41) ، وان السبكى فى هذا حجة على الوارثين ...

وقد تناول طبقات الامة فى الحكومة والشعب وبين واجبات كل طبقة بأمثلة واقعية من الانحرافات وكثيــرا ما ينقل مشاهداته الشخصية ، وتجاربه الذاتية التـى جناها خلال رحلته فى الناس والحكومة كموظف وعالم ، ويحدد الوقائع بالاسماء والاماكن ، ويعقب على ذلــك بنقل العبرة والعظة من السابقين ويمتثل قوله تعالى : « ان فى قصصهم لعبرة » فينتقل من احداث الماضـــى وسطور التاريخ ما فيه عظة للمتعظين مما يضفى على نظريته طابع العمق والشمولية فى استقصــاء الاراء ، ويعطيها بذلك حيوية نابضة لا تضعف ولا تذبل مـــع الايام ، وهو لا ينسى احدا من طبقات الشعب والامــة حتى المؤذن والصيرفى ، والسجان ، والدهان ، وسائس الدواب ، والمحامى ... الــخ .

قيمــة هــذه النظريــة :

ولا شك أن كثيرا من مظاهر الحياة قد تغيرت بين القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي / والقرن الرابع عشر هجري / العشرين ميلادي / فماتت مظاهر واستحدث أخرى ، الا ان الانسان هو الانسان ، ومــا زال المجتمع هذا هو امتداد لذاك المجتمع ، واعنى به المجتمع الاسلامى ونظرية السبكى ما هى الا صدى قوي للقرآن الكريم والسنة النبوية ، وتعطى الجانب الاكبر للروح والتربية الخلقية ، فالاساس الاول الذي التفت اليــه الا وهو اصــلاح الانسان ، وقــد وفــق فى ذلك جدا حيث اننا نشاهد صدق ذلك فى ايامنا هــذه حيث اتجهت كثير من الدول ومنها الاسلامية فى نهضتها الى اصلاح الجانب الاقتصادي او المالى ، او القانونى او السياسى ولكنها لم تتجه الى الانسان تمشيا مع روح الحضارة المادية او مع جانبها المتطرف والذي اصطبغ بالماركسية ففشلت جميع تجاربها اذ تضخمت فى جانــب الانتاج واخفقت فى حسن توزيعه والاستفادة منه نتيجة لشره للانسان ، الذي سحق فى غمرة ذلك ، فكثرت الجرائم وتفشت المفاسد بما لا يخطر على بال ، (ففى تقرير المنظمة الدولية العربية للدفاع الاجتماعى التابعة للجامعة العربية ان معدل الجرائم ضد الاموال فــى ارتفاع مع عملية التنمية الاقتصادية اذ تزداد فــرص الاعتداء عن الاموال عندما يصبح المجتمع اكثر انتاجــا وتعقيدا ، وتحضرا وتصنيعا ، ومن ثم نجد ان نسبة عالية من جرائم الاحداث والشباب فى غالبية البلاد ذات

طابع اقتصادي ، مثل السرقة ، والاختلاس ، واقتحام المنازل والسرقة بالاكراه (10)) ، وقد لفتت هذه الناحية نظر كثيرين من علماء الاجتماع والتربية في العالم وابرزوا ان كل عمل وتنمية لا ترتبط بالجانب الانساني هي فـــي حقيقتها شقـــاء .

والناحية الهامة كذلك في هذا الاساس ربط القيم بالعقيدة ، وان كان بعض المفكرين يرى الفصل بينهما ، فاننا مع السبكي نرى انه لا مكان للقيم بدون عقيدة .

اما عن الاساس الثاني وهو عموم المسؤولية : فنلاحظ أن العجزة والمغفلين هم الذيـــن يحملـــــون المسؤولية للحاكم وحده أو شخص معين أو طائفـــة معينة ، والواقع انه ما من فرد الا ويحمل جزءا مـــن المسؤولية ، فهو ان لم يكن مساهما في أحداث غيـــر المشروع فيحمل المسؤولية من الجانب السلبي حيث يسكت عليها ويدعها تنتشر ولا يتدخل لايقافها والحد منها ، وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلـــم : (اذا هابت أمتي أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم) فاللامبالاة الاجتماعية تتساوى في التجريم مع الفعل الايجابي ، والامتناع عن اعلان الراي بشأن المخالف للشرع يعتبر نوعا من الاشتراك في المخالفة(11) وبهذا كان السبكـــي عميق النظرة واعى الفكرة مصيبا في وجهته الاصلاحية .

اما عن القيام بالواجب فاعتقد انه بداية الحركية الى الامام في اي مجتمع وبمقدار ايمان ابناء الامـــة بواجب القيام بالواجب تكون قفزتهم الى الامام سريعة واذا ادبر الناس عن ذلك ولو مع النوايا الطيبة فلن تفلح الامة في انجاز عمل أو اداء مهمة ورسالة فـــي هذه الحياة ، وان القيام بالواجب نحو الاخرين والمجتمع رباط قوي وعامل أساسي فعال في اندماج الافراد في البوتقة الاجتماعية التي يتوقف على الشعور بها قيام الامة كاملة وليست مجموعة متنافرة من الافراد ذوي المصالح المتعارضة ، وان القيام بالواجب لهو رداء راحة وسعادة يشعر بها ابناء المجتمع ، ويتفيؤون ظلالها ان كانت ، والا فالتذمر والشكوى والانحراف ...

وكم كان السبكي رحمه الله موفقا في اختياره للعنوان : « معيد النعم ، ومبيد النقم » (12) ، وكم هي جديرة بالقراءة هذه النظرية الاصلاحية والتأمـــل والتدبر من ابناء المجتمع العربي والاسلامي علـــى اختلاف مستوياتهم وثقافتهم وهم يحاولون النهوض من العثار ، والتخلص من آثار الاستعمار وهي نظرية يحتاجها الحاكـــم المسؤول والسياسي والمثقـــف ، والصانع والتاجر ، وكل من يعنيه شأن أمته ووطنه ، لا يغض منها مرور الزمن ، فهي حية نابضة منها هدى ونور ، لانها تستند الى كتاب الله الخالد ، رحم الله السبكي المصلح الاجتماعي الكبير ووفق العاملـــين للخير ، وهدانا جميعا سواء السبيـــل .

الربـــاط : فاروق حمـــادة

الهـــوامـــش :

1) سورة آل العمران ، الاية 130 .
2) المقدمة ص 170 ط المكتبة التجارية .
3) جعلها المفكر الانجليزي المعاصرة توينبي تسعة عشر مجتمعا وهي : الغربـــي ، الارثوذكسي ، الايراني ، الغربي الهندوكي ، الشرق الاقصى ، الهيليني ، السوري ، السندي ، الصيني ، المينوي ، السومري ، الحبشي ، البابلي ، المصري ، الاندي ، المكسيكي ، اليوكاتي ، الماياني ، انظر كتاب مختصر دراسة التاريخ 57/1 .
4) تحدثت عن ذلك في بحث مطول تحت الطبع بعنوان : « مقومات المجتمع ومهدماته » .
5) كمانلاحظ ذلك في افكار ابن تيمية التي خطت مجراها مع الزمن لتنطلق من جديد مع المصلح محمد بن عبد الوهاب الذي تبناها ونشرها وما زال اتباعه ينشروهـــا .
7) انظر ترجمته في (الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة) لابن حجر التسعلاني 426/2 ، (وحسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة للسيوطي) 182/1 ، وشذرات الذهب لابن العماد 221/6 ، وداراة المعارف الاسلامية مادة سبك ص 11/ 263 .
8) توقيع الدست احد المناصب الكتابية بمجلس السلطان آنئـــذ .

9) له سلف فى ذلك هو ابن الجوزي رحمه الله فقد الف كتابه تلبيس ابليس أو نقد العلم والعلماء ولنا معه وقفة ان شاء الله .

10) اعد هذا التقرير الدكتور محمود عبد القادر رئيس وحدة بحوث الاسرة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة ، انظر : دستور الاخلاق فى القرآن للدكتور المرحوم عبد الله دراز ، ص ل مقدمة المعرب .

11) أنظر تقديم السيد محمد بدوي للكتاب المتقدم ، ص (ي و) .

12) طبع الكتاب مرات عديدة منها ثلاث مرات بمصر ، ومرة فى ليدن سنة (1908) بعناية المستشرق موهرمن ، ولم أر سوى الطبعة المصرية من المطبوعة بدار الكتاب الغربى عام 1948 ، وعزو الصفحات اليها .

● **لما قدم معاوية من الشام ، وكان عمر أمير المؤمنين قد ولاه عليها ، دخل على أمه هند فقالت له : يا بني : انه قلما ولدت حرة مثلك ، وقد استعملك هذا الرجل فاعمل بما وافقه أحببت ذلك أم كرهته . ثم دخل معاوية على ابيه أبي سفيان فقال له : يا بني أن هؤلاء من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم ، فرفعهم سبقهم ، وقصر بنا تأخرنا ، فصرنا أتباعا وصاروا قادة ، وقد قلدوك جسيما من أمرهم ، فلا تخالفن امرهم ، فانك تجري الى أمر لم تبلغه ، ولو قد بلغته لتنفست فيه ..**

قال معاوية : قد عجبت من اتفاقهما فى المعنى على اختلافهما فى اللفظ ..

إستدراك

● نلفت انتباه السادة القراء الكرام الى أنه فى السطر الاول ، العمود الاول من الصفحة 13 من العدد الماضي نقرأ الآية الكريمة من سورة النمل فى مقال الاستاذ محمد العربي الخطابي هكذا :

« وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين » .

والله يعصمنا من كل زلل ●

دراسات مغربية

- ملامح من تطور المغرب العربي
- أبعاد الحضارة المغربية
- صدى الفارابي في المغرب
- نشأة المسرح المغربي
- القاضي عياض



ملامح من تطور المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة

- 2 -

للأستاذ محمد المنوني

وساوق هذه الهجرة الاندلسية وفود جاليات شرقية على المغربين الاوسط والادنى ، وكان هؤلاء هم الاتراك العثمانيين الذين ابتدا حكمهم بالجزائر من عام 924 هـ / 1518 م ، وفى ليبيا عام 926 هـ/ 1520 م . وبتونس عام 981 هـ / 1573 م .

يضاف للجاليتين الاندلسية والعثمانية الاسرى من البرتغاليين والاسبان ومن امم اوربية اخرى ، وكان عددهم كثيرا فى مجموع الشمال الافريقي ، واعتنقوا الاسلام فى نهاية الامر ، حيث صار الواحد منهم يعرف باسم العلج ، ليؤدي مدلول مملوك أبيض البشرة (33) .

واخيرا : ظهر بالمغرب الاقصى عنصر المماليك الذين استجلبهم المنصور السعدي من السودان (34)

وقد خلف هؤلاء الوافدون ـ اندلسيون واتراك وسواهم ـ مجموعة من التأثيرات التي كانت ـ فى غالبها ـ ايجابية ، وبرزت فى الوضع السكني والاقتصاد ، والمعمار ، ونظم الحكم ، والثقافة ، وسوى ذلك ، وسيكون تحليل هذه التأثيرات هو موضوع الابواب التالية ، بعد أن انتهى مدخل هذه الدراسة .

* * *

ونذكر ـ أولا ـ أن هذه الوفادات المنوعة ، أحدثت تبدلا واضحا فى الوضع السكني على امتداد المغرب الكبير ، حيث طرات عليه عناصر بشرية لم تكن معروفة من قبل ، وقد ضاعفت هذه المجموعات الوافدة عدد السكان السابقين ، وانبثق عنها طبقات جديدة تتميز بأنظمة حياتها وتقاليدها .

* * *

وبالنسبة الى العنصر الاندلسي ، صار تأثيره واضحا فى المغارب الثلاثة ، وبالخصوص فى حقل الفلاحة والصناعة والمعمار .

فالذين نزلوا منهم بارياف تونس اغترسوا الكروم والزيتون وغرائب الفواكه والثمار ، كما حفروا

(33) حسن حسني عبد الوهاب : « ورقات عن الحضارة العربية ، بافريقية التونسية » نشر مكتبة المنار بتونس ، القسم الثالث ص 262 ، وانظر مجلة « تطوان » العدد التاسع ص 66 .

(34) كان المنصور السعدي أضاف الى الجيش المغربي فرقة سودانية ، وهو ما يثبته مؤرخو العصر العلوي الاول ، انطلاقا من أبي القاسم الزياني الى الناصري فى الاستقصا ج 7 ص 56 .

القنوات ، وصنعوا العجلات ، ومهدوا بها الطـــرق للمسافرين ، وشيدوا الجسور .

وابتنوا — من جديد — اكثر من عشرين بلـــدا اكبرها مدينة تستور (35) التي شيدت منارتها على هندسة بديعة ، حتى ان الناظر اليها من اعلاها يشاهد قعرها ، حيث وضعت على شكل اسطوانـــي فارغ الوسط (36) ، وكانت مرصعة بساعـــة زادت فى بهجتهـــا (37) .

وفى تونس العاصمة استوطنوا حومة الاندلس ، وزقاق الاندلس ، وغيرهما ، واسسوا بحومة الاندلس جامعها ، وبنوا المدرسة الاندلسية (38) .

وبالجزائر نزلوا بعدة جهات : منها تلمســـان ووهران ودلس وغيرها ، وكان منهم من نزل سهـــل متيجة بنواحي البليدة ، واحدثوا به غراسة النارنج والبرتقـــال (39) .

---

(35) « المؤنس » ص 183 . « الحلل السندسية، فى الاخبار التونسية » للوزير السراج ، عند أوائل المجلد الثاني من مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ، ك 1266 ، و « اتحاف أهل الزمان .. » ، ج 2 ص 31 .

(36) « تعاليق حاضر العالم الاسلامي » للاميـــر شكيب أرسلان : الطبعة الثانية ج 2 ص 49 .

(37) « تاريخ معالم التوحيد » لمحمد بن الخوجة : المطبعة التونسية ص 83 ، وهناك دراسة عن مدينة تستو انجزها المستشرق الفرنسي جورج مارسي باسم « تستور وجامعها الكبير » ، ونشرهـــا « بالمجلة الفرنسية » بالعدد 49 لسنة 1942 م ، ثم عربها — عن الفرنسية — الاستاذ التونسي مصطفى زبيس ، ونشرت الترجمة مجلة « الثريا » ، ابتداء من المجلد الاول عدد 12 .
وسوى هذه الدراسة الاستشراقية هناك اشارة عربية للمدينة ذاتها ، من جهة رحالة مغربي زارها أوائل المائة الهجرية : 13 ، وكان هو السفير محمد بن عبد الوهاب ابن عثمان المكناسي ، مؤلف رحلة حجازية باسم « احراز المعلى والرقيب . فى حج بيت بيت الله الحرام . وزيارة القـــدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب » ، م. م. ز. 5264 ، وفى طريق ايابه من حجته — عام 1202 — عرج على تونس ، وزار مدينة تستر، وهو يذكر ارتساماته عن سكانها فى هذه الفقرة :
« ... ومن الغد سافرنا من هذه البلدة ، فنزلنا بظاهر بلدة يقال لها تستر ... فخـــرج أهلهـــا بعلاماتهم وطبولهم كبارا وصغارا ، وبالغوا فى الترحيب ... وجل اهل هذه البلدة من الاندلس، فى غاية الحضرية والادب وحسن الاخلاق ، ولا زالوا يسألون عن بلادهم بالاندلس ، وقد كنت على بصيرة بها لما رحلت اليها عام ثلاثة وتسعين ومائة والف ، فكنت اخبرهم عن بلادهم وأرضهـــم وينشرحون لذلك ، وكل واحد يقول : انا من البلد الفلانية ، ويطلب مني وصفها فأصفهـــا لـــه ، فينشرحون بما يحصل لهم من التأصل فى الحضرية ، ولا سيما من كان منهم بلاده من القواعد العظام : مثل قرطبة واشبيلية وغرناطة وجيان وما اشبه ذلك ، واجتمع علينا جمع من طلبتهـــم فتذاكرنا فى مسائل علمية أصلح الله حالهم ..»

(38) « اتحاف أهل الزمان » ج 2 ص 30 ، ويقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور فى محاضرتـــه : « مصير الاندلسيين » : « ... فاما تونس فنزلها منهم أهل الصنائع والفنون : فاهـــل الصنائـــع الدقيقة سكنوا المدينة ، وهم أهل الثروة منهم ، وبنوا لانفسهم حومة تعرف بزقاق الاندلس قرب جامع القصر ، واما أهل الصنائع الاخرى وبعض الفلاحين من اهل الحواضر فسكنوا ربض باب السويقة ، وهم أول من بنى هناك خارج السور ، فبنوا الحومة المعروفة بحومة الاندلس ، ولـــم يزل من بقاياهم هناك عائلات منهم عائلة الاندلوس .
ثم يقول بعد هذا : « أما بلد بنزرت فقد سكنها الاندلسيون ، وبنوا بها حومة تعرف — الآن — بحومة الاندلس ، واسسوا قربها قرية منزل جميل ، ومنزل عبد الرحمن ، والفالية ، وغار الملح ... ».
وقد وردت مقتبسات من المحاضرة العاشورية فى « تعاليق حاضر العالم الاسلامـــي » ، ج 2 ص 59 — 63 .

(39) « تاريخ الجزائر العام » ج 2 ص 306 — 307

والذين سكنوا الجزائر العاصمـــة ، اسسوا ــ بحارتهم ــ معهدا كان يشتمل على مدرسة علمية ، وكتاب قرآني ، ومسجد للصلاة (40) .

وقد أسس الاندلسيون بالمغرب الاقصى مدينة تطوان ، وجددوا مدينة الرباط ، وبمدينـــة مراكش اعتمروا جانبها الغربي الذي صار يعـــرف بـــروض الزيتون ، وبنوا بالمشيدات الثلاثة الـدور والقصور والمرافق ، واغترسوا خلف اسوارها جنات معروشات وغير معروشات ، فى مساحـــات شاسعـــة (41) ، وتميزوا بطريقة خاصة فى تشييد المباني السكنية فى تصاميمها وزخرفتها وشكل بواباتها ، وهو النموذج الذي استمر مفضلا فى القصور القديمة بالرباط وسلا وتطوان ، وفى فاس : كانت مباني السلطان ابي عبد الله ابن الاحمر الوافد على هذه المدينة بعد سقوط غرناطة ، ويقول عنه المقري (42) « وبنى بفاس بعض قصور على طريق بنيان الاندلس ، رايتها ودخلتها » .

كذلك امتاز الاندلسيون بصناعات وفدوا بها على المغرب الكبير ، أو احيوا بها صناعات قديمة ، مثل المنسوجات الحريرية ، والصياغـــة ، وصناعـــة الجوارب ، وعمل الحصر ، ومن ذلك صناعة القلانس الحمر : الطربوش التونسي بتونس ، والشاشية فى فـــاس (43) .

وفى الرباط وتطوان : نشير الى « صندوق العـــروس » ، وكان يصنع من عود العرعر الصلب فى هيكل غاية فى الكبر ، لتجمع به العروس لباسهـــا ورياشهـــا (44) .

هذا الى تجديدات اندلسية طورت تصنيع عدد من المعدات الدفاعية .

ويقول ابن الخوجة (45) عن التاثير الاندلسي فى تونس بالخصوص : « وكان امتزاج الاندلسيين باهل تونس كلقاح خصيب للامة التونسيـــة ، لان اسلافنا اخذوا عنهم احوالا كثيرة فى باب الصنائـــع اليدوية ، ومنها تجليد الكتب وزخرفتها بابدع اسلوب، وتعلموا عنهم ــ ايضا ــ كيفية عرض البضائع للبيع بالحوانيت : من جمعها وضم المتشابه منها بعضـــه لبعـــض .

وكان لنسوة الاندلس فضل على بنات تونـس ، لانهن علمن ابنة البلاد تدبير المنزل من تاثيث وطبخ وحلاويات ، وكانوا ــ فى تونس ــ لا يحسنون قبل ذلك من أصناف الحلويات غير الفالوذج ... » .

وهكذا نتبين نماذج من التاثيرات التي وفد بها الاندلسيون على تونس وسائر المغرب الكبير ، فاستفاد منهم المغاربة أساليب جديدة فى تطويـــر الفلاحـــة والصناعة والمعمار ، وقد ذكر ابن القاضي (46) عـــن

---

(40) صفحات فى تاريخ مدينة الجزائر « لنور الدين عبد القادر ، مطبعة البعث بقسنطينة ، ص 165

(41) ورد ذكر اعتمار الاندلسيين بمدينة مراكش عند القشتالي فى « مناهل الصفا » ، مطبعة ومكتبة عصرية بالرباط ص 42 ، مع « بغية الناظر والسامع » للزياني : المخطوط الوارد عند التعليق رقـــم 29 .
وقد تكرر ذكر الاندلسيين ــ سكان مراكش ــ بعد هذه الفترة التي نعرضها ، فابو سالم العياشي يشير لاحدهم ، آخر رحلته المنشورة بالمطبعةالحجرية الفاسية : ج 2 ص 372 .
وقد عاد من رحلته بتاريخ 17 شوال عام 1074 هـ .
ثم ورد ذكرهم عند محمد المكي بن موسى الناصري بمناسبة وصفه لحفلة صلاة العيد التي تراسها السلطان العلوي : المولى سليمان ، وهو يقول فى هذا : « ثم جاء اهل الاندلس القاطنين (كذا) بالحمرا ، وبين ايديهم لواء اخضر ، وامتازوا به عن غيرهم ، وجعلوا يخرجون البارود ... » ، « الرياحين الوردية فى الرحلة المراكشية »،ضمن كناشة بالخزانة العامة بالرباط ، ج 88

(42) « نفح الطيب » : المطبعة الازهرية المصرية،ج 2 ص 617

(43) « دائرة المعارف الاسلامية » : الترجمة العربية ، مج 6 ص 41 و 64 ، محمد السائح فى مقدمة « سوق المهر ، الى قافية ابن عمر » : المطبعة الاقتصادية بالرباط ، ص كح .
« ورقات عن الحضارة العربية » القسم الثالث ، ص 266 .

(44) مقدمـــة « ســـوق المهـــر » ، ص كح .

(45) « تاريخ معالم التوحيد » ، ص 83 .

(46) مخطوط المنتقى المقصور : عند المقدمـــة .

المنصور الذهبي انه ظهر فى عصره حرف مهمة لم تكن معروفة بالمغرب ، ومن المتبادر أن تكون الحرف الاندلسية الوافدة مما يندرج فى فقرة المؤرخ السعـــــدي .

* * *

وقد برز التأثير العثماني على مستوى نظم الحكم ، وهو ما اتسمت به انظمة المغربين الادنى والاوسط فى الادارة والدفاع ومشتقاتها ، ولحسن الحظ فان هذه التجديدات التركية بالجهات المشار اليها ، قد فصلت اجراءاتها المصادر المعنية بالامر(47)

بينما كانت مثيلات هذه الترتيبات بالمغرب الاقصى لا تزال بحاجة الى توضيح ، فلهذا سنتوسع ــ قليلا ــ فى عرضها .

ونشير الى ان المغرب اقتبس ــ قليلا ــ من الانظمة التركية الادارية .

وكان اولها ظهورا احداث رتبة المفتي ، مجاراة لتقليد تركي قديم من عهد محمد الفاتح ، ويبتديء ذكر هذه الخطة بالمغرب من أيام محمد الشيخ السعدي ، حيث قلد منصب الفتوى بفاس لمحمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوي التلمساني نزيل فاس (48) .

وفى عصر عبد الله الغالب ــ خلف محمد الشيخ ــ اسند نفس الخطة بمدينة مراكش الى محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي التلمساني نزيل المغرب (49) ، وقد سلف ذكره مع سابقه .

ومن الانظمة الادارية التي لم تكن معروفة بالمغرب من قبل ، وضع العلامة أو الطابع بأعلى المراسيم ، وهي عادة قديمة فى الدولة السعدية ، وعن عصر المنصور بفرق القشتالي (50) بين موضوعات الكتب ذات العلامة ، والاخرى ذات الطابع وهو يقول فى هذا عن مخدومه :

« ... فتارة بيده الكريمة ان كانت الكتب اجوبة أو ظهائر ، وتارة بالطابع ان كانت مظالم او براوات الاشغال والعطاء » .

ثم كان من التجديدات الادارية التي عرفها المغرب ايام المنصور السعدي ، احداث مؤسسة استشارية باسم « الديوان » ، وهذا ــ بدوره ــ تنظيم تركي ، عرفه المغربان فى مجمع يضم ــ اصالة ــ شخصيات عسكرية ينضاف لها مستشارون مدنيون(51) ويقول الافراني (52) عن الديوان المغربي :

« كان المنصور .. مشاورا فى قوام الامور ، وقد اتخذ يوم الاربعاء (53) للمشاورة وسماه يوم الديوان ، يجتمع فيه وجوه الدولة واعيانها ، ويتطارحون فيه وجوه الراي فيما ينوب من جلائل الامور ، وعظائم النوازل » .

وقد استمرت هذه المؤسسة الى ما بعد ايام المنصور ، حيث جاء عن اجراءات بيعة الشيخ الدلائي

(47) من نماذج هذه المصادر عن تونس : « اتحاف اهل الزمان » ج 2 ص 26 ــ 27 .
« خلاصة تاريخ تونس » تأليف حسن حسني عبد الوهاب ، الدار التونسية للنشر ، ص 160 .
وعن الجزائر : « تاريخ الجزائر العام » ، ج 2 ص 277 ــ 288 .
« صفحات فى تاريخ مدينة الجزائر » ص 72 ــ 93 ، ومن مستتبعات هذه الظاهرة انبعاث المذهب الحنفي بالمغربين : الادنى والاوسط،وهناك معلومات عن هذه الظاهرة بالنسبة لتونس ، فى تاريخ معالم التوحيد ص 39 ــ 40 مع ص 90 ــ 91 .

(48) « دوحة الناشر » ، ص 90ــ 91 .

(39) « المصدر » ، ص 86 .

(50) « مناهل الصفا » ص 206 .

(51) يقول ابن أبي دينار عن ترتيبات العثمانيين بتونس : « وجعلوا قوانين يتميزون بها ، وحذوا فى اول امرهم ــ فى الاحكام ــ حذو ديوان الجزائر »،« المؤنس » ، ص 179 ، وجاء عند ابن أبي الضياف عن القائد التركي : سنان باشا : « ورتب اعيانا من اهل البلاد يحضرون فى ديوان العسكر تألفا لقلوبهم » ، اتحاف أهل الزمان ج 2 ص 27 .

(52) « نزهة الحادي » ، ص 142 .

بفاس ، انها حضرها الجم الغفير من أهل الديوان(54) وكان محمد بن الاشهب من أعضائه في هذا الوقت بالـذات (55) .

* * *

وبعد هذه الاقتباسات التركية في حقل الادارة، تاتي تجديدات الدفاع المغربي ، ومن الجدير بالملاحظة ان المغرب سار في هذا الصدد على الاستفادة من خبرات المهاجرين الاندلسيين ، ومعرفة الاسرى الاعلاج ، واقتبس كثيرا من الانظمة العسكرية العثمانية ، كما حافظ على المفيد من أساليب الدفاع الوطني القديم .

* * *

وقد كانت المفاجأة التي تفوق بها البرتغاليون هي الاسلحة النارية الحديثة ، ولذلك صار لها الاسبقية في استعدادات المغاربة لمعارك التحرير .

ويرتقي أقدم نص معروف في هذا الاتجاه الى اواخر ايام الوطاسيين : على عهد أبي العباس أحمد الوطاسي ، المتوفى عام 961 هـ / 1553 م .

وقد أنشأ معملا لصنع الاسلحة النارية بساحة القصر الملكي من فاس الجديد ، وصار يستخدم لانتاج المدافع والبندقيات والبارود (56) .

وبعد هذا — أوائل أيام السعديين — كان في جيش عبد الله الغالب فرقة مدفعية قوامها جيوش جرارة من الاندلسيين المهاجرين قبل الجلاء الاخير (57) .

ثم تكاثر هذا السلاح من بعد ، حتى ان حملة عسكرية صارت مجهزة بمائة وخمسين من الانقاض(58) عام 983 هـ / 1576 م ، وقد لا تكون هذه المدافع كلها من صنع محلي ، وانما فيها مستوردات من الخارج .

واستكثر عبد الملك المعتصم من انتاج هذه المدافع ، وكان عارفا بصنعها ، واشرف — بنفسه — على اعداد نحو ثمانية منها (59) .

وبنى المنصور الذهبي معملا جديدا لانتاج الاسلحة النارية باسم « دار العدة » ، وكان مركزه بعقربة من القصبة الملكية بمدينة مراكش ، ويقول الفشتالي (60) عن وفرة منتجات هذا المعمل ومستورداته :

« واما ما يفرغ — مع الايام — من مدافع النار ومكاحلها بدار العدة الماثلة قرب أبوابهم ... الى ما يجلب — مع الاحيان — على يد المعاهدين من تجار الحربيين : من السيوف الهندية ، والقسي الرومية، والمكاحل النارية، فشيء غصت به الخزائن السلاحية، والديار العادية » .

* * *

والى جانب هذا المعمل الجديد ، اهتم المنصور — مرة اخرى — بابتناء الابراج لاستخدام المدافع ، وشيدت على وضع بداقية — واضحا — تأثير الجاليات الوافدة من الاندلسيين والاعلاج ، وقد صارت هذه المشيدات يحمل الواحد منها اسم « بستيون » ، وهو تعبير اسباني عن الحصن .

---

(53) جاء عند كل من ابن القاضي والفشتالي : ان الديوان المنصوري كان ينعقد أيام السبت والاثنين، والاربعاء : « مخطوطة المنتقى المقصور » اوائل الباب السابع ، و «مناهل الصفا » ، ص 205 .
(54) مخطوطة «البدور الضاوية» لابي الربيع سليمان الحوات ، عند الفصل الاول من الباب السادس .
(55) المصدر نفسه ، عند الفصل الخامس من الباب السابع .
(55) ارجوزة « عروسة المسائل » ص 36 — 37
(57) « مناهل الصفا » ، ص 42
(58) « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ، ص 51
(59) محمد المنوني : « صناعة الاسلحة النارية بالمغرب » ، مجلة دعوة الحق — السنة 13 ، العدد 8، ص 104 .
(60) « مناهل الصفا » ، ص 210

وقد عرف المغرب من هذه الابراج اربعة عشر موزعة بين اربع مدائن اثنان منها بمدينة العرائش ، وواحد بتازا ، واثنان خارج فاس العتيق على مقربة من بابي الفتوح والشريعة ، وقد كان هذا الاخير يعرف ببرج النار ، تدليلا على مهمته المدفعية ، أما باقي الابراج – وعددها تسعة فقد احاطت باسوار فاس الجديد (61) .

* * *

وفى حقل تنظيم الجيش على طراز جديد ، نشير الى أن عبد الملك المعتصم هو الذي تبنى هذه المبادرة ، وكان – قبل ولايته – زار الجزائر وتونس والاستانة ، واعجب بترتيبات العثمانيين ، ولهذا عمد لما صارت الدولة له ، الى تنظيم الجيش المغربي على الطراز العثماني ، واسرف فى هذا التقليد ، وحمل الناس عليه حملا عنيفا أثار معارضة شديدة .

غير ان اخاه ابا العباس المنصور ، استطاع التوفيق بين التقليد العثماني والحفاظ على المشاعر الوطنية ، فاختص الرؤساء العرب بالمشورة وقيادة فرق الفرسان ، واسند الى الاعلاج قيادة الفرق الاخرى للجيش البري (62) ، بينما جعل قيادة الاسطول الى اميرال مغربي (63) .

وباستثناء الاسطول فان سائر انظمة الجيش المنصوري صارت مقتبسة من العثمانيين : فى ترتيب الجيش ، والقاب الرتب ، وشكل اللباس ، وتنظيم المواكب .

كما أن لباس الملوك السعديين صار على الطراز العثماني ، ابتداء من عبد الملك المعتصم الذي جاء فى ترجمته (64) انه كان يتزيا بزي الاتراك .

ومن التقاليد العسكرية التي عرفها المغرب فى عهد المنصور اطلاقا المدافع عند المناسبات ، وفى وفى هذا يقول الفشتالي (65) عن وقع هذا المدافع فى مدينتي فاس :

« واذا استهلت رعودها فى العيدين عند العود من المصلى ، او لورود بشارة عظمى ، فلا تسأل عن تزلزل الارض ورجفانها ، ويمتد على البلدين ركام البارود كانما هو ليل مطبق .. » .

* * *

وقد احيا المغرب السعدي حركة الجهاد فى البحر ابتداء من ايام المعتصم الذي يقول عنه مؤرخ مغربي (66) : « وامر بانشاء السفن فى العرائش وسلا ، وصار اهل الاندلس يسافرون فى البحر مع أهل المغرب ، وضيقوا بالنصارى أشد تضييق ، وكثرت الغنائم » .

وبعد هذا تدخل المنصور الذهبي واعد الاسطول بمرسى رباط الفتح ، ونحوه بخطة أميرال البحر ، فاسندها لمغربي ، دال منه فيما بعد بقائد تركي يقول عنه الفشتالي (67) : « ... فهو اليوم–قبطان الاسطول الامامي الجهادي ، ورئيس الجماعة من رؤساء المراكب الجهادية ، والقطائع البحرية » .

* * *

وننتقل – الآن – الى الجو الثقافي لنحاول الكشف عن آفاق التجديد التي عرفها هذا القطاع على امتداد المغرب الكبير .

ويلاحظ – فى البداية – أن كلا من الحكام العثمانيين والسعديين لم يبذلوا محاولات لتطوير التعليم .

(61) المصدر نفسه ، ص 263 – 265 ، مع المنتقى المنصور عند الباب العشرين ، وهو الذي يحدد عدد ابراج فاس الجديد بتسعة .
(62) « مناهل الصفا » ص 200 – 201
(63) المصدر نفسه ص 204
(64) « نزهة الحادي » ص 70 ، وتلقيت – قديما – من مؤرخ مغربي كبير ان الزي التركي استمر لباس سلاطين المغرب ، ولم يتغير الى اللباس المغربي الا من عهد السلطان العلوي أبي الربيع .
(65) «مناهل الصفا » ، ص 264
(66) « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ، ص 53 .
(67) « مناهل الصفا » ص 205 .

وساوق هذه الظاهرة تبذل تلقائي فى عدد من الكتب الدراسية ، لتحل محلها موضوعات حديثة التاليف طغى عليها أسلوب الاختصار طغيانه على عدد من المؤلفات الدراسية الاخرى .

ومن جهة اخرى فان الحركة العلمية خمدت فى تونس من بداية التدخل الاسباني الى اوائل المائة الهجرية الحادية عشرة (68) ، بينما نزح عنها بعض الاعلام ، مضافا لهم عدد وافر من أعلام الجزائر نزحوا عن المغرب الاوسط فى مناسبات مختلفة ، وقصدت غالبية هؤلاء واولئك مدينة فاس ، كما أن علماء السواحل المغربية المحتلة لجؤوا بدورهم الى نفس المدينة .

وبهذه الهجرات — من هنا وهناك — انبثق نوع جديد من التلاقح الفكري على مستوى المغرب العربي. وصارت مدينة فاس ملتقى لهذا التلاقح ، بينما استمرت عناصر علمية أصيلة تزدان بها مدن من الجزائر .

وفى اطار هذا كله عرف المغربان — فى ميدان التعليم والتاليف — بارقة تجديد تلقائي ، ولو أنه محدود ، وخاضع لاسلوب الاختصار الذي صار طابع الثقافة الاسلامية فى هذا العصر .

* * *

وهكذا استجد بالمغرب الاقصى دراسة بعض العلوم العقلية ، بعد ما وفد الى فاس محمد بن خروف الانصاري التونسي ، وكان بارعا فى المنطق والكلام واصول الفقه والمعاني والبيان (69) ، والغالب أن الذي تجدد بالمغرب هو دراسة هذه المواد على طريقة المتاخرين .

كذلك انبعث فى نفس الجهة دراسة الهندسة بفاس ومراكش ، وهنا نحيل الى بحث منشور فى هذا الصدد (70) ، وانما نشير الى انبعاث تعليم الطب بالمغربين — معا — اعتمادا على الفية ابن سينا، وقد علق عليها — بتلمسان — محمد بن يوسف السنوسي شرحا مات دون اكماله (71) ، واقراها بفاس كل من عبد الرحمن سقين العاصمي (62) ، وعبد الوهاب الزقاق (73) ، وعبد الواحد بن

---

(68) جاء فى التاريخ الباشي عن الحاضرة التونسية فى هذه الفترة : « وقد كان العلم — لاول دولة الترك — قد ارتفع منها بالمرة » ، نقله — باختصار — فى اتحاف أهل الزمان ج 2 ص 11 .

(69) يقول عنه ابو حامد محمد العربي الفاسي : « الشيخ الامام ، وحيد عصره بالمغرب فى الاصلين، والبيان ، والمنطق ، ابو عبد الله محمد بن أبي الفضل خروف التونسي ، وكان قد قرأ فى تونس ومصر وغيرهما ... واقام بفاس تقرأ عليه تلك العلوم ، فهو مجدد سند تعليمها بالمغرب ، وعنه اخذت على الحقيقة » « مرآة المحاسن » ص 9

(70) انظر : محمد المنوني أساتذة الهندسة ومؤلفوها فى المغرب السعدي » مجلة (دعوة الحق) : السنة التاسعة ، العدد الثاني ، ص 101 — 104

(71) أحمد بابا التنبكتي عند ترجمة السنوسي من « نيل الابتهاج » ، المنشور بهامش الديباج المذهب لابن فرحون ، مطبعة المعاهد بالقاهرة عام 1351 هـ ص 325 — 329

(72) جاء عنه انه كان يشارك فى الطب ويحسن الفية ابن سينا ، حسب مخطوطتي : فهرسي المنجور: الكبرى والصغرى ، ونقل احمد بابا التنبكتي عن نسخة ثالثة من فهرس المنجور : « يقرىء الفية ابن سينا » « نيل الابتهاج » ص 177

(73) شرح ارجوزة طبية لناظمها القائد عبد الكريم بن مؤمن بن يحيى العلج ، خ ، ع ، ج 162 ، وهو يذكر فى مدخلها انه قرا جل ارجوزة ابن سينا على أستاذه عبد الوهاب الزقاق
ومن الجدير بالاشارة أن المؤلف يذكر اختصاصه بالسلطان السعدي عبد الله الغالب ، وقد ورد ذكره — عرضا — فى « مناهل الصفا » بوصف حاجب نفس السلطان ، ص 212 ، وعده فى نزهة الحادي ص 51 من وزرائه مع وسمه بالجنوي ، ومثله فى « الاستقصا » ج 5 ص 57

عاشر (74) ؛ وبغمارة : عبد الـــوارث بن عبـــد الله اليلصوتـــي (75) .

ومن اواخر هذه الفترة بدات مدارس الزوايـــا الصوفية فى الظهور ، فى مناهج تعتمـــد المـــواد الدينية والعربية ، مع تكوين أخلاقي رفيـــع ، وكان اول ما عرف منها بالمغرب الاقصى مدرسة تساوت الملحقة بزاوية الشيخ محمد بن مبارك الزعري (76) عند عمالة خنيفرة ، ثم تتابع ظهور هـــذه المدارس بالاطلس المغربي على امتداد اقسامه ، وفى الصحراء وفـــاس .

* * *

وقد بدات حركة التاليف تنتظـــم ــ اكثـــر ــ بالمغرب ، وفى الميدان الفقهي عرفـــت مدينة فاس نهضة جديدة تهدف الى لون من فلســفة الفقه المالكي: باستنباط أصول مســائل الخلاف ، واستنتاج قواعد المذهب ، ومقارنة مسائله ، مع مراعـــاة تطـــورات المجتمع المغربي ، انطلاقا من المائة الهجرية التاسعة

وقد ساهم فى خدمة هذا الاتجاه مجموعة من اكابر الفقهاء المشترعين : ابو الحسن الزقاق ناظم ارجوزة « المنهج المنتخب الى قواعد المذهب » (77)

ثم ابو العباس احمد الونشريسي التلمساني نزيل فاس ، مؤلف كتب « المعيار » ، و « ايضـــاح المســالك الى قواعد الامام مالك » ، مع « عدة الفروق» فى تلخيص ما فى المذهب من المجموع والفروق (78)

والف محمد بن احمد بن غازي « كليات المسائل الجارية عليها الاحكام » (79) .

---

(74) محمد ميارة : فى ترجمة استاذه ابن عاشر ،من مخطوط « نظم اللآلي والدرر ، فى اختصار مقدمة ابن حجر » ، خ. ع ك 931 : عند الفصل الاول .

(75) « دوحة الناشر » ص 6 ، ووقع فى نسبه من « الدوحة » المطبوعة : اليصلوتي بتقديم الصـــاد على اللام ، وهو تحريف عن اليالصوتي بتقد اللام ، نسبة الى يصلو بفتح أوله وسكون ثانيـــه وضم الصاد ، ويقال انه ابن محمد بن أبان ابن الخليفة عثمان بن عفان (رض) ، كما يذكر انه دخل المغرب عام 90 هـ ، حيث نزل بقبيلة بني زروال من قبيل الاخماس ، قال ابو الربيع سليمـــان الحوات : واتخذها داره حتى لقي الله ، وبقي بها اعقابه ، وهم ــ الى اليوم ــ منتشرون ، وقبره فيها مزارة كبرى على مرحلتين من شفشاون ... وعوام تلك الناحية يقولون له يارزو » .
قال فى « دوحة الناشر » عن نسب الشيخ عبد الوارث الذي نعلق عليه :
« ويقال ان يالصو هذا جده : هو يلصو بن عبد الله بن أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه »»
وقد عقب ابو الربيع الحوات على هـــذه الفقرة وقال : « وهو خطأ صراح » ، اذ ليس فى بني أبان ابن عثمان من اسمه عبد الله .
انظـــر عن يالصو هذا مخطوطتي :
« سنا المهتدي » لعلي مصباح الزرويلي : عند خاتمـــة الكتـــاب .
مع « الروضة المقصودة » لابي الربيع سليمان الحوات : عند الباب السابع ، لدى ترجمة محمد بن سعـــادة الخمســـي .

(76) هناك اشارة لهذه المدرسة وتسمية زمرة من طلابها الذين بلغ عددهم ألف طالب ، حيث ورد ذلك بتقييد لمؤلف مجهول الاسم فى الترجمة المباركية ، حسب نسخة مخطوطة منه فى المكتبة الملكية رقـــم 726

(77) نشر بالمطبعة الحجرية الفاسية ضمن شرحه للمنجـــور .

(78) اول هذه المؤلفات وثالثها منشوران بالمطبعة الحجرية الفاسية ، والثاني مخطوط فى نسخ متعددة، منها واحدة عتيقة متلاشية ، غير انها مذيلة بثلاثة تقاريظ ، آخرها لمحمد بن عبد الرحيم بن يجبش التازي ، وهي بالمكتبة الملكية رقم 8522 ، وهناك نسخة بخزانة وزان رابعة ، مجموع رقم 680، ومن المقرظين عليها : عبد الرحمن بن محمد الجذامي الشهير بالبردعي ، واحمد الغرناطي الشهير بالاندلسي ، وابن يجبش آنف الذكر ، واحمد بن محمد الحباك ، وعبد الواحد الونشريسي ابن المؤلف ، واخيرا أحمد العبسي .

(79) نشر الموجود منها بالمطبعة الحجريـــة الفاسيـــة .

وعمد عبد الواحد الونشريسي الى « نظم كتاب ايضاح المسالك » لوالده نمطا مستوعبا مع اضافة زيادات موضوعية ، وله ـ سوى هذا ـ نظم كثير من نظائر المذهب وكثير من مسائله (80) .

ووضع ابو العباس المنجور « شرحا على ارجوزة المنهج المنتخب » للزقاق ، كما « شرح نظم استاذه عبد الواحد الونشريسي لكتاب « ايضاح المسالك »(81)

واخيرا : أبو الحسن علي بن عبد الواحد الانصاري السجلماسي نزيل الجزائر ، وهو ناظم « ارجوزة اليواقيت الثمينة ، فى العقائد والاشباه والنظائر فى فقه عالم المدينة » (82) .

وقد انبثق عن هذا المجهود الفكري ظهور تشريعات فقهية تساير التطور المغربي فى ميادين الاحوال الشخصية والمعاملات ، وهي المسائل التي صارت تعرف بالعمل الفاسي ، حيث ألم بنبذة منها أبو الحسن الزقاق واخر منظومته « الزقاقية » فى فى المسطرة القضائية ، ثم توسعت مسائل هذه العمليات ، لتظهر مجموعتها فى فترة لاحقة ، منظومة فى ارجوزة العمل الفاسي ، لابي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (83) .

وقد ازدهرت فى الحقبة التي نعرضها كتابة التراجم انطلاقا من :

« النجم الثاقب فيما للاولياء من المناقب » لمحمد بن صعد التلمساني (84) .

و « دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر » ، لمحمد بن عسكر الشفشاوني (85) .

و » البستان فى ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان»» لمحمد بن مريم التلمساني (86) .

---

(80) « فهرس المنجور » عند ترجمة استاذه الونشريسي ، ونظمه المشار له لا يزال مخطوطا ، ومنه نسخة بالمكتبة الملكية رقم 6155 ، وهي مذيلة بتقريظ عليها ، نظمه ـ فى بحر الرجز ـ تلميذ المؤلف ومعلم اولاده : عبد الرحمن الكولالي والد ابي سالم ابراهيم الكولالي الفقيه النوازلي المعروف .

(81) علم من التعليق رقم 77 أن شرح المنجور للمنهج المنتخب منشور ، أما المؤلف الثاني فلا يعرف عنه سوى ذكره عند ترجمة الونشريشي من فهرس الشارح حيث يذكر أن الشرح لا يزال لم يخرج من مبيضته .

(82) هكذا ورد اسم المنظومة فى ترجمة موجزها عند المحبي فى « خلاصة الاثر » : المطبعة الوهبية بالقاهرة ، ج 3 ص 173 ـ 174 ، غير ان الارجوزة حددت عنوانها ، فى الابيات الختامية : « باليواقيت الثمينة ، فيما انتمى لعالم المدينة » ، وقد فرغ من نظمها بمدينة الرباط ، بتاريخ الجمعة من صفر عام 1039 هـ .
لا تزال هذه المنظومة مخطوطة فى نسخ قليلة : خاصة او عامة ، ومنها واحدة ـ بخط جزائري ـ اول مجموع ، خ ، ع ، ك 1167 ، ويوجد شرحها بالخزانة نفسها لمحمد بن أبي القاسم السجلماسي ـ بخط مغربي ـ ، آخر مجموع يحمل رقم ك 1184 .
وهناك مخطوطة من متن « اليواقيت الثمينة ... » ، مذيلة بخمسة تقاريظ لخمسة من اعلام المغرب ، وهي موصوفة عند : محمد المنوني : « مكتبة الزاوية الحمزية » ، مجلة « تطوان » ع. 8 ص 172 .

(83) تكرر نشرها هي واللامية الزقاقية بالمطبعة الحجرية والسلكية : منفردتين ومشروحتين .
ونستدرك هنا فنشير الى ان ظاهرة جمع القواعد فى هذه الفترة ، استخدمها أبو العباس احمد زروق فى تاليف رسالته التي تحمل اسم «القواعد » ، غير ان هذه تناولت التصوف واصوله ، فى 217 قاعدة منشورة بالمطبعة العلمية بمصر عام 1318 هـ .

(84) لا يزال مخطوطا فى نسخ قليلة ، منها واحدة فى مجلد بالمكتبة الملكية رقم 2491 .

(85) نشرت ـ مرتين ـ بالمطبعة الحجرية الفاسية .

(86) منشور فى المطبعة الثعالبية بالجزائر .

و « جذوة الاقتباس ، فيمن حل من الاعــلام مدينة فاس » ، مع « درة الحجال فى اسماء الرجال »: الاثنتان لابي العباس ابن القاضي الفاسي .

و « ازهار الرياض » و « نفح الطيب » مــع « روضة الازهار العاطرة الانفاس ، فى ذكر من لقيته من اعلام الحضرتين : مراكش وفاس » : الثلاثة لابي العباس المقري التلمساني نزيل فاس (87) .

هذا فضلا عن فهارس الاشيــاخ والتراجــم الشخصيـــة .

وقد كان اشهر طبيب مؤلف فى هذه الفترة هو ابو القاسم الوزير الغساني الفاسي ، ويقول عنـــه الدكتور الفرنسي رينو : « انه عقلية مستثناة بالنسبة الى عصره والجو الذي عاش فيه ، وينبغي الحكم على عمله بموازنته مع الكتب العديدة فى مادة الطـــب لمؤلفين آخرين من العرب » (88) .

وقد كان من مظاهر النشاط الثقافي فى الحقبة ذاتها ، بعث حركة التعريب بكل من المغرب وتونس، محاولة للاستفادة من معطيات الانبعــاث بأوربــا ، واسهاما فى بوادر النهضة الحديثة ، وصارت هذه الظاهرة ــ بالمغرب الاقصى ــ من اهتمامات كل من المنصور السعدي وابنه زيدان .

ففي ايام المنصور قام ابو القاســم الوزيــر الغساني الفاسي بترجمة مؤلف الى العربية ، واعطى الترجمة اسم « مغني اللبيب عن أعداء الحبيب »، ولم يوضح المصدر المعني بالامر موضوع الكتاب المعرب، ولا يبعد أن يكون فى الطب او الصيدلة .

وقد انجزت ــ فى نفس العصر ــ ترجمة أخرى تناولت مؤلفا طبيا بمباشرة أبي العباس احمد بـــن احمد بن الحسن المسفيوي المراكشي (89) .

وجاء عن زيدان : أن أسيرا ايرلانديا يحمــل اسم انطوان ، كان يترجم ــ برسمه ــ الكتب اللاتينية الى القشتالية ، وعن هذه اللغة ينقلها بعض الاعلاج الى العربيـــة (90) .

ولا يبعد ان تكون هذه نفس الطريقة التي تمت ــ بواسطتها ــ الترجمتان الواقعتان على عهد المنصور، حيث اشير لهما وشيكا .

وقد كان فى بلاط زيدان مترجم من مهاجــري الاندلس : شهاب الدين احمد بن قاسم بــن احمــد الحجري الملقب بأفوقاي ، وبعد وفاة مخدومه قـــام بالمهمة نفسها لدى ولديه : (عبد الملــك الثانــي ثم الوليـــد)

والظاهر أن من مترجمات الشهاب الحجــري بالمغرب ، تعريب رسالة الزيج الذي وضعـــه ــ فى تعديل الكواكب ــ ابراهيم زاكوط اليهودي الاندلسي السلمنكي ، وكان هذا كتب رسالته بالعبرانية ، ثم نقلها ــ بمدينة مراكش ــ الى القشتاليـــة تلميــذ المؤلف : المعلم يوسف الاندلسي ، وعن هذه اللغــة ترجمها الحجري الى العربية .

وبعدما اقام هذا الاخير بالمغرب اكثر مــن 38 عاما انتقل الى حاضرة تونس ، حيث انجز ــ بها ــ ترجمة اخرى بعنوان : « كتــاب العــز والمنافــع المجاهدين بالمدافع » ، وكان الاصل المعرب ــ عن القشتالية ــ الفه ــ فى المدفعية الحديثة ــ مهاجر اندلسي الى تونس : ابراهيم غانم بن احمــد غانــم

(87) هذه المؤلفات الخمســة كلها منشورة ، واكثرها تكرر طبعـــه .

(88) كتاب (العلم عند العرب) تاليف المستشرق الايطالي الدوميلي : الترجمة العربية المنشورة فى مطابع دار القلم بالقاهرة ، ص 4I8 .

(89) انظر محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية فى المغرب السعدي » مجلــة « اللســان العربــي » : العـــدد الاول ، ص 53 ــ 55

وهناك نشرة ثانية مزيدة للدراسة نفسهـــا : فى صحيفة « معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد» المجلدان 11 ، 12 سنة 1963 ــ 1964 م ، ص 329 ــ 358

ونشرة ثالثة مزيدة اكثر فى مجلة «دعوة الحق » : السنة العاشرة ، العدد الثالث ، 74 ــ 91 .

(90) Gaston Deverdun (Marrakech des origines à 1912) Editions techniques Nord - Africaines - 1959 - I Texte - Page 434

الاندلسي ، المعـروف ـ بالاسبانيـة ـ بلقـب الربـاش (91) .

وهكذا : سيكون « كتاب العز والمنافع » رابع المعربات فى الفترة التي نعرضها ، ولحسن الحظ فان هذه الترجمة مع تعريب الرسالة الزاكوطيـة ، استمرا معروفين فى عداد المخطوطات ، بينما نجهل ـ الآن ـ مصير الترجمتين الواقعتيـن فى عهد المنصـور الذهبـي .

* * *

ونتابع الآن عرض معطيات الجو الثقافي الجديد، ونشير الى أن وضع الاحتلال بالمغرب الكبير ، أتاح الظهور لمحاولات تهدف الى اصلاح الحالة الاجتماعية، عن طريق أوضاع نثرية أو شعرية ، فكان هناك مـن يتناول الدعوة الى الجهاد لتحرير البلاد ، بينما يربط آخرون واقع المغرب بتفاقم البدع ، أو بالانحـلال العقائدي أو الخلقي .

* * *

وفى صدد الذين تناولوا الدعوة للجهاد يقـول الناصري (92) بمناسبة حديثه عن فتـرة الغـزو الاجنبي بالمغرب الاقصى ، وبـروز انبعـاث ادب المقاومة الوطنيـة :

« ... ولقد الف الناس فى ذلك العصر التأليف فى الحض على الجهاد والترغيب فيه ، وقال الخطباء والوعاظ فى ذلك فاكثروا ، ونظم الشعراء والادبـاء فيـه ونشـروا .

فمن الف فى ذلك الباب فأفـاد ، الشيـخ ، المفتن ، البارع الصوفي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن يجبش التازي ، قال فى « الدوحة » : « وقفت له على تأليف الفه فى الحض على الجهاد فى سبيل الله ، فكان مما ينبغي أن يتناول باليديـن ، ويكتب ـ دون المداد ـ باللجين ، اودعه نظما ونثرا .

وممن نظم فى ذلك فأجاد : الشيخ ، الصالح ، المتصوف ، المجاهد : ابو عبد الله محمد بن يحيى البهلولي ، قال فى « الدوحة » : « كان هذا الشيخ ممن لازم باب الجهاد وفتح له فيه ، وله فى ذلـك اشعار وقصائد : زجليات وغيرها » .

والتأليف الذي اشار له الناصـري لا يـزال مخطوطا فى نسختين : (خاصة) يتخللهـا بتـر ، والثانية ضمن مجموع رقم ق. 336 فى الخزانـة العامة بالرباط ، وهو يحمل اسم « تنبيـه الهمـم العالية ، على الصدقة والانتصار للمة الزاكية ، وقمع الشرذمـة الطاغيـة » .

اما اشعار البهلولي فلا يزال مجموعهـا غيـر معروف ، واثبت فى « دوحة الناشر » مطالع ثـلاث قصائد منها : اثنتان زجليتان ، والثالثة معربة .

* * *

والى جانب الدعوة للجهاد اهتم ابو العبـاس احمد زروق الفاسي بنقد بدع التصوف وبالخصوص فى كتابـه :

« عدة المريد الصادق من أسباب المقت ، فى الطريق القصد وذكر حوادث الوقت » وهو مخطوط متـداول .

مع « النصح الانفع والجنة ، للمعتصـم مـن

(91) انظر محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية فى المغرب السعدي » ، ص 55 ـ 63 من نشرة مجلة « اللسان العربي » المشار لها وشيكا ، ود ورد بهذا المصدر الاشارة الى النسخة الوحيدة التي كانـت معروفة من الزيج الزاكوطي ، وهي بالمكتبـة الملكية رقم 1433 ، ثم ظهر بالمكتبة نفسها نسخـة ثانية من هذا الزيج برسالته وجداوله ، فى سفر مستقل صار يحمل رقم 8184 ، وجاء فى آخر الرسالة فى تعابير ضعيفة هكذا : « تمت الرسالة للجداول ، ترجمة من عبراني الى لغة اللتين فى لسان رمنص ، وهي اللغة العجمية المتصرفة فى بلاد اسبانية ، وهي بلاد الاندلس . على يـد المعلم يوشب (يوسف) تلميذ المؤلف للجداول ، وترجمها ـ من اللسان الرمنص ـ عبـد الله واسير ذنبه ، الراجي عفو ربه : قاسم بـن احمد ابن الفقيه قاسـم بن الشيـخ ، الحجـري الاندلوسي كان الله له بمنه ، آمين » .

(92) « الاستقصـا » ، ج 4 ص 112 .

البدع بالسنة » ؛ اشار له السوداني (93) .

وكان لاتجاه الامام زروق تجاوب — اكثر — بالمغرب الاوسط ، فوضع ابو حفص عمر بن محمد الكماد الانصاري القسنطيني الشهير بالوزان كتابا فى الرد على الشابيين بالقيروان (94) ، مع العلم بأن المؤلف من الآخذين عن الشيخ طاهر الزواوي تلميذ الشيخ زروق (95) .

كما ان عبد الرحمن الاخضري نظم الارجوزة « القدسية » ، فى التصوف السني والتحذير عن البدع ؛ ووالد ناظمها : الصغير بن محمد الاخضري تلميذ مباشر لزروق (96) .

وبالمغرب الاقصى وضع ابو القاسم بن سلطان القسنطيني الخطيب بقصبة تطوان تاليفا فى مجلدين رد به على الطائفة الاندلسية ، قال عنه ابن القاضي (96 مكرر) « اجاد فيه كل الاجادة ، وناضل فيه عن السنة السمحاء ، اطلعني عليه سنة 995 » .

وسيأتي هذا الكتاب خامس المؤلفات التي تناولت بدعا خاصة ، ونذكر بعدها موضوع أبي محمد عبد الله الهبطي (97) ، غير ان هذا اهتم بالبدع بصفة عامة فى أرجوزته المطولة التي تحمل اسم : « الالفية السنية » ، فى تنبيه العامة والخاصة على ما غيروا فى الملة الاسلامية » ؛ وهو ينقد فيها المجتمع المغربي على سائر المستويات ؛ ولا تزال مخطوطة .

وبالاضافة الى هذه الالفية خلف المؤلف نفسه منظومات صغيرة ورسائل فى التحذير من بدع جبال غمارة ، وقد كان موقعها فى مجاورة منطقة المد البرتغالي ، ولا شك أن هذا الجوار للمحتل صار له تأثير فى وفرة الدعاة بهذه الجهات ، من أقران أبي محمد عبد الله الهبطي وتلاميذه الذين نهجوا طريقته — نظما ونثرا — فى نقد الابتداع ، وكان منهم :

ابو البقاء عبد الوارث اليلصوتي (98) ،وأبو حفص عمر بن عبد الوهاب الحسني العلمي (99) .

(93) « نيل الابتهاج » ص 85 ، والغالب أن النصح الانفع عنوان ثان لكتاب عدة المريد . وهكذا جاء عنوان العدة فى مخطوطين اثنين : خ. ع. ق : رقم 710 آخر مجموع ، مع رقم 1045 اول مجموع ، وقد اجرى ذكره البعض فاكد انه تأليف آخر فى البدع لنفس المؤلف فى مائة فصل ، حسب محمد المدني ابن جلون فى تقييد له مخطوط يتناول نوافل الصلوات التي خلا منها المختصر الخليلي .

(94) « فهرس المنجور » عند ترجمة استاذه اليسيتني ، مع « درة الحجال » رقم 1184

(95) انظر ترجمة الزواوي فى « نيل الابتهاج » ص 130 ؛ وعند ابن مريم فى ابلستان ص 116

(96) انظر المهدي البوعبدلي : « الحياة الفكرية ببجاية فى عهد الدولتين : الحفصية والتركية وآثارها» مجلة « الاصالة » ، السنة الرابعة ، العدد 19، ص 144 — 145 ،وقد اشار الى أن الارجوزة نشرت ناقصة ضمن « مجموعة الرسائل المنيرية » عام 1346 هـ ، غير أنها ليست واردة بالمجموعة المشار لها .

وقد نوه بالارجوزة الاخضرية ابو العباس الطالب أحمد بن طوير الجنة الوداني ، واقتبس منها 25 بيتا فى شروط الذكر وما اليه ، حسب رسالته : « فيض المنان فى الرد على مبتدعة هذا الزمان» مخطوطة المكتبة الملكية رقم 406 .

وعلى هذه الارجوزة شرح للرحالة الجزائري : الحسين بن محمد الورثيلاني ، منه مخطوطة فريدة خ . ع. ك 1165 . أول مجموعة ص 1 — 128 . (96 مكرر) — ذرة الحجال رقم 1344 .

(97) ترجمته فى « دوحة الناشر » ص 6 — 13 ، ، ولولده محمد بن عبد الله الهبطي « ارجوزة » مطولة فى ترجمة والده واسماء عيون اصحابه ؛ ولا تزال مخطوطة .

(98) ترجمته فى (دوحة الناشر) ص 5 — 6 ، وقد اثبت له أبو العباس أحمد بن عرضون — آتي الذكر — قصيدة زجلية مطولة ضد جملة من مبتدعات قبيله ، حسب « مختصر مقنع المحتاج فى آداب الازواج » ، ط. ف. ص 26 — 31 .

وللشيخ عبد الوارث هذا رسالة لا تزال مخطوطة باسم « المسلك القريب الموصل الى حضرة الحبيب » ، وهو يحمل فى مواضع منها على على الانحراف الصوفي ، فى لهجة قوية يبدو أنها موجهة ضد ابتداع الطائفة اليوسفية سابقة الذكر عند التعليق رقم (10) .

(99) ترجمته فى « ممتع الاسماع » : الملزمة 10 ص 7 — 8 ، حيث يقول عنه : « وكان متين الدين ، صلبا فى الحق ، قوالا به ، لا يخاف — فى الله — لومة لائم » .

وأبو الربيع سليمان الحاج الملولي الزجلي (100)، وأبو القاسم بن علي بن خجو الحساني (101)، وأبو العباس احمد بن الحسن بن عرضون الزجلي (102) .

* * *

وعلى امتداد المغرب الكبير ظهر ــ خلال الفترة ذاتها ــ استعمال التبغ : بالتدخين أو النشوق ، وكانت مناسبة لظهور اوضاع في الدعوة لرفض هذا الوافد ، فحظره الفقهاء المعنيون بالامر ، ومن بينهم ابو العباس المقري التلمساني ، وأبو زيد عبد الرحمن ابن محمد الفاسي (103) ، وأبرز هذا الاخير ــ في فتواه ــ عواقب استهلاك التبغ على العملة الوطنية حسب الفقرة التالية .

---

(100) له قصيدة في جملة من محدثات قبيله ، أشار لها ابن عرضون في مقنع المحتاج المخطوط ، وفي مختصره المنشور بالمطبعة الحجرية الفاسية ، ص 31 .

(101) يصفه ابن عسكر عند ترجمته بناصر السنة ومميت البدعة ، حسب « دوحة الناشر » ص 13 ، ويقول عنه ابن عرضون في « مقنع المحتاج : « ورسائله في هذا المعنى ــ من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ــ لا تحصى كثرة » هذا بالاضافة الى ما سجله في شرحه لترجيز مسائل ابن جماعة في البيوع ، حيث نبه على محدثات قبيله ، وشنع على مبتدعاتهم .

(102) هو مؤلف كتاب « مقنع المحتاج في ادب الازواج » الذي يقع في مجلد كبير ، ولا يزال مخطوطا في نسخ محدودة ، ثم استخرج منه مؤلفه مختصرا نشر بالمطبعة الحجرية الفاسية في 120 ص ، وقد تبينا من الاحالات على المؤلفين ضمن التعليقات القريبة نماذج من مناهضة ابن عرضون للبدع المنتشرة بين قبيله .

(103) نقل محمد ميارة نص الفتويين ــ معا ــ من خط صاحبيهما ، وأثبتهما في شرح نظم تكميل المنهج : ط. ف : الملزمة السادسة ص 8 ، مع كامل الملزمتين : السابعة والثامنة .
ومن الجدير بالاشارة ان جواب ابي زيد بن محمد الفاسي ، نشر ــ بالمطبعة الحجرية الفاسية ــ في صفحتين من ورقة واحدة ، غير انه جاء منسوبا لابي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ، وهو سهو واضح من الناشر ، حيث تبينا ان الجواب منقول من خط صاحبه مباشرة ، وناقله تلميذ للمجيب ، وليس تلميذا لابي زيد بن عبد القادر ، وانما هذا من الآخذين عن ميارة ، حسب ترجمته في طالعه شرح العميري للعمليات الفاسية .
وبعد هذا نوضح ان جواب ابي زيد الفاسي جاء للرد على سؤال في الموضوع ، بعث به ــ من تطوان الى فاس ــ ابن اخي المجيب : ابو حامد محمد العربي الفاسي ، وصاغه في اسلوب مطول استوعب اربع صفحات من الحجم الكبير ، وهذا السؤال هو الذي يسميه الافراني ب « سهم الاصابة في حكم طابه » ، حسب ترجمة محرره من « صفوة من انتشر » ، ص 71 .
ونعقب ــ الآن ــ بكلام في الاتجاه ذاته ، ورد في جواب لابي سالم ابراهيم الكلالي ونصه بطوله : « ... واما ما يفعله سفلة التجار من سفرهم الى ارض الحرب ، والدخول تحت حكمهم ، ونقل ذخائر المسلمين من النقود الجيدة وغيرها من انواع ما يستعينون به ويتقوون على المسلمين بسببه ، فلا يحتاج الى جلب نص على منع ذلك وتحريمه لشهرة ذلك في كل ديوان ، بل مما شاع وذاع عندهم خسيسة قذرة تستد من مجرد سماعها الآذان ، وتطيش من فضيحتها العقول والاذهان ، وهي اعمال السفر لبلادهم ، والدخول تحت قهرهم وحكمهم ، بالنقود الجيدة : الذهب الخالص ، والفضة الخالصة ، وانواع السلاح وما يؤول اليه ، ودفع ذلك في اعشاب الارض يسمونه بالنار والدخان ، فهي رزية وما اعظمها ، وبلية وما اخسها ، ومحنة عظيمة ولا خالد ابن الوليد .
ومن اغرب ما حدثني به بعض الثقات من اصحابنا التجار ، بعد أن سألته عن الذهب الجيد الذي كان يتبايع به المسلمون ، وأين ذهب ، وهل هو باق عند الناس في ذخائرهم ، وأين صار ؟ فقال لي : ان التاجر لا يختزن الدينار ولا الدرهم لعدم انتفاعه بفضل ذلك ، وانما يختزن ما يكون له فيه ربح . فقلت له فأين ذهب ذهب المغرب كله ، قال لي : عند النصارى دمرهم الله في سلعة الدخان المشموم ، فاستغربت ذلك من قوله ، فقال لي : احدثك بالواقع لي ، وذلك اني سافرت الى

« .. ولو نظر الى ما عرض فيها من اضاعة المال كما هو صورة الواقع لكان صحيحا وجليا ، فقد تطرق من ذلك ضرر للاسلام وذويه ، ونفع لاهل الكفر ، بحيث اختصوا بالجيد من سكة الاسلام ، بل واستبدوا بالكثير من أموال المسلمين ، وفي ذلك ضرر عام يفضي الى توهين الاسلام وفل حده ، باستفراغ جل ما بأيديهم من عين الذهب والفضة ، وتقوية الكفرة بملء يدهم بما لا ينقص شيئا من منافعهم واقواتهم وذخائرهم ، ولا من عدتهم وعددهم ، وقد منع الشرع من جلب المنافع اليهم من طعام وشمع ، واحرى السلاح ، وأي سلاح أقوى من الذهب والفضة .

فصار مدارها ومآل أمرها الى انجاد الكفرة ، واقعاد المسلمين عن الدفاع ، وأي مفسدة فوق هذا.

على انه عاد من ذلك ضرر وحرج في السكة يعرفه أهل المعاملات ، **وكفى بذلك كله مانعا** » .

ولا عطاء تحريم التبغ صبغته الرسمية ، حكم به قاضي فاس ، وسجل الحكم عليه بذلك ، واستنادا لهذا أمر المنصور السعدي باحراق المتداول منها لدى الباعة ، فاحرقت بديوان فاس الجديد (104) .

ونشير – الآن – الى عالم جزائري كتب في موضوع تحريم الدخان في فترة لاحقة ، وهو عبد الكريم بن محمد الفكون القسنطيني ، وقد الف جزءا سماه : «محدد السنان في نحور اخوان الدخان»(105) ثم لخص منه أبو سالم العياشي (106) ، وكان مما ورد في تلخيصه في سياق ذكر المؤلف .

« ... ثم نقل كلاما في تحريمه لصاحبه الاستاذ ابي عبد الله محمد السوسي المغربي المتوفى بالجزائر سنة ثلاث وعشرين بعد الالف . ونقل ما استحضره من كلام جمال الدين مفتي القيروان ، ثم نقل اجوبة في تحريمه منظومة لبعض الفاسيين » .

* * *

وفي اطار حركة الاصلاح الاجتماعي الذي نتابع عرضه ، اتجه مفكرون – من المغربين – الى تجديد الدعوة لتوعية الجماهير – رجالا ونساء – بالتعريف بالعقيدة الاسلامية ، ولا شك أن هذا جاء في موازرة

مدينة سبتة ، اعادها الله دار اسلام ، فاقمت بها قريبا من عشرين يوما انتظر سلعة الهند ، لعلي اجد ما اشتري ، فلم اجد شيئا ، فبينما نحن في انتظار ما يظهر من اغراضي ، فاذا بسفن قدمت من عدوة النصارى ، ففرحت ، فلما ارست لم نجد فيها عدا الدخان ، فما كان من صبيحة الغد ، حتى كانت كلها موزونة على ذمة مشتر، فيها خمس عشرة مائة قنطار ، لم يدفع في ثمنها الا الذهب الجيد ، وبقيت بعد ذلك من خمسة عشر يوما مقيما انتظر ما نشتري ، فقضيت بعض اغراضي ولم استكملها بذلة ومهانة ، ورجعت لثغر تطوان فوجدت دخانها كلها قد نفذ ، وصار الى من سخط الله عليه ، فنفذت نقود المسلمين كلها في دخان لا أصل له ولا حقيقة ، ولا منفعة حسية ولا معنوية ، ولا متكلم ولا نكير ، فانا لله وانا اليه راجعون » نقله التسولي في « نوازله » أثناء باب الجهاد وملحقاته ، مخطوطة المكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 798 ، ج 1 ص 194 – 195

(104) من جواب مخطوط في نفس الموضوع ، لشيخ الجماعة بفاس : بأبي العباس احمد بن الخياط الزكاري الحسني الفاسي ، مع « النوازل الوزانية الصغرى » ، ط. ف. ج 1 ص 276 ، وديوان فاس الجديد الوارد في الفقرة التي نعلق عليها، جاء ذكره – ايضا – في نوازل الشريف العلمي ، ط. ف. 1332 هـ ، الملزمة 33 ص 4 ، وهو يورده بتعبير مفسر هكذا : « ... ديوان النصارى كان هؤلاء هم الذين كانوا يتاجرون باستيراد التبغ وبيعه في فاس وغيرها من جهات المغرب ».

(105) ترجمته في « شجرة النور الزكية » رقم 1203 .

(106) « الرحلة العياشية » ط. ف. ج 2 ص 396 – 400 .

وتوجد نسخة كاملة من « محدد السنان » بالمكتبة الملكية اول مجموع رقم 6929 ، بخط محمد ابن عبد الرحمن الحسني النادلي ، كتبه بمدينة طرابلس الغرب سنة رجوعه من الحج الفرض ، وفرغ منه يوم الاحد 27 رمضان عام 1178 هـ، نقله من نسخة بها تصحيف وتحريف في بعض مواضعها ، وأيضا يتخلل المنتسخ بياض في صفحة كاملة منه .

حركة التبشير المسيحي الذي يواكب الغزو البرتغالي والاسباني (107) .

وتبنى هذه الدعوة العقائدية بالجزائر : محمد ابن يوسف السنوسي في واضاعه الكلامية التي اضاف لها البراهين السمعية والعقلية ، حتى يتسلح الموحدون بما يدحضون به شبه الانكار على عقائدهم .

وبالمغرب الاقصى انتدب للاتجاه ذاته عبد الله الهبطي ، والف بدوره عقائد مبسطة في مستوى الجماهير من الرجال والنساء والصبيان ، ويقول عنه في « دوحة الناشر » (108) : « وكان كثيرا ما يحض على فهم مدلول الشهادتين ، بل اتخذ ذلك هجيرا وديدنا لما راى من استيلاء الجهل على الخلق ، والف في علم الهيللة اجزاء كثيرة ، اكبرها جرما واكثرها فائدة : كتاب « الاشادة بمعرفة مدلول كلمة الشهادة »

واحتذى حذو الهبطي تلميذه ابو القاسم بن خجو الحساني ، وكان يدعو الى معرفة قواعد الايمان : بالكتابة وباللسان ، ويلقن التوحيد حتى باللهجة الغمارية لمن لا يعرف اللسان العربي (109) .

ويبدو ان خطر التبشير المشار له ، كان الحافز لادماج عقيدة التوحيد ضمن الوظيفة الجزولية (110)، حيث لا تزال تلتزمها بعض فروع هذه الطائفة المنبثة بسائر جهات المغرب العربي .

* * *

والآن : نتساءل هل خلف المهاجرون الاندلسيون او الاسرى من الاعلاج تأثيرا في ثقافة هذه الفترة ؟

وفيما يخص الاندلسيين تبينا — سلفا — ان غالبيتهم وفدوا على الشمال الافريقي بعدما قضوا مدة طويلة تحت المسخ والتبديل المسيحي ، لدينهم ولغتهم وثقافتهم ، مما لا يترك اثرا للتعاليم الاسلامية، ولا يستثني من هؤلاء سوى بضعة افراد استطاعوا الحصول على درجة من التثقيف العربي في جو من السرية والحذر (111) ، وقد حافظت النصوص على اربعة اسماء من هذه الفئة نعرضها حسب تسلسلها التاريخي تحقيقا او تقريبا .

ويحمل اولها اسم الشيخ شعبان ، عالم الاندلسيين الوافدين على تونس ، واستاذ مدرستهم التي شادوها بعاصمة الخضراء (112) .

اما الثاني : فهو الشهاب احمد الحجري ، سابق الذكر في عداد المترجمين الى العربية ، وقد الف — اصالة — كتابين :

« رحلة الشهاب الى لقاء الاحباب » ، والغالب ان موضوعها وصف رحلته عن الاندلس في هجرته الى المغرب ، ولا يعرف منها — حتى الآن — سوى فقرات تناقلتها بعض المصادر المغربية .

والمؤلف الثاني الذي وضعه الحجري : هو « ناصر الدين على القوم الكافرين » كتبه — بمصر — باقتراح من عالمها ابي الحسن علي الاجهوري في اثني عشر بابا ، وضمنه مناظراته — بأوربا — مع المسيحيين واليهود (113) ، وقد قامت المستشرقة الايطالية: كيليا شارنللي بنشر القسم الخاص بالمغرب الاقصى من هذا الكتاب ، مع ترجمته الى الايطالية ، وذلك عن مخطوطته الكاملة المحفوظة بدار الكتب المصرية.

---

(107) انظر « تاريخ كشف افريقيا واستعمارها » ،تاليف الدكتور شوقي الجمل ، المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة ، ص 121 — 124 .
(108) ص 12
(109) ابن عرضون في « مقنع المحتاج » : المخطوط المتكرر الذكر .
(110) المعني بالامر هو المعروف « بحزب سبحان الدائم لا يزول» ، ويوجد نصه في «النور الشامل»، تاليف ابي العباس احمد بن المهدي الغزال ،مطبعة الصدق الخيرية بالقاهرة ، ص 51 — 53 .
(111) من نماذج هذا الوضع قصة تلقين العربية لمحمد بن عبد الرفيع الاندلسي من طرف والده ، حسب خاتمة «كتاب الانوار السنية» : المخطوط المتكرر الذكر .
(112) اتحاف اهل الزمان ، ج 2 ص 30 .
(113) انظر محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » : الدراسة المنشورة بالعدد الاول من مجلة « اللسان العربي » ، ص 55 ، 57 .

وسيأتي – بعد الحجري – محمد بن عبد الرفيع ابن محمد الشريف الاندلسي المرسي الاصل ، التونسي المهجر ، المتوفى – بمكة المكرمة – عام 1052 هـ / 42 – 1643 م ، وهو مؤلف « الانوار السنية في آباء خير البرية » ، رتبها على ثمانية فصول ، وذيلها بخاتمة تشتمل على معلومات نادرة تتناول مأساة الاندلسيين بإسبانيا ، وحياة الجالية الاندلسية بتونس ، فضلا عن معلومات اخرى عن ترجمة المؤلف نفسه ، وعن حاضرة تونس .

ولحسن الحظ فان الكتاب لا يزال معروفا في نسختين مخطوطتين : الاولى مغربية بالخزانة العامة بالرباط رقم ك 1238 ، في 363 ص ، ويبدو أنها بخط المؤلف الذي تولى مقابلتها بنفسه ، وخطه اندلسي أصيل واضح مليح ملون .

وقع الفراغ من تاليف الكتاب – بحضرة تونس – عشية الجمعة سادس شعبان عام 1044 هـ / 1635م، ومن انتساخه اواخر شعبان المؤرخ به في الاصل .

اما النسخة الثانية : فهي تونسية بالمكتبة العاشورية ، ويبدو من وصفها انها منقولة عن المخطوطة المغربية ، بواسطة اخرى مكتتبة بتونس العاصمة بتاريخ اواخر جمادى الآخرة عام 1049 هـ ، ولا يعرف – الآن – مصير هذا الاصل ، وقد كتبت منه النسخة العاشورية بخط تونسي حديث ، بتاريخ الثلاثاء 15 صفر عام 1356 هـ / 1937 م .

اقتبس من خاتمة الانوار السنية محمد بوجندار في « مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح » (114) ، وبواسطة هذا المصدر اورد نفس المقتبس الامير شكيب أرسلان ، في كتابيه الاثنين : « تعاليق حاضر العالم الاسلامي » (115) ثم «الحلل السندسية» (116)

واخيرا نشر الاستاذ التونسي عبد المجيد التركي – عن المخطوطة العاشورية – مقدمة الكتاب وخاتمته ، ضمن موضوع : « وثائق عن الهجرة الاندلسية الاخيرة الى تونس (117) .

وننتقل الآن الى المهاجر الاندلسي : يوسف الحكيم ، وكانت له خبرة ببعض العلوم ، ومنها الطب والتنجيم والكلام والفلسفة ، واقام بفاس ، حيث كان يتردد الى ابي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي ، وشهد له بالتقدم في مادتي الكلام والفلسفة (118) .

وقد يكون هذا هو مؤلف « النور الباهر في نصرة الدين الطاهر » ، حيث يسمي نفسه : يوسف ابن عبد الله الاسلامي ، وهو يذكر أنه انتقل الى الاسلام من اليهودية – التي كان من احبارها – بعد عام 1020 هـ / 1612 م .

وقد ساق في كتابه – عن التوراة – نصوصا ناطقة بصحة دين الاسلام ، ولما لم يكن متين العربية فقد ناول الكتاب لقاضي الجماعة بسوس : عبد الرحمن التمنارتي ، فهذب عربيته ، واتمه يوم الثلاثاء 24 جمادى الثانية عام 1053 هـ (119) / 1643 م ، والكتاب لا يزال مخطوطا في 23 ص ، حيث صار في حوزة القاضي المرحوم مولاي سعيد بن الحسن بن السعيد العلوي .

وهنا نعيد الى الذاكرة اسم المعلم يوسف الاندلسي ، الوارد ذكره – سلفا – بمناسبة قيامه بترجمة رسالة الزيج الفلكي لابراهيم زاكوط ، حيث نقلها من العبرانية الى القشتالية .

ويهمنا ان نشير الى أن هذا يتقدم عصر يوسف الحكيم الذي عاش الى اوائل المائة الهجرية 11 (120) 17 م ، بينما كان مترجم الزيج الزاكوطي تلميذ المؤلف زاكوط المتوفى في العشرات الاولى

---

(114) مطبعة الجريدة الرسمية : الرباط . ص 201 – 216 .
(115) الطبعة الثالثة ، ج 2 ص 24 – 35 .
(116) المطبعة الرحمانية بمصر ، ج 1 ص 380 – 381 .
(117) « حوليات الجامعة التونسية » ، العدد الرابع ، سنة 1967 ، ص 23 – 63 .
(118) « ازهار البستان » ، تأليف أبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ، مخطوط المكتبة الملكية رقم 583 ، آخر الباب الثالث .
(119) « خلال جزولة » لمحمد المختار السوسي . المطبعة المهدية بتطوان ، ج 4 ص 177 – 178 .
(120) تعرف فترة حياته من خلال اتصاله بأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي ، وهذا كانت وفاته عام 1036 هـ .

من القرن العاشر هـ ق. 16 م (121) ، فلذلك لا يتوقع أن يكون هذا الاخير هو الذي يحمل اسم يوسف الحكيم .

والى هنا ينتهي عرض اربعة مؤلفات دونها ـ بالعربية ـ ثلاثة من الاندلسيين فى المهجر المغربي، ومن الواضح أن تأثيرها فى الحقل الثقافي سيكون ضعيفا .

وعلى عكس هذه المؤلفات ننوه بموضوعين سبقت الاشارة لهما ، وخلفا أصداء ملحوظة .

الاول « زيج » ابراهيم زاكوط اليهودي فى تعديل الكواكب ، وكان مؤلفه ـ بالعبرانية ـ أقام بتونس عدة سنوات ، وصار لترجمة زيجه تأثير فى عدد من المؤلفات الفلكية بالمغرب الاقصى (122) .

الثاني : « كتاب المدفعية الحديثة » ، الفه ـ بالاسبانية ـ ابراهيم غانم الاندلسي ساكن تونس ، وهو الذي ترجمه الشهاب الحجري باسم « كتاب العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع » ، فأفادت منه المدفعية التونسية كثيرا (123) .

والى هنا يصل بنا المطاف الى واقع الاعلاج الذين انتشروا بالمغرب الكبير فى الفترة التي تقدمها، وكان اكثر تأثيرهم من جهة الاستفادة من ثقافتهم التقنية .

ومن نماذج هذا أن فرقة اسبانية استسلمت ـ بتونس للقائد سنان باشا ، واشعروه أنه يوجد من بينهم مائتان وخمسة من رجالهم اهل صناعات غريبة، وقد أمنهم القائد التركي ، واستخدمهم فى تفريغ المدافع وسبك النحاس ، ويعلق ابن ابي دينار (124) على هذا ويقول : « ومن ذلك الزمان كثرت صناعة المدافع بتلك الديار » .

وبالمغرب السعدي استخدم الاعلاج فى تقنيات معامل السكر ، وتشييد الحصون الدفاعية ، وتنظيم فرق الجيش المنصوري ، وعلمنا ـ سلفا ـ أن بعض الاعلاج ـ فى بلاط زيدان السعدي ـ كان يعمل فى تعريب الكتب من القشتالية الى العربية .

* * *

وستكون هذه النقطة خاتمة النماذج التي يعرضها هذا البحث ، وفيها خطوط بارزة لآفاق تطوير حضارة المغرب الكبير تأثرا بواقع الغزو الاجنبي ، وما واكبه من الهجرات الاندلسية ، والوجود العثماني ، ووفادات أخرى منوعة .

وقد رأينا فى تلك النماذج اقتباسا جديدا مس الاقتصاد والمعمار ، وتناول انظمة الحكم ووسائل الدفاع ، الى تجديد فى القطاع الثقافي ، وبالخصوص فى انبعاث دراسة العقليات والهندسة والطب ، ومحاولات فى حركة التعريب ، الى مجهودات لتطوير التشريع الفقهي ، واذكاء الروح الاسلامية وتهذيبها من البدع والمحدثات .

وقد كان مجموع هذه النماذج صالحا ليكون نواة لبدء انبعاث المغرب الكبير ، والسير به نحو انبثاق عصر النهضة المغربية العربية ، كما بدا فى الغرب الاوربي عصر النهضة الحديثة ، غير أن الشمال الافريقي وقف عند البداية ، ليتيح التساؤل:

— لماذا هذا التوقف ؟

— وعلى من تلقى التبعة ؟

— وما طرق العلاج ؟

أسئلة مطروحة تنتظر الاجابة عنها .

الرباط : محمد المنوني

---

(121) انظر محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية فى المغرب السعدي » ، مجلة « دعوة الحق » ، حيث توجد بنشرة هذه المجلة اضافة عن حياة زاكوط : العدد الثالث، السنة العاشرة، ص 86 .

(124) « المؤنس » ، ص 175 .

أبعاد الحضارة المغربية

في افريقيا والبحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

— 2 —

لقد زعم البعض ان العرب اكتشفوا امريكا منذ نحو من الف سنة وساق الاب انستاس الكرملي للدلالة على ذلك بعض الحجج منها وجود كلمات عربية في لهجات هنود امريكا وبقايا زنوج افارقة والشبه الملحوظ بين حضارة الاسلام ومظاهر الحياة في بعض المجتمعات هناك وقد اكد الشريف الادريسي ان الفتيان المغرورين وصلوا الى جزر منها أصور وقيل ان حكايات شهامتهم التي اصبحت مضرب الامثال في الاندلس هي التي حدت كريسطوف كولومبس الى القيام برحلته على ان الاستاذ رنان Renan قد اشار في دراساته حول ابن رشد الى رسالة بقلم كولوبس نفسه اعترف فيها بأن مصنفات ابن رشد هي التي أوحت له بوجود قارة يابسة ومنذ عهد قريب اكد الدكتور جيفريس الاستاذ في جامعة (ويتوانرستراند) الذي انكب على دراسة هذه القضية منذ عدة سنوات ان العرب هم الذين كشفوا عن أمريكا قبل كريسطوف كولومبوس بنحو من ثلاثة أو اربعة قرون كما يتبين ذلك من هياكل وقع العثور عليها ويقول الاستاذ بأنه عندما وصل كريسطوف الى امريكا وجد جماعة من الزنوج الذين فروا من أسيادهم العرب وهو يرى ان المزروعات الافريقية دخلت الى امريكا على يد العرب وان العرب هم الذين نقلوا كذلك المزروعات الامريكية الى أوربا وهذا يفسر لنا – في نظره – سبب اشتهار الذرة في أوربا بالقمح الامريكي

ومهما يكن فهنالك ظاهرة قارة في تاريخ المغرب وهي ان المغاربة والاندلسيين جالوا في جوانب المحيط الاطلسي وقاموا بدور هام في بعض جزره حيث كانت لهم جاليات مهمة على ان المغرب تحمل القسط الاوفر – طوال بضعة قرون – في الدفاع عن حوزة السواحل العربية المطلة على المحيط من اشبونة الى اكادير وكانت له اوراش وأساطيل غير انه قلما كان يستخدم المياه الاطلسية في ربط صلة الوصل بين العدوتين لان مضيق جبل طارق كان اقرب وأسهل .

وقد اشعت الحضارة العربية من السواحل الاندلسية خاصة فكانت المرية أعظم ورش بحري في عهد الامويين ثم انبثقت أوراش أخرى اشار اليها الشريف الادريسي في نزهته كالجزيرة وقصر ابي دانس وطرطوشة ثم مالقا وقد حاول الدنماركيون اكتساح الاندلس عام 966 م ولكن ملك اشبيلية صدهم باسطوله الذي كان يمخر عباب المحيط وقد ابى ملوك الطوائف الا ان ينشئوا أساطيل على غرار الاسطول الاموي تجول قطعها في كل من البحر المتوسط وبحر الظلمات وكذلك بنو نصر في غرناطة .

غير أن العلائق التي توثقت فيما بعد بين المغرب وبعض دول المحيط كالدنمارك والسويد وانجلترا وهولندا حدته الى الاهتمام بمراسيه الاطلسية وقد

كانت هولندا اولى الامم الاطلسية التـــي تبلـــورت روابطها مع المغرب فى مبادلات عبر المانش لا سيما بعد معاهدة 1610 م التي اعطتها الاسبقية وكانت اهم مراسي المغرب اذ ذاك هي اسفي واكادير وماسة ثم اصبحت سلا انشط ميناء بالمغرب وظلت محتفظة بهذه الميزة طوال قرن كامل وعند بزوغ فجر الدولة العلوية حرر المولى اسماعيل بعض موانيء الشمال كطنجة والعرائش واصيلا من ربقة الاجانب فساهمت هذه المراكز فى تعزيز رسالة المغرب فى المحيط الاطلسي تلك الرسالة التي اكتملت بعد بضعة عقود من السنين بتأسيس الصويرة على يد المولى محمد ابن عبد الله وما لبث هذا الميناء الجديد ان احتكر مجموع النشاط التجاري المغربي ففي عـــام 1745 اصدر المغرب عبر المحيط الاطلسي عـــن طريـــق الصويرة 85000 طن من القمح والقطاني ، وفى سنة 1751 تضخمت حركة الميناء فبلغت قيمة روجانه ما يقرب من ستة ملايين فرنك وهو مبلغ له خطورته فى ذلك العصر وقد زار المراسي الاطلسية فى تلـــك السنة 223 باخرة اوربية وظلت مراسي الصويـــرة مكتملة النشاط الى عام 1911 حيث زارهـــا 462 باخرة وكان الميزان التجاري المغربي مزدهرا آنذاك لان الصادرات بلغت فى هذه الاونة ثلاثة اضعـــاف الـــواردات .

تلك شواهد نوردها لدحض ما يزعمـه البعض من ان المغرب عاش منطويا على نفسه ، نعم اضطـر احيانا لاتقاء الدسائس الاوربية بانزواء والقبوع بـل بلغت مضايقة بعض الاقطار اللاتينية مبلغا حداه الى قصر علائقه على بعض الامم البروتستانتية المحاذية لسواحل بحر الظلمات كانجلترا والسويد والدنمارك التي امضى معها معاهدات تجارة ووداد وهذا يدلنـا على ان النعرة الدينية لم تكن هي الباعث على انعزال المغرب عن اوربا ومع ذلك فلا يبعد أن يكون ملـــوك المغرب قد ظلت عالقة بأذهانهم ذكريـــات تحريض البابوية والدول الكاثوليكية التابعة لها على اكتســـاح المغرب باسم الصليب ومهما يكن فان هذا القبـــوع يرجع فى نهاية الامر الى رغبة المغرب فى التحصن ضد الحركات التوسعية التي بدأت بوادرها تظهر فى بعض سواحل المتوسط الافريقية .

وقد امضى السلطان سيدي محمد بن عبد الله قبل وفاته ببضع سنوات (1786) معاهدة تجـــارة وملاحة مع الولايات المتحدة لمدة خمسين سنة وقع تجديدها عام 1836 .

فالمغرب لم ينعزل اذن عن العالم العصري ولم يهمل كذلك تطور السياسة الاوربية الامريكية بل تتبع بكامل الاهتمام واكيد العطف حركة تحرير شعوب ما وراء الاطلسي وقد كان المغرب فى طليعة الدول التي اعترفت باستقلال جمهورية الولايات المتحدة الفتية.

ومنذ القرن السادس عشر امكـــن للحضـــارة المغربية التي كانت الى ذلك التاريخ منحصـــرة فى البحر المتوسط ان تدخل الى امريكـــا الجنوبيـــة بواسطة الغزاة البرتغاليين الذين اكتسحـــوا اذ ذاك العالم الجديد فقد تلقت البرازيل مثلا طوال ثلاثـــة قرون متوالية تأثير المدنية الاندلسية فاتسمـــت جميع مظاهر الحياة الاجتماعية الامريكيـــة بطابـــع مغربي ينمو ويضعف حسب الاصقاع فتقنعت المراة البرازيلية على طريقة زميلتها المغربية وكيفت اسلوب حياتها . كما فعلت المراة الصقلية المسيحية فيمـــا حكاه الرحالة ابن جبير تكييفا بحذو حذو النعـــل بالنعل ما عهد فى الاندلسيات والمغربيات ، نعـــم اصبح الشيء الكثير فى البرازيل صورة لما كان عليه مجتمعنا فى العصور الوسطى من اناقـــة النســـاء الارستقراطيات فى الحواضر واتخاذهـــن الطنافس الوثيرة للجلوس بدل المقاعد الخشبية الى غير ذلك من طرائق الحياة الفردية ومناهج الفلاحة والفراسة فى البادية فبالرغم عن اختلاف الطقس استخدم الفلاح الامريكي اجهزة واساليب الفلاحة المغربية وانتشـر استخدام الطواحين الهوائية فى مجموع انحاء امريكا الجنوبية مع جميع ما ينطوي عليه نظام الري عندنـــا (السواقي والابار الخ) وقد نقل المعمرون البرتغاليون الى امريكا جميع ما أنجزه المغاربة فى القسم الجنوبي من الاندلس من مصانع السكر والقطـــن الى مزارع الحوامض ودودة القز (كانت 3060 قرية اندلسيـــة تتعاطى تربية دودة القز) علاوة على ما كان بالمغرب وخاصة ناحية فاس . على ان اللغة الاسبانية الامريكية تنم عن الاثار التي تركتها حضارتنـــا فى الميـــدان الثقافي والاقتصادي والاجتماعي بأمريكا فالاصطلاح الامريكي فى المياه والسقي والري معظمـــه عربـــي وكثير من الازهار والنباتات العطرية ما زالت تحمل فى اسبانيا وامريكا اسماء عربية اضف الى ذلك مـــا يمس (مودة) النساء من اسماء الحلي والمصوغات .

والشبه وثيق بين المغرب وامريكا الجنوبية فى ميدان الهندسة المعمارية حيث لا تختلف فى البلدين اساليب البناء فى الكنائس والاديـــرة والمنـــازل

والحمامات وقد تأثر الاصطلاح الامريكي فى هـذا المجال ايضا بالمفردات العربية .

ويضيق المجال عن تعداد المناحي التي تجلت فيها آثار الحضارة المغربية والاندلسية بامريكا فحتى اساليب الطبخ واسماء العائلات لا تختلف فى امريكا عنها فى المغرب ووحدة أصول العائلات العربية تفسر لنا نجاح الهجرة العربية الى امريكا لا سيما العناصر السورية واللبنانية التي ساهمت مع المغاربة منذ العصر الاموي فى تكييف الحضارة الاندلسية مما جعلنا نلمس من جهة اخرى وجوه الشبه العديدة بين كثير من المؤسسات السورية والمغربية .

ويتمتع المغربي فى أمريكا الجنوبية بسمعة طيبة فهو مثال النشاط والمثابرة والذكاء وقد اشتهر المغاربة كملاحين مهرة وليس ذلك ببدع ، فاذا كانت البحرية البرتغالية قد استطاعت ان تمخر عباب بحر الظلمات وأن تصل الى امريكا فما ذلك الا بفضل اساليب الملاحة العربية فابن ماجد الملقب (بأسد البحر الهائج) صاحب المصنفات العديدة فى قيادة السفن هو الذي كان ربان الرحال فاسكو دو كاما (1469 — 1524) الذي كشف عام 1498 طريق الهند وقد مهر مغاربة فى هذا الفن منهم عبد العزيز بن احمد .

تلك بعض المظاهر التاريخية لرسالة المغرب فى المحيط الاطلسي وهي رسالة أصبحت فى الظروف الدولية الراهنة اشد واقعية من اي وقت مضى .

واذا حاولنا ادراج هذه المعطيات فى اطارها السياسي ضمن التطور التاريخي المسلسل لاحظنا ان العنصر البربري هو فى راي الكثير من النسابين مزيج من الساميين والحاميين (1) الا ان من الصعب التعرف الى ماهية البربر سلالة ولغة قبل دخول الفينيقيين الى الشمال الافريقي فى أوائل القرن الثالث عشر قبل الميلاد — وكانت حضارتهم قد تركزت قبل فى لبنان وسواحل الخليج العربي بالبحرين والقطيف — فأسسوا بالمغرب الاقصى حاضرة ليكس Lix قرب مدينة العرائش حوالي 1100 ق. م. كما اقاموا مدينة «اوتيك» Utique ثم قرطاجنة (عام 814 ق. م.) ولكن سقوط الحاضرة القرطجنية (عام 146 ق. م.) فسح المجال للرومان والبزنطيين — الذين زحزحهم الفاتح العربي بعد القرن الهجري الاول — حيث انشا عقبة بن نافع مدينة القيروان (50 هـ — 670 م) ثم انطلق (عام 62 هـ) فى جولة عسكرية خاطفة نحو اقصى الصحراء المغربية حيث تلاه موسى بن نصير (عام 88 هـ) بجيوشه التي هبت بامرة طارق بن زياد لفتح الاندلس عندما كان صالح بن منصور الحميري يقيم باسم الخليفة الوليد بن عبد الملك مملكة نكور فى الريف وظل المغرب بعيدا عن تيارات الشرق ومراقبة بني امية الذين استبد بعض ولاتهم فامتهنوا البربر واجبروهم على اداء خمس اموالهم لبيت المال (2) وادى السخط العام الى ثورة البربر باقليم طنجة (عام 122 هـ) بدافع من الخوارج الصفرية والاباضية الذين جاءوا من العراق يحملون مشعل الدعوة الى مبادئهم فى الديموقراطية والمساواة تحت ظل الاسلام ، فتأسست دويلات خارجية فى المغرب الكبير وخاصة فى سجلماسة (عام 140 هـ) وتامسنا (2) بينما فر فلول العرب الواردين من ثغور مصر والشام الى الاندلس ، وكانت الاضطرابات على اشدها فى الشرق بين العباسيين والامويين والعلويين ففر المولى ادريس بعد وقعة « الفخ » قرب المدينة المنورة الى مصر ومنها الى المغرب الاقصى (172 هـ) حيث اسس أول مملكة عربية اسلامية (3) خشي هارون الرشيد باسها فدس من اغتال هذا الامير العلوي الذي اقتبله البربر بحماس تلقائي لم يعهد مثله لفاتح اجنبي وبويع لابنه الناشيء ادريس الازهر (عام 188 هـ) فاتسع نفوذه ونقل عاصمته من « وليلي » الى فاس (عام 192 هـ) . ثم تجزات المملكة الشاسعة بوفاته (213 هـ) وانتهز الخوارج الصفرية هذا التفكك فثاروا ضد الادارسة الذين نقلوا دولتهم الجديدة الى الجبل وجعلوا عاصمتها البصرة التي واصلت نفوذها خلال قرنين وفى غضون ذلك انقرض الاغالبة ، وقام القائد الفاطمي

---

(1) « البيان المعرب » لابن عذاري — طبعة بيروت 1950 جـ 1 ص 52 .

(2) امارة البرغواطيين تقع فى تامسنا بين سلا واسفي وكان مؤسسها هو طريف من قواد الثورة الصفرية الذي ابتدع نحلة جديدة لمعارضة الاسلام .

(3) يفهم من مصادر عربية ونقود ادريسية أن المولى ادريس الاول كان قد اسس جانبا من مدينة فاس قبل هذا التاريخ (« تاريخ المغرب » للكاتب ج 1 ص 90) .

جوهر الصقلي مؤسس القاهرة (عام 347 هـ) باقتحام خاطف لفاس التابعة للناصر الاموي بينما ظل امراء البربر يتأرجحون بين الانصياع للادارسة من ناحية وللعامريين غاصبي مملكة الامويين بالاندلس من ناحية اخرى قرابة قرن ونصف قرن في خضم من الفوضى والغموض جعلت المغرب احوج ما يكون الى زعيم من طراز يوسف بن تاشفين الذي ما لبث ان استكمل توحيد المغرب الاقصى منطلقا من عاصمته الجديدة مراكش التي اسست (عام 454 هـ) لاستئصال البرغواطيين وتقويض مملكة نكور التي كانت مقر الانطلاقة الثانية لتعريب المغرب الاقصى بعد افواج القراء والخوارج العرب وما لبث ان اعقبتها انطلاقة ثالثة بزعامة الادارسة الذين ركزوا اول دولة اسلامية على نطاق المغرب من الصحراء الى الاطلس الى الريف . وكانت الصليبية قد بدات تتحرك من الاندلس للإيقاع بالاسلام فانبرى القائد المرابطي (479 هـ / 1086 م) اي قبل الحرب الصليبية الاولى بعشر سنوات (1096 م) لتحرير امارات ملوك الطوائف من ضغط الاسبان فأحرز في معركة الزلاقة (عام 1086) (4) ضد الفونس السادس ملك قشتالة (عام 1065 – 1109) نصرا تردد صداه في الشرق والغرب وذاع صيت القائد الظافر الذي لقب منذ ذلك اليوم « بامير المسلمين » مع استمرار دعوته لدار الخلافة العباسية تركيزا للوحدة الكبرى وتكونت امبراطورية واسعة ضمت الصحراء والمغارب الاربعة (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) والاندلس تحت الحكم المرابطي ثلاثة ارباع قرن (الى 537 هـ) ظهر خلالها ملوك طوائف جدد بالاندلس وزحف صليبي عارم في افريقية (اي تونس) وكان المهدي بن تومرت قد بدأ جولته في الشرق منذ أوائل القرن السادس فانبرى يجدد معالم الدين ويركز العقيدة السلفية ويجمع من جديد تحت ظل الاسلام المملكة المرابطية الشاسعة التي بدات تنهار . وقد استطاع خليفته عبد المؤمن الموحدي في سنة الاخماس (555 هـ) تخليص افريقيا من الغزو النرمندي وتحصين جبل الفتح (جبل طارق) بالاندلس بفضل اسطوله العتيد الذي اصبح أول اسطول في البحر الابيض المتوسط (5) والضرب على ايدي العرب الهلاليين والسليميين الذين نشروا الرعب والدمار بافريقية فازدهرت بذلك حضارة جديدة اسهمت الاندلس في طبعها بميسم خاص بزعامة يعقوب الملقب بالمنصور منذ ظفره على الصليبية المتكتلة في وقعة الارك (591 هـ – 1195 م) اي بعد وقعة حطين بنحو عقدين من السنين وشعر البابا اينوسان الثالث Inno Cent III (عام 1198 – 1217 م) بالخطر الداهم فتكاتفت البابوية بموجب تصميماتها المعتادة مع ملك قشتالة الفونس الثامن (1158 – 1214 م) واسقف طليطلة رودريك جيمنيز للكر من جديد على الاسلام المتوثب في وقعة العقاب (609 هـ – 1212م) التي كانت هزيمة شنعاء ضعضعت مقومات الامبراطورية الموحدية في الغرب في نفس الوقت الذي بدا المسيحيون يندحرون في مصر خلال الحرب الصليبية الخامسة (1219 م) حيث طردوا نهائيا من الاماكن المقدسة بعد معركة غزة (عام 1244م) واتجه المرينيون فيما بعد يلمون الشمل معيدين للبلاد وحدتها في حدودها الافريقية بينما هب الفونس العاشر لتضييق الخناق على المملكة النصرية (اي دولة بني الاحمر) التي لم تفد من اجازات المرينيين المتوالية للاندلس سوى خضد مؤقت لشوكة المسيحية والواقع ان الامبراطورية المرينية كانت متهارة من اساسها رغم ذيوع صيت ابي الحسن اعظم ملوكها الذي مني بآخر هزيمة في وقعة طريف (741 هـ – 1340 م) Rio de Salado قطعت الامل في انقاذ الاندلس حيث واجهت مملكة غرناطة مصيرها وحدها وكابد أبو عنان المريني الامرين في حفظ كيان المغرب الذي تقلصت حدوده الجغرافية وتوالت فيه الازمات باستفحال التطاحن بين أدعياء العرش من المرينيين والوطاسيين والسعديين فشاعت الاوبئة وخربت الامصار واندرست كثير من معالم الحضارة واطل الصليب على ثغور المغرب ضمن انتفاضة استعمارية جديدة كانت رد فعل عنيف للحكم الاسلامي في الاندلس طوال ثمانية قرون وبذلك دخل المغرب في عهد جديد قطع خلاله خطوات عملاقة في تعريب اجهزة الدولة والقطاعات العلمية والثقافية والمؤسسات الاجتماعية واحتضان التراث العربي الاندلسي بمختلف شبكاته ومقوماته وذلك بالرغم عن رد الفعل الاجنبي حيث احتل البرتغاليون سبتة (818 هـ) وطنجة (869 هـ) والقصر الصغير

---

(4) وقعت معركة حطين التي انتصر فيها صلاح الدين الايوبي على الصليبيين بعد قرن كامل (عام 1187م) فكأنها كانت ذكرى مئوية لانتصار الزلاقة .

(5) أندري جوليان – تاريخ افريقيا الشمالية عام 1931 ص 42 .

(863 هـ) واصيلا (876 هـ) ، وفى نفس الوقت اسس البرتغاليون مراكز الهند الاقتصادية بعد ان كانت قد ظهرت فى اوربا بوادر للنهضة واستولى المسيحيون على الفردوس المفقود الا ان بوارق الامل بدات تتجلى فى الافق بفضل زحف العثمانيين من الشرق الى اوربا واصبح المغرب نظرا لوضعه الجغرافي موزعا بين مطامع الاسبان شمالا والاستعمار الجديد فى المحيط الاطلنطكي غربا فامست سواحله المتوسطية مسرحا لعراك عنيف بين الهلال والصليب انتهى بسقوط اسطمبول (التي كانت تسمى انذاك الاستانة) فى قبضة العثمانيين (858 هـ — 1453م) بينما اضاف العدو ثغورا جديدة لمكاسبه الترابية بالمغرب فاستولى على انفا (874 هـ) والبريجة (907 هـ) واكادير (910 هـ) والمعمورة (920 ص) علاوة على مالقة (892 هـ — 1487 م) ثم غرناطة (897 هـ — 1492 م) بالاندلس وبدا العملاق العثماني يضم الجناح الشرقي من البحر المتوسط (922 — 923 هـ / 1515 — 1517 م) كان بداية عصر التحجر والانحطاط فى العالم العربي والاسلامي وفى هذا الخضم انبرى الشعب معززا بالعلماء والصوفية يذكيه اشعاع روحي فحرر بقيادة السعديين اكادير وآسفي وازمور (948 هـ) ووقف فى وجه التوسع العثماني الذي زاد الطين بلة بتأجج المناورات والدسائس بين اسطمبول ومراكش كما واصل ضد البرتغاليين صراعا تبلور فى معركة وادي المخازن (986 هـ — 1578 م) التي تعتبر فصلا رائعا من فصول الكفاح بين الصليبية والاسلام تفككت فيه أوصال البرتغال التي فقدت استقلالها طوال ستين سنة باندماجها فى الاطار الاسباني وقد تعزز بذلك وضع المغرب فى المجال الدولي فخطبت اوربا ود المنصور السعدي لان هزيمة دولة استعمارية متأصلة كالبرتغال ما كانت لتمر دون ان تثير اعجاب العالم ومع ذلك فان المنصور ادرك بحصافته ما ظل يهدد المملكة من خطر قللت من وطأته النزاعات الاوربية بين النمسا وانجلترا وفرنسا وهولندا (6) وحاولت انجلترا عبثا استغلال مادره على المغرب غزو السودان وافتكاك البرتغال لاسراء من النبلاء فاقترحت عليه الاشتراك فى احتلال الهند ولكن المنصور ظل يخوض فى الداخل معركة الترميم التي ما كاد يكملها حتى عاجلته المنية فانهار الكيان الذي اخذ يتهلهل بقيام امارات مستقلة فى الشمال والجنوب اهمها دويلات الدلائيين فى الاطلس الاوسط « وبودميعة » بسوس والعياشي ثم تلميذه الخضر غيلان بالشمال غير ان الشعب المغربي لم يكن ليستسيغ هذا التمزيق فى وحدته فانبرى العلويون بزعامة المولى الرشيد ثم اخيه المولى اسماعيل لتجديد الالتئام وتحرير الثغور بطرد الاسبان من المهدية (1092 هـ — 1281 م) والعرائش (1101 هـ) والانجليز من طنجة (1095هـ) واقامة معالم للعمران وتوطيد الامن وصون الاستقلال والوحدة بجيش عتيد وقلاع حصينة غير ان جنود السودان الذين كانوا قواما للجيش الفتي منذ عهد السعديين ما ابثوا ان تدخلوا فى شؤون الدولة كالديلم والاتراك والانكشارية فى الشرق فصاروا يقيمون العروش ويقوضونها طوال ثلاثين سنة انتهت مع ذلك بفترة ازدهار فى عهد الملك العالم محمد بن عبد الله (1171 هـ — 1204 هـ) (1757 — 1790م) الذي ركز مقومات الحضارة وواصل تحرير الثغور وكون اسطولا قوامه خمسون سفينة معظمها حراقات حربية تحتوي على ستين قائدا واربعين الف بحار ووطد العلاقة مع الدول الاسلامية والدول الاوربية على السواء وامضى معاهدات مع الولايات المتحدة التي كان اول من اعترف بها ومع امم بروتستانتية كالدول الاسكندنافية تحقيقا للتوازن مع الدول اللاتينية الاستعمارية ومدافعة للبابوية الناقمة وكانت اوربا آنذاك فى غمرة من الاضطرابات زادها تأججا انبثاق الاستعمار الناشىء والتسابق نحو غزو الشرق الاقصى وتعزيز الصناعة الاوربية بمواده الاولية بينما كانت الامبراطورية العثمانية تسير فى طريق الافول تحت ضربات الاحلاف الاوربية — وخاصة منها الحلف المقدس عام 1815 — التي ادت الى تجريد السلطان سليمان ابن محمد بن عبد الله (1206 هـ — 1238 هـ) (1790 — 1820 م) من اسطوله بدعوى مساندته للقراصنة وحاول نابليون آنذاك الضغط على

---

(6) كان شارل الخامس ملك اسبانيا امبراطورا للنمسا والمانيا حارب ملك فرنسا فرانسوا الاول طوال ثلاثين سنة وكذلك الاتراك وخلفه ولده فيليب الثاني الذي ضم الى اسبانيا بلاد هولندا ثم البرتغال عام 1580 م بعد معركة وادي المخازن فعاش المغرب الى 1098هـ عشرين سنة من الهدوء النسبي .

المغرب للانضمام الى كتلة الحصار القاري وهي الحركة التي هدف بها الامبراطور الفرنسي عام 1806 م الى اقفال جميع الموانىء فى وجه انجلترا لتضييق الخناق عليها اقتصاديا . وشعر العرش المغربي بالدور الذي بدات فرنسا تقوم به لاحتلال اشمال الافريقي فساند خصوم هذا التيار الاستعماري فى شخص عبد القادر ابن محي الدين فى كفاحه ضد الجيوش الفرنسية نحوا من خمس عشرة سنة (1246 هـ — 1830 م الى 1260 هـ — 1844 م) الى ان انهزم المغرب فى وقعة « ايسلى » (1844) وقد واكب هذا الزحف الصليبي الجديد من شرق المغرب زحف آخر من شماله بزعامة الاسبان الذين احتلوا مدينة تطوان (1276 هـ — 1860 م) نحوا من سنتين انبرى اثرها المغرب يعزز جبهته فأقام صناعة حربية وجيشا نظاميا وابعد السلك الدبلوماسي وعملاءه الى العاصمة الجديدة طنجة (7) ودافع المناورات السياسية الجديدة التي اتخذت شكل بعثات علمية واقتراح اصلاحات داخلية فاندرجت قضية المغرب فى خضم دولي وواصل الحسن الاول هذا الصراع بين الاسلام والمسيحية غير ان بموته (1311 هـ / 1894 م) انفتحت ثغرة فى كيان المغرب ابتداء من 1318 هـ / 1900 تحت تأثير شرذمة من السماسرة والمغامرين الدوليين على غرار ما وقع فى مصر فى عهد كل من اسماعيل وتوفيق وتزايد استياء الشعب وتأزم الوضع وانفسح المجال امام الثوار والادعياء وامست فرنسا المحتلة للجزائر تقتطع من تراب المغرب الشرقي والصحراء بعد ان تقاسمت مع انجلترا واسبانيا (عام 1322 هـ / 1904 م) النفوذ فى الجناحين الشرقي والغربي لافريقيا الشمالية فاعترف الانجليز لفرنسا بنوع من الحماية على المغرب مقابل اندراج مصر فى منطقة النفوذ البريطاني وناب اسبانيا حظها من هذا الاقتطاع شمالي المغرب وبدات القروض المالية تعزز التسرب السياسي فصرخ المغرب صرخة مدوية فى وجه الاستعمار الصليبي الجديد تردد صداها فى مؤتمر الجزيرة الخضراء (1324 هـ / 1906 م) الذي نادى باستقلال السلطان وصون كيان مملكته مقررا مع ذلك الباب المفتوح اى المساواة فى الاقتصاد بين الدول « وتدويل » حركة الاصلاح وشعر الشعب المغربي بالدسيسة فانطلقت مقاومته خافتة محدودة اول الامر بعد ان تجرأت فرنسا على احتلال وجدة (1325 هـ / 1907 م) وعلى قنبلة الدار البيضاء اثر اغتيال رعايا فرنسيين واتخذ الصراع شكل انتفاضة قومية انتهت باعتلاء المولى عبد الحفيظ وعزل اخيه المولى عبد العزيز وتقررت حماية كل من فرنسا واسبانيا للمغرب بموافقة الالمان الذين نابهم حظهم فى الغنيمة الافريقية وكان للعالم الاسلامي بالشرق الادنى يتجه بخطى حثيثة نحو حياة برلمانية بتأثير من « تركيا الفتاة » و « جمعية الاتحاد والترقي» وكان لذلك صداه بالمغرب حيث قامت محاولات دستورية كمحاولة السلطان مولاي حفيظ اصدار دستور فى نفس السنة التي صدر فيها الدستور العثماني عام 1908 وظل المغرب يموج فى هيجانه من الاطلس الى الصحراء الى السواحل ضمن الثورة العربية الكبرى ضد الاستعمار الذي شتت دار الخلافة ومزق وحدة العرب فتأججت حرب الريف بزعامة البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي (8) وكانت انطلاقته من جامعة القرويين منبثق التحرير حيث استكمل الزعيم الريفي تكوينه الاسلامي فهزم الاسبان فى معركتي انوال (1340 هـ / 1921 م) واجدير (1922 م) ولكن الصليبية — فى الوقت الذي قدر لحركة التحرير التركي فى الاناضول أن تنتصر فى معركتي « ايس — أونى » و (سقاريا) ظلت يقظة

(7) اضطر المغرب الى امضاء معاهدات مع الدول الاوربية وخاصة مع انجلترا عام 1856 م وفرنسا عام 1863 م لعرض الحماية الاوربية على الرعايا المغاربة ثم تعزز ذلك بمعاهدة مدريد عام 1298 هـ / 1880 م التي خولت للسفارات الاجنبية حق منح حمايتها لموظفي القنصليات والمتاجر الاجنبية وعلائلاتهم مما فتح الباب للتدخل الاجنبي فى شؤون المغرب الخاصة لا سيما وان الاجانب اصبحوا يتمتعون بحق الملكية للارض والعقار فى التراب المغربي .

(8) استسلم ابن عبد الكريم عام 1926 فنفته فرنسا صحبة اسرته الى جزيرة لارينيون حيث قضى احدى وعشرين سنة تقرر بعدها نقله عام 1947 الى فرنسا فدبر « مكتب المغرب العربي » لدى نزول الزعيم بقناة السويس خطة لاختطافه فاستقر مع عائلته بالقاهرة فى ضيافة مصر الى ان توفى عام 1382 هـ (1963 م) .

فى البحر الابيض المتوسط تتربص الدوائر بالاسلام فواصلت الحماية الفرنسية فى المغرب زهـــاء نصف قرن سياسة التمسيح والتغريب والتفقير والتجهيل بالرغم عما أقامته لفائدة جالياتها (التي كادت تبلــغ نصف مليون) من مظاهر الرغد والتعيم وكان هـــذا المكر المحبوك مثار مقاومة سياسية منظمة تزعمتهـا « كتلة العمل » أو « الحزب الوطني » التي شكلت الخلايا للتوعية السياسية وكونت صحافة قوميــة باللغتين ووصلت حركة المغرب التحريرية بشبيهاتها فى الشام ومصر حيث اسست بالقاهرة (عام 1944م) « جبهة شمال افريقيا » وأصدرت باتفاق مع العرش المغربي ميثاق الاستقلال وانبرى الملك الراحــل محمد الخامس وولي عهده آنذاك الحســن الثانـي يعلنانها فى طنجة عام 1947 حربا شعــواء ضــد الاستعمار فما لبثت صرخاتهما أن ترددت فى أروقة الجامعة العربية وهيئة الامم المتحدة فنفى الملــك المجاهد مع أسرته الكريمة الى مدغشقر فلم يلــن القمع قناته وظل يتزعم الحركة التحريرية الى ان عاد من منفاه ظافرا يحمل وثيقة الاستقلال الذي أعلــن رسميا فى ثاني مارس 1956 فاندرج المغرب فى عهد جديد يرمم ويخطط لوصل حاضره بماضيه .

ومرت عشرون سنة على الاستقلال تغير خلالها وجه المغرب بما انتشر فى ربوعه من مظاهر الرقـي ومجالي التقدم فى شتى القطاعات وخاصــة منهــا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وكاد المغرب الآن فى طفرته العارمة يتوازى قريحة وتطورا مع كثير من دول أوربا فضلا عن الدول النامية وكان له فى هــذه الفترة المشحونة من تاريخه المعاصر ضلع قــوي فى بعث النهضة العربية والوحدة الاسلامية وتكتيل الشعوب الافريقية واحتضان حركات التحرير ومحو رواسب الاستعمار فى مجاليه القديمة والجديــدة فهب ملكه الشاب الحسن الثاني فى قوة عزيمة ومتانة شكيمة لتحرير الاجزاء المغتصبة من الوطن وتخليص الجزر والجيوب المغربية من قبضة المستعمر دعما لسيادة افريقيا وكرامتها ووحدتها وتعزيزا لوضــع العروبة فى هذا الجزء من العالم حتى تقوم بدورها كاملا غير منقوص فى البحر المتوسط والمحيــط الاطلسي ضمن المجموعة الاممية لصالح الانسانيــة والحرية والامن والسلام .

> ● **قال عمر بن الخطاب : ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهــوى متبــع ، واعجــاب المــرء بنفســه ..**

صدى الفارابي في المغرب

للدكتور عبد الهادي التازي

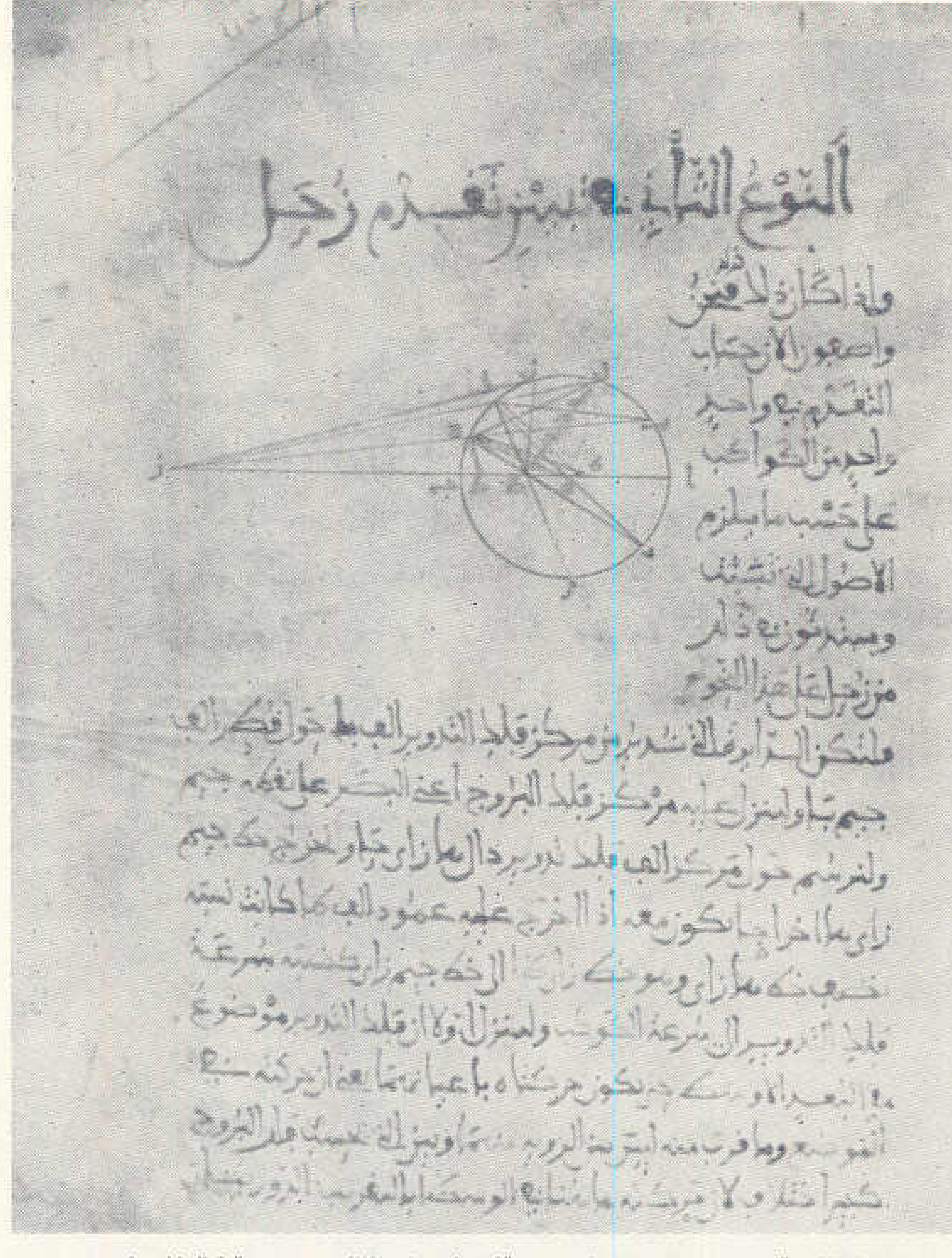
اهتمت المؤسسات الاكاديمية فى مختلف جهات العالم بذكرى مرور الف ومائة سنة على ميلاد العلامة الفارابى ، وهكذا سمعنا عن ندوات تنظمها جامعة طهران واخرى تنظمها الاكاديمية العلمية فى الاتحاد السوفياتى وثالثة دعت اليها جامعة بغداد ثم جامعة دمشق واخيرا الهيئات الادبية فى المغرب الاقصى . . .

وهذا البحث ألقيته فى مدينة الماآتا من قزاخستان بآسيا الوسطى : مسقط راس الفارابى : د. عبد الهادي التازي

ان الذين يعرفون عن عبد الرحمن الناصر (277 — 350 = 890 — 961) انه ارسل الى بغداد بالعباس بن ناصح الثقفى خصيصا من اجل ان يقتنى له كل غريب نادر من المخطوطات الثمينة ، وان الذين يسمعون عن ظهور بعض الكتب المشرقية فى المغرب قبل ان تشيع بين مثقفى تلك الديار ، سوف لا يستغربون عندما يسمعون عن توفر المكتبة المغربية منذ التاريخ المبكر على شذرات من كتاب المجسطى : AL MAGUESTO لبطليموس الذي كان فى صدر من اهتم بشرحه ابو نصر الفارابى والذي يعتبر من امهات الكتب التى الفت فى علم الفلك ، وقد كتبت الشذرات التى تحمل فى خزانة جامع القرويين من فاس رقم 654/40 ، بالسواك على رق الغزال ، وتضمنت عدة اشكال هندسية رسمت بدقة واتقان لا تختلف عن الاشكال التى احتواها شرح الفارابى الذي نشرته اخيرا اكاديمية العلوم فى موسكو . ومعنى وجود مخطوطة من هذا النوع بخزانة الجامعة المغربية العتيقة أن رجال الفكر بالمغرب كانوا يعنون جيدا باهتمامات الفارابى ويولونها المزيد من البحث والتمحيص .

ونحن عندما نقول (المغرب) لا نقصد الى المغرب فى رقعته الحالية ولكن الى المغرب الذي كان يمتد شمالا الى اروبا وجنوبا الى تخوم افريقيا وشرقا الى ما وراء برقة .

وما تزال المكتبة الوطنية فى مدريد تحتفظ الى اليوم بمخطوطة تحت رقم 241 ، كانت هى تأليفه فى الموسيقى بما تضمنه من رسوم للآلات ووصف لاداء



المخطوطة رقم 40 / 644 بعنوان : ورقات فى علم الفلك ، وهي قطعة اشتملت على ست عشرة صفحة فى رق الغزال ،مبتورة الاوائل والاواخر رسم فيها مؤلفها عدة اشكال هندسية بدقة واتقان تشرح بعض مواضع الكواكب ، يقول الاستاذ السيد العابد الفاسي محافظ خزانة القرويين فى فهرسته (مجلة بعض المخطوطات التابعة لجامعة الدول العربية ، مايه 1959) انه يظن انها من المسجطي الذي هو من اشرف ما صنف فى علم الهيئة بل هو أم الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع فى بعض صفحاته الحديث عن زحل وحساب التقدم فى الكواكب ...

لوحة رابعة من شرح الفارابـــي للمجسطـــي ...

النغمات مما يعتبر فى صدر التراث الحضاري الذي احتضنه المغرب ونماه ، بما اضاف اليه من اصـول وفروع اضفت على الموسيقى الاندلسية ـ الـذي يستأثر بها المغرب اليوم ـ اضفت عليها حلـة الاصالـة والاثالـة !

ومع هذا وذاك فاننى لا اغفل هنا الحديث عن مخطوطة ثالثة قيل انها تتعلق بالفارابى ، وهـى عبارة عن سفر ضخم مبتور الاوائل كتب بخط مشرقى يحمل فى خزانة جامعة القرويين رقم 1286 ، ويتعلق الامر بما ذكر انه شرح اسماعيل الحسينى المتوفى سنة 896 = 1491 ، لكتاب (فصوص الحكـم) المعروف للفارابـى . . .

لقد ظن ان للمخطوط المشار اليه علاقة بفصوص الفارابى ، وقد جاء الظن من انها ـ على ما نرى فى اللوحات المعروضة ـ تحمل بين الفينة والاخرى كلمة (فـص) . . .

والواقع ان فصوص الفارابى التى اصبحت فى متناول القراء (1) لا تتضمن اشارة لنصوص الفصوص المتناولة فى مخطوطة خزانة جامعة القرويين . . . وهنا توضع علامة الاستفهام لمن هذه (الفصوص) التى تحتضنها المكتبة المغربية ، وهو السؤال الذي اتمنى ان نجد له جوابا من المهتمين بالنصوص ، وستكون لهذا الجواب قطعا قيمة علمية كبرى تدل على مـا تستأثر به المكتبة المغربية من كنوز وذخائر غائبة من المكتبة المشرقيـة . . .

وعلى ذكر شرح اسماعيل الذي يعتبر احـد شروح نصوص الفارابى ، والذي توجد نسخة منه فى ليدن تحت رقم 1002 كما توجد فى العراق وايران وتركيا وافغانستان والهند وبيروت والقاهرة واكسفورد وايرلاندا وبرلين وفيينا ، على ذكره ارجو ان ارفـع لبسا وقع فيه بعض المؤرخين عندما نعتوه **بالفارابـى مع انه القازانى (بالقاف والزاي)** ، وهكذا نعوض ان يقرأ القازانى قريء الفارابى ، ونحن على علم من اساطير النقط ومضاعفتها عبر التاريخ . . .

ومع هذا فانى ارى من المناسب ان اشير بهذا الصدد الى ان بعض من اهتموا من علماء المشرق بتحقيق اسم هذا القازانى افترضوا مرة انه القازانى وثالثة الفارانى ، ولكن احدا لهم يتذكر قازان التى كان لها ـ وبخاصة فى القرن التاسع الهجري ـ دور كبير فى ازدهار الحضارة الاسلامية واللغة العربية .

لقد كانت مدينة قازان قاعدة التتر واحـدى عواصم العالم الاسلامى ، كانت الى وقت قريـب تكتسب جامعة احتضنت فى مطلع هذا القرن سبعة آلاف طالب وتوفرت على مطبعة اصدرت بهذا التاريخ مائتين وخمسين مؤلفا وعلى مكتبة كان يرتادها عشرون الف طالب مما يعكس مركزها فى القرن التاسـع الهجري .

واخيرا فـان شرح الفارابى لايساغوجـى ISAGOGUE الذي الفه فورفوريـوس PORPHYRE ما يزال يداعب مسمعى وانا اتلقى دروس المنطق اواخر النصف الاول من هذا القرن ، على مشايخ جامعة القرويين ، وبشروح وحواش وتعليقات من تاليف علماء من المغرب امثال ابى بكر محمد بن يحيى بن باجة ، والشيخ بنانى . . .

تلكم بعض الاستطلاعات العابرة عن آثـار الفارابى فى المغرب ، واننى على مثل اليقين من وجود آثار له اخرى ستظهر عندما تستكمل الخزانـات والمكتبات المغربية جرد ما تحتوي عليه من نفائس مما يزال الى الان فى طريق الانجاز والتحقيق وخاصة منها المكتبة الملكية . . .

اقول على مثل اليقين لان صلة المغرب بمؤلفات الفارابى وافكار الفارابى بلغت حدا من التمكن جعلتنا نحن المغاربة نعتبر بأن فضل معرفة اوربا للفارابى يرجع لعلمائنا وفلاسفتنا من الذين كانوا ينتقلون من الاندلس الى المغرب ويعيشون فى فاس او مراكـش او طنجة كما كانوا يعيشون فى قرطبة او اشبيلية او غرناطـة !

***

واذا اصبح من عادات الدول اليوم ان تتظرف بعقد التآخى بين المدن او تاسيس التوأمة بين البقاع لعلاقة مشابهة ، فان تاريخ المغرب القديم سجـل نوعا من المواخاة والتوأمة بلغ القمة فى الدلالة والعمق

---

1) كتاب بغداد ، د. حسين على محفوظ و د. جعفر الياسين : مؤلفات الفارابى : بغـداد 1395 ـ 1975 ـ الشيخ محمد حسن الياسين : فصوص الحكم ـ بغداد 1936 = 1976 .

لوحة ثالثة من شـرح الفارابـي للمسجطـي ...

صفحـــة من ثنايا مخطوطـــة الموسيقـــي للفارابـــي

وقد سمعنا عن الفيلسوف المغربى ابى بكر بن باجة السالف الذكر والمعروف فى اروبا باسم Avenpace سمعنا عنه وهو يهتم بالقضايا السياسية والالاهية ، سمعنا عنه وقد برز فى علم المنطق والفنون الموسيقية حتى لجعله ابو العباس المقري توأما لابى نصر الفارابى فسماه (فارابى المغرب) ، فكانت أول توامة تتم فى الحقل العلمي بين شخصية فى اقصى المشرق وشخصية اخرى فى اقصى المغرب . . .

لقد عنى ابن باجة فعلا قبل ابن طفيل وقبل ابن رشد ، عنى بالفارابى وتقفى خطاه فى سائر الميادين التى عالجها مما يبرر استنتاج صاحب النفح المقري .

وان الظاهرة البارزة فى اهتمام (فارابى المغرب) ، على صغر سنه ، بزميله على علو كعبه ، انه اي ابن باجة لم يقف عند حد الترديد والتحليل والتدبر ولكنه تجاوزه الى درجة الابتكار والتمحيص والتعليق . . . وهكذا فرض اسمه فرضا على كل الذين اشتغلوا شرقا وغربا بابى نصر الفارابى . . .

فى كل المهرجانات والندوات التى اتيمت للفارابى تحية لذكراه ، وفى كل البحوث التى كتبت عنه سواء باللغة العربية او بغيرها نجد اسم ابى نصر دفين دمشق يقترن باسم ابن باجة دفين فاس !

ولو ان الضياع لم يات على معظم مؤلفات ابن باجة لسجلنا مزيدا من التوضيح والتكميل لاراء الفارابى ما فى ذلك شك ، واخرجنا من مجموع الاراء بحصيلة فكرية رائعة .

ومن دون ان نخوض فى باب المقارنات والمفارقات بين ما كتبه الاول وعقب به الثانى مما تعرض له كثير ممن علق على نتائج الفارابيين ، نشير — على سبيل الامتاع والمؤانسة — الى افادة طريفة من الافادات العديدة التى راى ابن باجة اضافتها لما حرره سلفه فى كتابه (المدينة الفاضلة) فى باب (طب النفوس) .

لقد لاحظ الذين قراوا عن (مدينة الفارابى) انه اهمل الحديث عن مدى حاجة المدينة الفاضلة الى القضاة والاطباء ، على خلاف ما يراه ابن باجة : ان من خواص هذه المدينة ان تخلو من القضاة والاطباء على نحو ما يراه افلاطون ! ذلك ان الحب الذي يؤلف بين قلوب ابناء المدينة يحول دون المنازعات والمشاجرات التى تلجىء الى اقامة المحاكم » ومن الجهة الاخرى فان اصحاب هذه المدينة لا يمكن ان يتناولوا — بطبعهم — ما يضر من الاغذية التى تضطرهم الى الاطباء . . . !

***

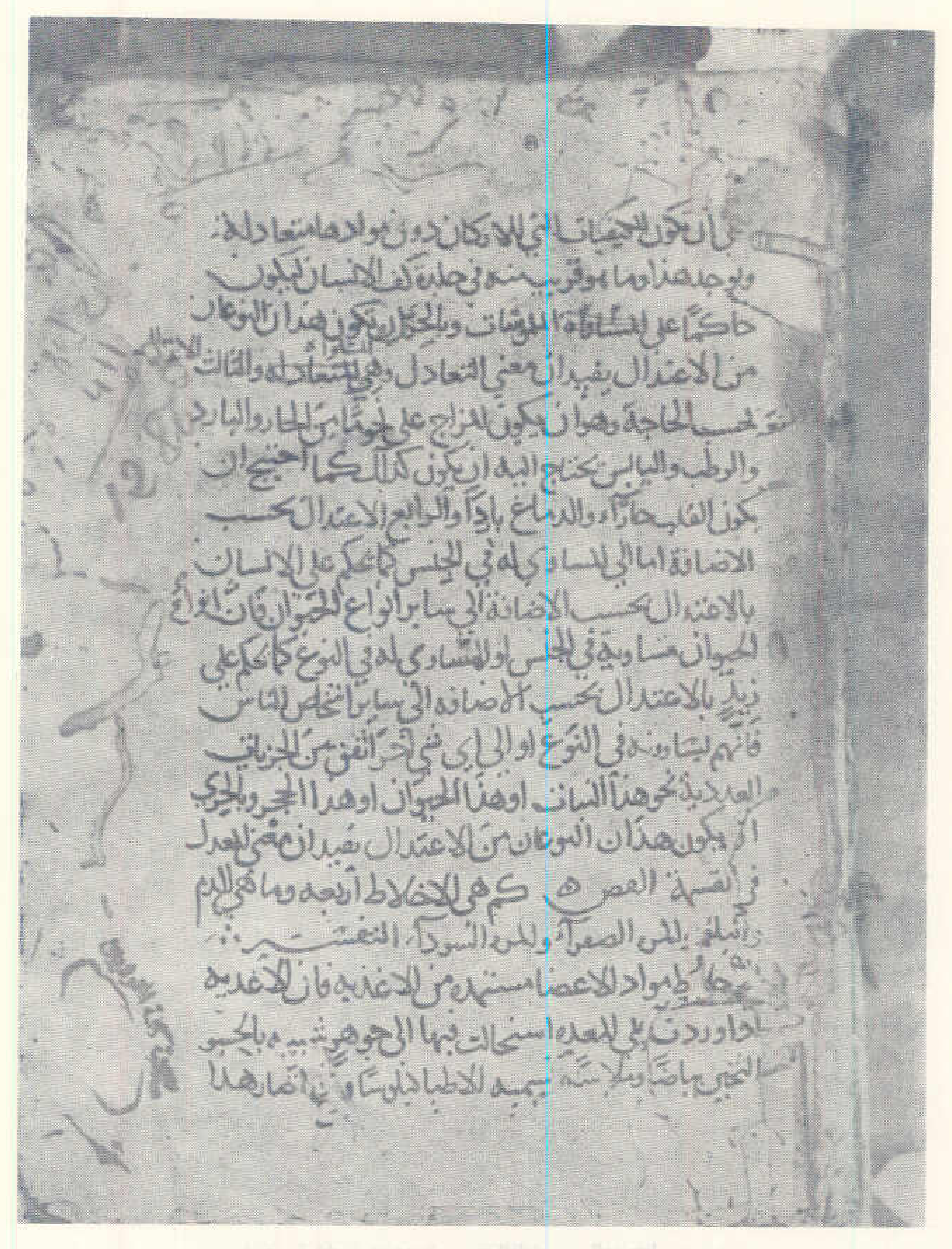
هكذا فانه لا وجود لاطر القضاة ولا اطر الاطباء عند ابن باجة ! ! وعندما يحكم الفارابى على العناصر الطفيلية اي التى تسير فى اتجاه معاكس للمدينة الفاضلة ، يحكم عليها بالطرد او السجن ، نرى ابن باجة لا ييأس من عودة تلك العناصر الى الجادة وهو لا يطرد ولا يسجن . . . ولكنه مرن فى رايه ، سلوكى فى تربيته التى تعتمد على ان العطف على تلك العناصر او « النوابت » كما يسمونها قد يفضى بها آخر الامر الى الاهتداء الى الراي الصادق عن طريق مشاهدة القدوة الحسنة .

وهكذا يرفض ابن باجة علاج الخطيئة بالخطيئة مؤكدا ان الاخلاق والفضيلة تتنافيان فى حد ذاتهما مع اعمال العنف ! تلك افكار عالجها باسهاب السادة « الفضلاء » الذين استهوتهم هذه (المدينة) التى تذكرنا تماما فى عصر الرسول عليه الصلاة والسلام الذي آخى بين المهاجرين والانصار وكان يأخذ بيد الجاهلين حتى يفقهوا ، وبيد المظلومين حتى ينصفوا ، وبيد الضالين حتى يهتدوا . . .

ومن واجبنا ان نتساءل عن مقدم الوزير ابن باجة الى المغرب فى مطلع الدولة الموحدية ، ومن واجبنا ان نبحث جيدا عن السر الحقيقى الذي كان يكمن وراء اغتياله ، وهو فى عنفوان نضجه واكتماله ، ومن واجبنا كذلك ان نبحث عن الدوافع التى جعلت من الموحدين دولة تفكر فى انشاء عالم اسلامى واحد يمتد من المغرب الى الشرق ويقوم فى اساسه على مباديء الانصاف والعدل الذي لا يشكو معه ضعيف ولا يوجد فيه ايثار للانانية . ومن واجبنا أن نتساءل هل ما اذا كان لافكار فارابى المغرب اثر على اتجاه الموحدين فى تشجيع انطلاق الفكر وتقديس الحوار الهادف . . .

ان تاريخ الموحدين مليء بالامثلة التى تدل على ان الفلسفة ازدهرت على عهدهم وان رؤوس المفكرين ارتفعت فى كل زاوية حتى لكان ابن رشد وابن زهر وابن طفيل فى ركاب الخليفة يثيرون فى ركبه المتنقل عبر الاندلس والمغرب ادق المشاكل واسمى النظريات . . .

ومن هنا اعود الى ما اشرت اليه سالفا من أن الفضل فى التعريف بآثار الفارابى فى أروبا ذاتها انما


ان يكون للتركيبات التي للاركان دون موادها اعتدالا
ويوجد هذا ما هو قريب منه في جلدة كف الانسان ليكون
حاكما على المشابهة الملموسات وللحكم فيكون هذان النوعان
من الاعتدال يفيدان معنى التعادل وهي التساوي والثالث
بحسب الحاجة وهو ان يكون المزاج على نحو ما بين الحار والبارد
والرطب واليابس يحتاج اليه ان يكون كذلك كما احتيج ان
يكون القلب حارا والدماغ باردا والرابع الاعتدال بحسب
الاضافة اما الى المساوي له في الجنس كما يحكم على الانسان
بالاعتدال بحسب الاضافة الى ساير انواع الحيوان فان انواع
الحيوان مساوية في الجنس او المساوي له في النوع كما يحكم على
زيد بالاعتدال بحسب الاضافة الى ساير اشخاص الناس
فانهم يساوونه في النوع او الى اي شيء اخر اتفق من الجزئيات
العددية نحو هذا الانسان او هذا الحيوان او هذا الحجر وبالجملة
ان يكون هذان النوعان من الاعتدال يفيدان معنى العدل
في القسمة الفصل كم هي الاخلاط اربعة وما هي الدم
والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء المنغشية
فصل مواد الاعضاء مستمدة من الاغذية فان الاغذية
اذا وردت على المعدة استحالت فيها الى جوهر شبيه بالحسو
الثخين بياضا وملاسة يسميه الاطباء كيلوسا وفي اثناء هذا

مخطوطة جامعة القرويين رقم 1286 التي ظن انها كتاب شرح الفصوص

لوحة اخرى من شرح الفارابي للمسجطي

يرجع لهؤلاء الاساتذة المغاربة من امثال ابن رشد الذي احدث انتشار تحليلاته للفارابى ثورة فى اوربا عرضت المثقفين لمحاكمة توران TURIN فى أوائل القرن السادس عشر .

ان المجالس العلمية فى الاندلس كانت غير مقتصرة على المسلمين ، الم نقرأ فى (الاحاطة) عن الاستاذ ابن سهل الذي كان سنة 553 = 1158 يلقن العلم فى بياسة لجمع كبير فى مجلس واحد يضم المسلمين والنصارى واليهود ؟ الم نقرأ فى (نهج الطيب) عن الاستاذ الترموطى المرسى الذي كان يدرس المنطق والهندسة والطب والموسيقى بالسنة الطلبة الذين يحضرون مجلسه من العبريين واللاتينيين !

انه اذا كان هناك حق لدولة فارس فى احتضان ابن فاراب ، واذا كان هناك حق لبغداد ايضا فى الفارابى لانه عاش فترة اوجه على أرض الرافدين، واذا كان للترك فضل انتماء المنطقة لهم فى وقت من الاوقات ، وكان للسوفييت اليوم علاقة بقازاخستان . . . فان للمغرب ان يعتز بأنه كان صلة الوصل بين قارة آسيا وقارة اوربا فى تقديم ذلك العالم الجليل . . .

واذا كان النحاتون المشارقة قد تفننوا فى اختيار رسوم الفارابى فجعلوه ينزع مرة لنماذج سكان نهر جيحون، وجعلوه تارة ينزع لملامح رجال دجلة ، وجعلوه اخرى يلبس شاشية بلاد الشام او قلنسوة الاناضول ، فان من حق الرسامين المغاربة ان يلبسوه برنوسا ويجعلوا على رأسه عمامة لان الفارابى عرف طريقه الى العالم الغربى بواسطة الذين كانوا مستظلين بحملة العمائم والبرانس ! ! وان ترويج المغرب لاثار الفارابى لم تقتصر على ذلك العصر الوسيط فحسب ولكن المغرب وقد وعى فارابى المشرق عن طريق فارابى المغرب استطاع أن يقدم للمكتبة العربية تحفة رائعة اسمها (مقدمة ابن خلدون) التى استمدت اسسها من تلك الاراء الاجتماعية بالرغم من تباعد السنين بين تلك الاراء وعصر ابن خلدون مما يؤكد ان المغرب ظل على صلة زائدة بنتاج الفارابى . .

ان الفارابى لم يعد ابن آسيا ولكنه امسى علما من حقنا نحن فى افريقيا أن ندعى المساهمة فى التعريف به والتدليل على آثاره وافكاره ، ولم يكن من قبيل الصدفة أن نجد اسمه منقوشا على شارع من أبرز شوارع المدينة الازلية طنجة ، وان يصافحنا اسمه ونحن نعبر أزقة مدينة فاس العاصمة الاولى للاسلام بالمغرب ، وأن يحتل اسمه كذلك ممرا من ممرات مدينة الصويرة التى انشأها الملك محمد الثالث على ساحل الاطلسى وان يتوج اسمه اليوم اكبر مستشفى فى مدينة وجدة قاعدة زيري ابن عطية ، وان تتيمن باسمه المعاهد والثانويات سواء فى العاصمة الاقتصادية او مدينة ابى الجعد جنوبا او حد كورت شمالا ! بل نجد ان الجامعة المغربية تخصص مدرجا من اضخم مدرجاتها لاسم الفارابى الى جانب المدرجات الاخرى التى تحمل اسماء رجال الفكر والعلم . . .

لقد عودنا التاريخ على انه صادق منصف مهما كان عتو الظروف ، ومهما حاول الزمن أن ينال من قدر العلماء ، وان فى تنافس الدول اليوم على انتسابها هى للفارابى ، ما يزيد فى همة رجال الفكر ممن تشغلهم كراساتهم وتلهيهم مذكراتهم عن أن يحفلوا بأمر مسكن او مكسب او جاه او صحبة انسان !

الفارآبي بريشة الفنان العراقي صلاح جياد



الفارآبي بريشة أحد الفنانين من قازاخستان

نشأة المسرح المغربي

للأستاذ محمد بن العلمي حمدان

يظهر ان المسرح المغربي عرف بشكل ما في وقت مبكر جدا ، وان المغاربة ذوو اصالة وميول فطرية في هذا المجال كما يبدو ذلك من ملاحظة مظاهر تراثهم الفلكلوري وتظاهراتهم الشعبية ومن خلال المسارح التي تركها الرومان ببلادنا (1) .

لن أتحدث عن هذه المرحلة التي لم تحتفظ لنا التسجيلات بشيء عنها وصفا او نصوصا وانما ساحاول استكشاف بعض المظاهر المسرحية التي عرفها جيل آبائنا وسجلت عنها بعض التقييدات ، بل قد يكون الحظ قد اسعف بعضا من جيلنا فحضر عروضا عن هذا المسرح التراث .

هذه المرحلة مغربية صرفة ، فهي تبدأ بعد الامتزاج الحاصل بين العناصر المتساكنة بالمغرب من عرب وبربر وأندلسية ، وتكوين القومية المغربية .

اذا نحن تركنا جانبا مظاهر الفلكلور ، فسيبقى امامنا عدة مظاهر مسرحية عرفها المغرب عبر تاريخه المذكور من جملتها الحلقة ، البساط ، سيدي الكتفى، سلطان الطلبة وغيرها !. نكتفي بالحديث عن بعضها .

الحلقة ، وهي عبارة عن مسرح شعبي يشرف على تقديم مسرحياته بعض الافراد المختصين في فن الحكاية والايماء والالعاب البهلوانية وبعرض ابداعاته في الاسواق وساحات المدن الكبرى كباب الفتوح وباب عجيسة بفاس وباب منصور العلج بمكناس وساحة جامع الفنا بمراكش (2) وهو مسرح خليط من الهزل والدراما والشعر والغناء والرقص والحكاية ، يشارك فيه أحيانا حتى الجمهور ، ويجسد غالبا أساطير عربية كالعنترية وسيرة سيف بن ذي يزن وحكايات الف ليلة وليلة وغيرها ..

اما البساط ، فكان في البداية مجرد تمثيل تقليدي لتسلية السلاطين ورجال الدولة من جهة ولتسلية عامة الشعب من جهة اخرى ، كتشخيص حكاية البلارج على رنات البندير ونغمات المزمار في (الحلاقي) بالساحات العمومية وبراعة المسيحين (3) .

وأولى حفلات مسرح البساط بالمغرب قدمت امام السلطان محمد بنعبد الله 1557 — 1790 (4) وكان يستعمل للوعظ والارشاد بطريقة ترفيهية ، وقد تطور هذا الفن من هذه المشاهد القصيرة مع توالي السنين وبفضل تشجيع السلاطين (5) .

ولفظ البساط عربي من البساط وهو المزاح والفكاهة وترك الاحتشام ، وقد كانت تؤلف الفرق منه لتسلية السلاطين في الاعياد والمواسيم ، وتقدم العروض احيانا المنطوية على الانتقاد الاجتماعي في قالب بعيد عن الحشمة ، وعلى مشاهد في انتقاد المعروفين من الاشخاص الوجهاء ، تارة بالتصريح وتارة بالتلميح ، كما كان المبسطون يتخذون من معارفهم وبعض المتهورين في المدينة مواضع لمستملحاتهم ومضحكاتهم ، كما كانوا ياتون بحركات وأفعال سوقية في تشخيصهم ، ولكنها تدخل في نطاق الفكاهة (6) .

وقد كان هؤلاء الفنانون يقدمون الى الرباط بمناسبة عاشوراء فيقصدون القصر الملكى فى جو من الفكاهة والمرح وسط فضول الكبار والصغار من عامة الشعب(7) وحين يصلون الى المشور السلطانى يشرعون فى اداء العابهم ورقصاتهم وفكاهاتهم وتمثيلهم .

واذ كان لكل فرقة اختصاصها الذي يميزها ، فقد كانت فرقة اهل فاس مختصة فى التمثيل ، ويروى ان مواضيع التمثيليات التى قدموها اواخر العهد بالبساط اصبحت اجتماعية وطنية فضلا عن طابعها الهزلى (8)، وكان الممثلون يقدمون اسكيتشات يطرحون فيها مشاكل اجتماعية باتفاق مع اصحابها فى قالب مسلى امام الملك الذي يدرك مآسى اصحابها الخفية، فيبحث عنها ويمكنهم من حقوقهم (9) .

فهو اذن مسرح ملتزم استطاع ان يجمع بين الفرجة والهدف النبيل ، وقد عرف عصره الذهبى طوال حكم السلطان عبد العزيز 1895 — 1904 وقام بدور فعال فى نطاق الحركة الوطنية الى أن انحرف عن قصده، فتوجه وفد من اهل فاس الى قصر محمد الخامس سنة 1926 وطلبوا منه ايقاف عروض السفهاء (10) .

سيدي الكتفى ، هو لون تولد عن البساط لكن اختصت به مدينة الرباط ، وقد نشأ فى العهد الذي انتظمت فيه الحرف الصناعية فى المغرب واصبحت منسقة وذات تقاليد ، وهذه الجماعة اشتهرت من بين المعلمين الخرازة اطلقت على نفسها مجموعة سيدي الكتفى ، وعرف هذا الفن على عهد السلطان المولى يوسف (11)

تتالف طائفة سيدي الكتفى من اثنى عشر فردا يترأسهم مقدم كما هو شأن البساط ، يجتمعون فى بيته، ولهم آداب خاصة تتكرر فى كل حفلة تمثيلية ، من ذلك انه عند ما يلتئم الجمع يفتح المقدم الجلسة بتعليمات تتعلق بطريقة سير التمثيل موصيا اياهم بالتزام الجد وابعاد الضحك، وبالارتخاء، وتقمص الدور على احسن وجه ، وينذرهم بالعقاب الشديد الذي ينتظر كل من تسول له نفسه من بينهم ان يضحك او يسيء التمثيل، ثم يشرعون فى اداء القصيدة التمثيلية ، وهى التعريض والتشهير ببعض الافراد المعروفين فى المدينة من اصحاب السلوك المشين ؟ ثم تبدأ الحضرة متمهلة يتبع بها الدخول فى الموضوع ثم الانصراف بجذبة (12).

لقد كان التمثيل اذن معروفا بالمغرب قبل عصر النهضة بشكل ما ، وكان المغاربة يمثلون فصولا هزلية انتقادية فى المهرجانات الشعبية الكبيرة ، واشتهر من ممثليهم فى البساط الحاج محمد الفاتحى برادة وشقيقه الحاج ادريس المطرب الشهير والسى التهامى وكلهم من فاس ، وكانوا يمثلون الوزراء والقضاة والحكام باسمائهم الحقيقية وبمحضرهم ؛ ويقلدونهم فى الحركات واللهجة ، وينتقدون احكامهم مر الانتقاد ، ومع ذلك لم يكونوا يتعرضون لهم بعقاب، بل يمنحونهم الجوائز المالية على اتقانهم محاكاتهم(13) كما عرف من افراد سيدي الكتفى ، المفضل الدغمى والد الممثل الاذاعى العربى الدغمى .

واذا كان الفن المسرحى يمتاز عن سائر الفنون الادبية الاخرى بأنه ليس فنا يطالع او يسمع فحسب بل ويرى أيضا بتشخيص المسرحية على خشبة المسرح من طرف ممثلين يعتمدون فى اداء ادوارهم على الحوار والحركة ، عارضين الاخلاق والعادات والطبائع والتقاليد من حاضر الحياة او او ماضيها ، ضمن مدة محدودة اذا كان الفن المسرحى كذلك ، فلا شك ان الانواع المختلفة التى عرفها المسرح المغربى فى اشكاله السابقة تجمع اغلب العناصر الفنية الحديثة لهذا الفن ، ويبقى فقط ، فارق التطور الذي انعدم بفعل الانكماش والجمود .

ان الانعزال السياسى والحضاري الذي عرفه المغرب فى القرنين الماضيين نتيجة النهضة الاوربية، والتخلف العربى ، والتكالب الاستعماري ، كلها كانت عوامل فعالة فى عدم تطور هذه الحركة المحلية وايصالها بما بلغته الشعوب الاوربية فى هذا المضمار، لذا كان على المغرب أن ينتظر انفتاحه على العالم الغربى لتشهد طنجة افتتاح مسرح سرفانتيس سنة 1912 مما اتاح للسكان مشاهدة مسرحيات قدمتها فرق قدمت من اسبانيا وفرنسا والقاهرة(14) ولتستقبل فرق العالم العربى ، التى وجدت المجال الحى لنشاطها ، كفرق جوق النهضة العربية ، التى كان افرادها مزيجا من التونسيين والمصريين والتى كان كان على راسها المغنى اللامع محمد عز الدين المصري (15) يساعده مصطفى الجزار الذي كان يقوم بتقديم مسليات هزلية بين الفصول ، وقد وصلت هذه الفرقة الى المغرب سنة 1923 قادمة من تونس عبر الجزائر لتقدم مسرحية صلاح الدين (16) .

وقد لقيت هذه الفرقة ترحيبا حارا ، وتوجه لمشاهدتها العلماء والادباء والوجهاء ، ومثلت فى

القصر السلطاني ، ونال رئيسها وساما من السلطان يوسف (17) .

وقامت الفرقة بجولة عبر اهم المدن تركت اثرا طيبا ، وتحدثت عنها الصحف وهذا شيء لم يحصل حتى بمصر التي فشلت فيها عدة فرق لم تستطع مواصلة عملها نظرا لغياب الجمهور كما حصل لجورج ابيض مما دفعه للسفر الى تونس (18) .

ان التأثير العميق الذي خلفته هذه الفرقة المسرحية كان من العوامل التي وزعت بذور الثقافة المسرحية وسط الشبان المغاربة الذين كانوا يتخبطون في محاولات مهزوزة تخلو من الجمالية المتطلبة .

وما أن مضت سنة على جولة محمد عز الدين وفرقته المختلطة جوق النهضة العربية حتى تقدمت سنة 1924 فرقة مختلطة اخرى بتعاقد مع بلدية فاس ، وكان من جملة افرادها ، عبد الرزاق كرباكة وحسن بنان وزوجته علياء ، ورافول وزوجته بهية الشامية(19)

وقد انقسمت هذه الفرقة على نفسها ، وظل بعض افرادها في مراكش ، وخاصة حسن بنان الذي كون مع بعض المغاربة فرقة ظلت لبعض الوقت تعمل في جنان الحارثي (20) ، كما نجد بعض المشارقة الذين استوطنوا العاصمة يشجعون على تنظيم الجمعيات ، نذكر من بينهم (ادمون خياط) الذي كان موزعا للافلام ، واخته (ميرية الصابغ) التي كانت منتجة ومخرجة ، فهذه المرأة كانت تستدعي من حين لآخر بعض الممثلين الشباب وتكلفهم باعداد انتاجات درامية ، كان من نتائجها مسرحية الايدي المحترقة التي الفها محمد الزيزي (21) .

وعلى اي حال فقد انطلقت التجربة المسرحية الاولى بالمغرب على يد تلاميذ القرويين (22) وثانوية المولى ادريس بفاس (23) الذين كانوا يعباون من طرف الفرق الاجنبية لتأدية بعض الادوار (24) ، فاستطاعوا بفضل ثقافتهم المزدوجة ، واستيعابهم للتقنيات التي استكشفوها من الفرق الزائرة ان يؤلفوا فرقة باسم الجوق الفاسي (25) برئاسة عبد الواحد الشاوي اصبحت فيما بعد فرقة الاتحاد المسرحي (26)

ومنذ هذا التاريخ ، اخذت تلمع بعض الاسماء كمحمد القري والمهدي المنيعي ومحمد بن الشيخ وعبد الواحد الشاوي وغيرهم (27) وكان الناس يتحدثون عن أعمال هذه النخبة وتضحياتها بكثير من الاعجاب .

وقد قدمت الجوق الفاسي عددا مهما من الروايات التمثيلية ما بين مترجمة ومقتبسة ومؤلفة لمشارقة ومغاربة (28) وكانت هذه الفرقة تضم باقة من الشباب منهم من كان يقوم بدور المؤلف ومنهم من يقوم بدور الممثل ومنهم من يقوم بدور المخرج وكان منهم احيانا من يجمع الادوار كلها كعبد الواحد الشاوي ومنهم من اشتهر بالغناء والقيام بأدوار النساء لانعدام العنصر النسوي حينذاك كالحاج محمد بوعياد ، ومنهم من اشتهر بالادوار الهزلية كأحمد الحريشي ، وهناك من غلب عليه دور التاليف كالمهدي المنيعي وبوطالب وابن الشيخ ومحمد الزغاري (29) .

لقد كانت هذه الفرقة تسعى لبلورة مشاكل البلاد وابراز الصراعات الاجتماعية ، كما كانت موضوعات التاليف بدورها تستمد مضامينها عندهم من تاريخ الاسلام والاحداث السياسية المعاشة (30) وذلك لحث المغاربة على طرد المستعمر وفضح اساليبه واطلاع المواطنين على تاريخهم المجيد . وقد احس المستعمر بهذا التخطيط المدبر ، فصادر المسرحيات، وطارد اصحابها ، كما حدث للقري الذي تحمل انواع التعذيب والنفي الغامضة حتى عرف بدفين الصحراء(31)

لقد كان هذا الشهيد مرشد الفرقة يثقفها برواياته المقتبسة ، ويصنع لها الحوار والاناشيد المناسبة(32) ويعد أول من تعاطى التاليف المسرحي فقد وضع سنة 1923 رواية اليتيم المهمل ، ورواية العلم ونتائجه ، والاوصياء وكثيرا ما كان يكتب مسرحياته ويوقعها باسم عبد الواحد الشاوي كما كان يذكر بعض معاصريه وذلك حتى يفلت من عقاب السلطة (33) .

ثم تأسست جمعية قدماء المدرسة الثانوية الفاسية سنة 1928 (34) تحت ادارة السيد الزغاري فقامت بتمثيل عدة روايات: كصلاح الدين لولتر سكوت، وانتصار البراءة والشهيد لمحمد الزغاري ، وترتوف للمهدي المنيعي (35) واميرة الاندلس لاحمد شوقي ، ولم يكن يخلو هذا الجهد من لسعات نقدية نشيطة فقد اثارت الصحافة عاصفة من الانكار والاحتجاج حول رواية احمد شوقي (اميرة الاندلس) اثناء تمثيل الفرقة الفاسية لها بمراكش ، حيث رأت فيها مسا بمكانة ابن تاشفين ، ورميه بسوء المعاملة للمعتمد ، وكان اول مهاجمي شوقي ، شاعر الحمراء محمد بن ابراهيم الذي رحب بالفرقة واعترف لشوقي بالشاعرية ولكنه رماه بالجهل بالتاريخ فقال :

تأمل شوقي عن قريب فما اهتدى
وما ضر شوقي لو تأمل عن بعد

الحمد شوقي للقوافي رجالها
كانت وللتاريخ ذو الاخذ والرد (36)

ومن نشاط جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الثانوية الفاسية تنظيمها لمسابقة في التاليف المسرحي سنة 1929 (37) لقصة اخلاقية اجتماعية لم تفز فيها سوى قصة واحدة عنوانها (الى الفضيلة) للاستاذ عبد الله الجراري (38) .

وفي الوقت الذي كان قدماء تلاميذ ثانوية المولى ادريس يعنون باقامة مسرح فاس ، كان مصطفى الجزار ، الذي قرر الاقامة بالمغرب يعمل على تاسيس فرقة تمثيلية بمراكش سنة 1927 (39) بعد ان انفصل عن محمد عز الدين المصري . وعلى غرار طلبة فاس تأسست جمعية العاصمة الرباطية التي قدمت اربع مسرحيات تحت اشراف رئيسها محمد اليزيدي (40) سنة 1927 وكان يشرف عليها مجموعة من المختصين من جملتهم علماء بقواعد اللغة والنحو يحضرون ساعة التدريب لتصحيح اخطاء الممثلين ، يذكر الاستاذ عبد الله شقرون من بينهم الشيخ المدني الحسني وعبد الله الجراري .

وبعد ذلك بثلاث سنوات شاهدت مدينة سلا ميلاد جوق التمثيل الذي قدم مسرحية ملك وشعب وغيرها ، والتي كان لها بدورها فنيون وملاحظون أمثال توفيق الخياط .

ونذكر بالبيضاء قدماء التلاميذ الذين ، الفوا اجواقا تحت ادارة الحاج المختار بن عبد السلام المثري الشهير (41) وجمعية تلاميذ مدرسة الاعيان التي اكتسحت الخشبة بضع سنوات من 1936 الى 1940 وغيرت اسمها الى فرقة الهلال ، وكان مديرها هو محمد المرابطي (42) .

وعرفت مدينة طنجة حركة فنية حقيقية وممارسة جد متقنة لفن الدراما (43) وأول مبادرة مسرحية بها كانت من جمعية الهلال التي اسسها احمد ياسين سنة 1927 ، وجعل لها فروعا ثقافية وترفيهية متعددة(44) مما مكنها من مشاهدة روائع ادبية كانت تقدمها في عيد المولد النبوي الذي كان يجلب الى طنجة عددا من المواطنين ، ومن فنييها اللغويين ، احمد بن احساين والعربي التمتماني وعبد الله كنون

وفي سنة 1932 وفدت على المغرب الممثلة المصرية فاطمة رشدي وزوجها عزيز عيد وزارت جل مدن المغرب حيث تركت اثرا طيبا وخاصة في تطوان، كان من نتائجه تكوين فرقة الطالب المغربي ، وكان من المعنيين بتشجيعها والتاليف لها ، رئيسها الاديب عبد الخالق الطريس، اذ قدم لها رواية من انتاجه موضوعها الحض على التعليم العصري تحت عنوان : انتصار الحق بالباطل (45) .

ثم تكونت سنة 1936 جماعة هواة المسرح بمساعدة الحاج محمد بنونة ، بل ان احد افراد الجماعة وهو أحمد مدينة انشا مجلة للمسرح والسينما في يناير 1946 هي مجلة الانوار .

وقد كان الظهير البربري سنة 1930 والرفض الذي قوبل به عاملا من عوامل تضييق الخناق على العمل المسرحي الذي بدأ نشاطه يتقلص باضمحلال فرقه الواحدة تلو الاخرى الى ان كانت عريضة الاستقلال التي قدمها الوطنيون في 11 يناير 1944 فكانت فرصة الاستعمار للاجهاز على النشاط المسرحي والصحفي .

نستخلص مما مر أن المسرح لم يكن فنا غريبا على المغاربة ، وانه رغم الفارق الذي كان بين الفنون المحلية التي قدمنا بها حديثنا والمسرح بمعناه الحديث فان هذا لم يكن ينفي بأن المغاربة كانت لهم رؤيا قريبة الى حد ما من هذا الفن ، كما ان ارتباط الفترة التي ادخلت فيها الفرق الشرقية المسرح الحديث الى المغرب باستعمار البلاد ، وجيشان النفوس وغضبها ، وما صاحب ذلك من حركة رد الفعل ، كل ذلك عمل على الدفع بعجلة الحركة المسرحية الى الامام وخدمتها باخلاص يجمع بين الغيرة الاسلامية والوطنية مما دفع الدراميين المغاربة الى ان يبدعوا انتاجات نابعة من تاريخ بلادهم كمسرحية المنصور الذهبي التي الفها ابن الشيخ ، ومسرحية العلم ونتائجه التي احرزت على الجائزة الاولى للتاليف سنة 1929 والتي تبرز اهمية التعليم في تحقيق اهداف الامة وتحريرها وغيرها من المسرحيات .

لقد كان المسرح المغربي مسرح هواة يرمي الى بث الوعي الفني والوطني في نفوس المواطنين ، وقد لاقى رجاله كثيرا من العنت بالمحاكمات والغرامات فكان ينتكس ويزدهر طبقا للضغوط وخفتها ورغم ذلك استطاع تأدية رسالته في حث الجمهور على المشاركة الفعلية بالحضور بالمآت لعروضه ، وفي ايقاظ وعيه الوطني

والقومي ، وبايقاد جذوة التحرير والكفاح التي استجاب لها حين دعا داعي الوطنية .

وكان بامكان هذه الحركة أن تؤثر تاثيرا ايجابيا في اتجاه كتابة المسرحية ، لولا الخنق الذي فرضته السلطات الاستعمارية اذ ذاك ، مما دعاها الى انتظار مرحلة اخرى .

محمد العلمي حمدان

مراجع البحث :

1 — من تاريخ القصة والمسرحية في الادب المغربي للاستاذ الحسن السائح ص 13 — 16 ص 15

2 — ابحاث في المسرح المغربي ذ. حسن المنيعي

3 — مجلة الفنون عدد 1 — 2 السنة الثانية : لمحات من تاريخ المسرح المغربي للاستاذ عبد الله شقرون

4 — أبحاث الاستاذ حسن المنيعي ص 17

5 — ابحاث الاستاذ حسن المنيعي ص 17

6 — عبد الله شقرون — مجلة الفنون — السنة 2 عدد 1 — 2

7 — عبد الله شقرون — مجلة الفنون

8 — عبد الله شقرون — مجلة الفنون —

9 — ابحاث في المسرح المغربي للاستاذ حسن المنيعي ص 9

10 — ابحاث في المسرح المغربي للاستاذ حسن المنيعي ص 22

11 — ابحاث في المسرح المغربي للاستاذ حسن المنيعي ص 24 وعدد 1 — 2 من مجلة الفنون — عبد الله شقرون

12 — مجلة الفنون لمحات من تاريخ المسرح المغربي عبد الله شقرون

13 — فهرس للمسرح المغربي ذ. زين العابدين الكتاني ص 83

14 — ابحاث الاستاذ حسن المنيعي ص 34

15 — ابحاث الاستاذ حسن المنيعي ص 35

16 — لمحات من تاريخ المسرح المغربي ذ. عبد الله شقرون عدد 1 — 2 سنة 2 مجلة الفنون .

17 — أبحاث الاستاذ المنيعي ص 15 ولمحات ذ. عبد الله شقرون .

18 — أبحاث الاستاذ المنيعي ص 33

19 — لمحات من تاريخ المسرح ذ. عبد الله شقرون وابحاث الاستاذ المنيعي ص 36

20 — نشأة المسرح المغربي ذ. عثمان بن خضراء مجلة الفنون سنة 2 عدد 7 — 8 وابحاث ذ. المنيعي ص 37

21 — فهرس للمسرح المغربي ذ. زين العابدين الكتاني عدد 7 — 8 سنة 1

22 — الفن القصصي والمسرحي في المغرب العربي 1900 — 1965 ذ. الصادق عفيفي

23 — ابحاث ذ. المنيعي ص 37

24 — ابحاث ذ. المنيعي ص 37

25 — الفن القصصي والمسرحي في المغرب العربي ذ. محمد الصادق عفيفي ص 170 — 173 ومجلة الفنون عدد 7 — 8 سنة 1

26 — الفن القصصي والمسرحي في المغرب العربي ذ. الصادق عفيفي ص 171 ومجلة الفنون عدد 7 — 8 سنة 1

27 — فهرس للمسرح المغربي ذ. زين العابدين الكتاني مجلة الفنون عدد 7 — 8 سنة 1 وابحاث ذ. المنيعي ص 38

28 — فهرس للمسرح المغربي ذ. زين العابدين الكتاني مجلة الفنون والفن القصصي ص 171

29 — ابحاث ذ. المنيعي ص 38

30 — أبحاث الاستاذ المنيعي ص 38

31 — أبحاث الاستاذ المنيعي ص 38

32 — الفن القصصي ذ. محمد الصادق عفيفي ص 170

33 — ابحاث ذ. المنيعي ص 38

34 — الفن القصصي ذ. عفيفي ص 173

35 — الفن القصصي ذ. عفيفي ص 173

36 ـ هل حاول شاعر الحمراء أن يكون ناقـــدا مسرحيا ؟ ذ. زين العابدين الكتاني فى مجلـــة الفنون سنة 1 عدد 4 والفن القصصى ذ. عفيفى ص 174

37 ـ فهرس للمسرح المغربى ذ. زين العابديـــن الكتانى مجلة الفنون سنة 1 عدد 9 ـ 10

38 ـ القصة المغربية الحديثة ذ. محمد الصـــادق عفيفى ص 19 ومجلة الفنونسنة 1 عدد 9 ـ 10

39 ـ ابحاث الاستاذ المنيعى ص 42

40 ـ ابحاث الاستاذ المنيعى ص 42

41 ـ فهرس للمسرح المغربى ذ. الكتانى عـــدد 5 ـ 6 ـ سنة 1

42 و 43 و 44 ـ ابحاث الاستاذ المنيعى ص 42 ـ 43 ـ 44

45 ـ الفن القصصى والمسرحى فى المغرب العربى ذ. محمد الصادق عفيفي ص 76 .

● قال أكثم بن صيفي حكيم العرب : ذللوا أخلاقكم للمطالــب ، وقودها الى المحامد ، وعلموها المكارم ، ولا تقيموا على خلق تذمونه مــن غيركم ، وصلوا من رغب اليكم ، وتحلوا بالجود يلبسكم المحبــة ، ولا تعتقدوا البخل ، فتتعجلوا الفقــر ..

وقد أخذ هذا المعنى شاعر فقال :

امن خـــوف فقــر تعجلتـــــه ** وأخـــرت انفـاق ما تجمــع

فصرت الفقير وأنـــت الغنـــــي ** وما كنت تعدو الذي تصنــع

يريد الشاعر أن يجود الانسان من ماله ليبارك له ما فيه .



للأستاذ عبد الله كنون

خص الاستاذ عبد الله كنون « المجلة العربية » التى تصدر بالمملكة العربية السعودية بمقال عن القاضى عياض . ويسر « دعوة الحق » أن تنقل عن الزميلة الجديدة مقال الاستاذ كنون منوهة فى نفس الوقت بالكاتب والمجلة .

بجنب الاصيلى وابى عمران الفاسـي ، يذكر القاضى عياض فيكون ثالث ثلاثة رفعوا راس المغرب عاليا فى ميدان الدراسات الاسلامية العليا ، ولاسيما علم الحديث رواية ودراية ، والفقه والخلاف علـى مستوى المذاهب والائمة ، ولئن كان اكثر ما بقـى من آثار سلفيه العظيمين هو اقوالهما والنقول المعزوة اليهما فى امهات الكتب ومراجع هذه الدراسات ، من شروح السنة ودواوين الفقه والاصول فان القاضى ، بخلاف ذلك ، قد كان محظوظا اكثر منهما . اذ احتفظت لنا الخزائن العلمية بأهم مؤلفاته ، فشارك زميليه فى انتشار الذكر والشهرة بالعلم واعتماده فى الحفظ والفهم ، وانفرد عنهما ببقاء كتبه شاهدة بعلو كعبه وطول باعه فى المعارف والفنون .

ثم هو بعد ذلك يمتاز ببراعته فى الادب وصناعتى النظم والنثر ، والخطابة ، ومعرفته الواسعة بالاخبار والتواريخ الى غير ذلك ، مما جعل منه معلمة محيطة مفتوحة لكل طالب وراغب .

أما صفاته واخلاقه وديانته ومكانته الاجتماعية ، فهو مما نتحدث عنه فى تفاصيل ترجمته ، وناهيك بالذكر الحسن الذي يتمتع به لدى عامة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها .

ترجمة القاضى عياض :

هو أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبى نسبة الى يحصب بن مالك قبيلة من حمير ، السبتى الدار والميلاد .

كان سلفه فى القديم بالاندلس ، ثم انتقلوا الى مدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان ، وانتقل جده الى سبتة بعد سكنى فاس .

وكانت ولادة عياض فى منتصف شعبان عام 476 للهجرة ، ونشأ فى صيانة وعفاف ، طالبا للعلم حريصا عليه مجتهدا فيه ، فحفظ القرآن ، ثم جود قراءته بالسبع على مشيخة بلده وغيرهم ، وامتلا وطابه من العلم فقها وحديثا وتفسيرا وعربية وادبا ، ولكنه تاق الى المزيد من التحصيل وسعة الرواية فرحل الى الاندلس (507 هـ) وعمره احدى وثلاثون سنة ، فأخذ بقرطبة عن علمائها ، ثم شخص الى مرسية ، وقصده ابو على الصدفى وسمع عليه كما فى فهرسته « الغنية » الصحيحين للبخاري ومسلم ، والمؤتلف والمختلف ، ومشتبه النسبة لعبد الغنى ، والشهاب للقضاعى ، والاشارة للباجى ، وادب الصحبة للسلمى وشيوخ البخاري لابن عدي ، وعوالى ابى الفوارس الزينبى ، وقرأ جامع الترمذي ، ورياضة المتعلمين لابى نعيم وللشيبانى ، والناسخ والمنسوخ لهبة الله ، والاستدراكات على البخاري ومسلم ، والتتبع والالزامات لهما ، ثلاثتها للدار قطنى ، والاربعين حديثالابى نعيم وللشيبانى ، واوهام الحاكم لعبد الغنى ، وغير ذلك .

وعاد من الاندلس فى سنة 508 هـ ، فلم تطل رحلته اليها اكثر من سنة ، ومع ذلك فقد قام فيها بنشاط علمى عظيم ، لان الرجل كان قد اكتمل تكوينه وانتهى تحصيله فلم يكن وكده من لقاء الشيوخ الا توسيع الرواية ، وربط الصلة بأعلام عصره ، ولا سيما مثل

1) « المجلة العربية » العدد 2 — رجب 96 — يونيو 76 .

الصدفي الذي رحل الى المشرق ، واخذ به عن بقية من الاكابر علا بهم سنده وتميزت طريقه . . والا فان ما اخذه بسبتة عن شيخه وعمدته ابى عبد الله التميمى فضلا عن غيره كاف ليجعل منه رجل علم ورواية من اعلى طبقة ، فقد ذكر هو فى كتابه « الغنية » انه لازمه كثيرا للمناظرة فى المدونة ، والموطأ ، وسماع المصنفات فقرا عليه ، وسمع بقراءة غيره كثيرا ، واجازه جميع رواياته ، فمما سمع عليه وقرا واجازه به موطا الامام مالك وصحيح البخاري ومسلم ، وسنن ابى داود ، وشرح غريب الحديث للقاسم بن سلام ، وكتاب اصلاح الغلط لابن قتيبة ، وغريب الحديث للخطابـــي ، وكتاب علوم الحديث لابى عبد الله الحاكم ، وكتاب الطبقات لمسلم بن الحجاج ، وكتاب الضعفاء والمتروكين للنسائى ، والمدونة لابن القاسم ، والملخص لمسند الموطا للقابسى ، والتقصى لمسند الموطأ لابن عبد البر ، ومسند الموطا لابى القاسم الجوهري ، والرسالة لابن ابـي زيد القيرواني . . وكل ذلك مناظرة ورواية وضبطـا واجازة فيما فاته ، وبعضه قراه عليه مرارا .

على ان شيوخ عياض قد اربوا على المائة ، ومنهم ابو بكر بن عطية ، وابن العربى ، لقيهمـــا بسبتة ، وكتب له من المشرق ابو نصر النهاوندي ، والطرطوشى ، وابو طاهر السلفى ، وابو عبد الله المازري من المهدية وسواهم .

فاذا كان هذا اخذه عن واحد من مشيخة بلده ، فما الظن به وقد تضلع من معين معارفهم جميعا ، واستوعب ما عندهم درسا وتحصيلا ؟

ولذلك فانه عندما رجع من رحلته اجلسه اهل سبتة للمناظرة عليه فى المدونة ، وهو ابن 32 عاما كما يقول ابنه فى الجزء الذي عرف به فيه ، وبعد ذلك بيسير اجلس للشورى ، يعنى شورى الاحكام . ثم ولى القضاء عام 515 هـ ، فسار فيه احسن سيرة ، محمود الطريقة ، مشكور الحالة ، أقام جميع الحدود على ضروبها واختلاف انواعها ، وبنى الزيادة الغربية فى جامع سبتة التى كمل بها جماله ، وبنى فى جبـل المنيا الرابطة المشهورة ، الى غير ذلك من الاثـــار المحمودة والمساعى المرضية ، فعظم جاهه وبعـــد صيتـــــه .

وقد كثر ثناء الناس عليه وتقريظ اهل العلـــم له بحيث قال فيه ابو محمد بن ابى جعفر : ما وصل الينا من المغرب انبل من عياض . . وقال له ابـــو الحسين بن سراج ، وقد ازمع الرحلة الى احـــد مشائخ الاندلس : لهو احوج اليك منك اليـــه .

وقال ابن الابار عنه فى معجم اصحاب ابى على الصدفـــي : « كان لا يدرك شأوه ولا يبلغ مداه فى العناية بصناعة الحديث وتقييد الاثار وخدمة العلم مع حسن التفنن فيه والتصرف الكامل فى فهم معانيه ، الى اضطلاعه بالاداب ، وتحققه بالنظم والنثر ، ومهارته فى الفقه ، ومشاركته فى اللغة العربية ، وبالجملة فكان جمال العصر ومفخر الافـق » .

ويقول ابن فرحون فى الديباج منوها بمشاركته فى شتى العلوم : « كان القاضى ابو الفضل امام وقتـه فى الحديث وعلومه ، عالما بالتفسير وجميع علومه ، فقيها اصوليا ، عالما بالنحو واللغة وكلام العـرب وايامهم وانسابهم ، بصيرا بالاحكام عاقدا الشروط ، حافظا لمذهب مالك ، شاعرا مجيدا ريان من الادب خطيبـا بليغـا .

مكانـة عياض الاجتمـاعيـة :

اما مكانته الاجتماعية فقد كانت متوطدة بأبوته الكريمة ، جده عمرون الذي استقر بسبتة كان من اهل الفضل والدين ، حج مرارا وغزا كثيرا ، وبنى مسجدا واوقف عليه بعض الدور ، كما اوقف ارضا لدفن الموتى ولا شك ان هذه الاعمال قد اكسبت ولده نباهة وذكرا حسنا ، ثم زاد ذلك بظهور حفيده وارتفاع درجتـه فى العلم وولايته للقضاء وسيرته الحميدة فيه والمشاريع العمرانية التى قام بها من الزيادة فى المسجد وبناء الرابطة وغير ذلك ، على ما ألمح اليه ابنه فى النبذة التى نقلناها عنه ، وهى مما اكده غيره من المترجمين له ، الشيء الذي جعله الشخصية المرموقة ان لم نقل الشخصية الاولـى فى البلـد .

وعظم شأن عياض فدعى الى تولى القضاء ، بغرناطة ، فكسر العادة التى كانت تجعل القضاة يأتون من الاندلس الى المغرب ، ولنستمع الى احد علمـاء غرناطة ، وهو ابو زيد عبد الرحمن بن القصير ، يصفه دخول عياض الى هذه المدينة ، فيقول : « لما ورد علينا القاضى عياض غرناطة ، خرج الناس للقائـه وبرزوا تبريزا ، ما رايت لامير مؤمر مثله ، وحزرت اعيان البلد الذين خرجوا اليه ركابا نيفا على مئتى راكب ومن سواد العامة ما لا يحصى كثرة ، وخرجت مع ابى رحمه الله تعالى فى جملة من خرج ، فلقينا شخصا بادي السيادة ، منبئـا عن اكتساب المعالى والافادة »

عيـاض القاضـي العـادل :

وكانت ولايته لقضاء غرناطة فى ايام تاشفين بن على اللمتونى المرابطى اول يوم من صفر سنة 531 هـ قال ولده فى كتاب التعريف : « فنهض اليها ، وتقلد خطة قضائها ، وعلى المعتاد من شيمته السنية ، وأخلاقه المرضية ، مشكورا عند جميع الناس ؛ لكـن تاشفين ضاق به ذرعه ، وغص بمراقبته ، وصـد أصحابه عن الباطل وخدمته عن الظلم ، فصرفه عنها فى رمضان سنة 532 هـ ، يعنى أن ولايته لم تدم الا سنة وبضعة أشهر ، وذلك لما اخذ نفسه به من الجد والاستقامة والضرب على ايدي أهل العبث والفساد » وتقدم عن ولده فى ولايته لقضاء سبتة : « انه احسن السيرة واقام الحدود » . وهنا يحضرنا ما روى عنه : انه اقام حد الشرب على الكاتب الشهير الفتح بـن خاقان صاحب القلائد والمطمح ، فانه دخل عليه وهو سكران ، فأمر باستنكاهه ، فوجدت منه رائحة الخمر ، فنفذ فيه الحد ، ولما خرج اتبعه بصلة ، وذلك منتهى التشرع والمجاملـة للاديب الاندلسى اللامـع فى آن واحــــد .

ويقال : « ان هذا عزم على حذفه من كتابـه القلائد . فقيل له ان ذلك أدعى لاشتهار هذه القضية وتساؤل الناس عن عدم ذكره للقاضى عياض وهو من هو علما وادبا وجاها ، فعدل عن ذلك » .

والقصة لعمري مما يذكر فى مغربات الاخبار ، وهى تدل على أن ما وصفه به ولده فى كتاب التعريف دون ما كان عليه من الصرامة فى الحق والقيـام بواجب الخطة ، لان من فعل هذا مع شخصية معروفة لها وزنها وقيمتها فى الاوساط الادبية والفكرية ، احرى أن يكون مع غيرها بالوصف الذي ذكره به ، ولذلـــك فان تأخيره عن قضاء غرناطة من قبل تاشفين بن على هو كما قال ولده لشدته على أهل الظلم والباطل مـن رجاله واتباعه بدون شك ولا ريـب .

وهنا يحسن أن نورد ما كتبه عنه الفتح بن خاقان فى القلائد ، وهى فذلكة جمعت ما وصف به من أصالة ورسوخ تفنن فى عبارات معجبة ، وفقر مطربة ، هذا نصها : « الفقيه الحافظ القاضى ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض رحمه الله تعالى ، جاء على قدر ، وسبق الى نيل المعالى وابتدر ، واستيقظ لها والناس نيام ، وورد دماءها وهم صيام ، وتلا من المعارف ما أشكل ، واقدم على ما أحجم عنه سواه ونكل ، فتحلت به للعلوم نحور ، وتجلت له منها حور ، كانهن الياقوت والمرجان ، لم يطمثن انس قبله ولا جان ، قد الحفته الاصالة رداءها وسقته انداءها ، والقت اليه الرياسة اقاليدها ، وملكته طريفها وتليدها ، فبذ على فتائه الكهول سكونا وحلما ، وسبقهم معرفة وعلما ، وازرت محاسنه بالبدر اللياح ، وسرت فضائله سرى الرياح فتشوفت لعلاه الاقطار ، ووكفت تحكى نداه الامطار . وهو على اعتنائه بعلوم الشريعة ، واختصاصه بهذه الرتبة الرفيعة ، يعنى باقامة أود الادب ، وينسل الى اربابه من كل حدب ، الى سكون ووقار كما رسا الطود وجمال مجلس كما جليت الحود ، وعفاف وصون ما علمنا فسادا بعد الكون ، وبهاء لو راته الشمس ما باهت باضواء وخفر ، ولو بأن للصبـح ما لاح ولا اسفــــــر . . »

واستقر عياض بعد ذلك ببلده معززا ، يخـدم العلم بالدرس والتأليف ، وكان حسن الالقاء للمسائل كثير التحرير للنقول ، وقد انتفع به من العلماء من لا يحصى كأبى زيد بن القصير المتقدم الذكر ، وابـى جعفر بن مضا ، وابن بشكوال على ما سبق عنه وابن غازي السبتى ، وابى جعفر بن حكم . ومن طريقهما نروي كتبه، وغيرهم ، وكان كثير الاعتناء بالتقييد ، بارع الخط . يقول ابن خاتمة فى كتاب « المزيـة » على مـا نقله عنه المقري فى ازهار الرياض : « وقفت على خطه رحمه الله فرايته خطا رائعا ، وكان سريع الوضع ، ويدل على ذلك كثرة اوضاعه ، وكتب مع ذلك كتبـا كثيرة بيـده » .

وكانت هذه حاله الى ان ولى قضاء سبتـة ثانية فى عام 539 هـ ، قدمه ابراهيم بن تاشفين بـن على ، فابتهج اهل بلده بذلك ، ثم بادر بالدخول فى امر الموحدين اثر ظهورهم ، فاقره عبد المؤمن على ما كان عليه ، وصرف أمور بلده اليه ، وخاطبه بالتنويه وحظى عنده ، واجتمع به بمدينة « سـلا » عند توجهه الى محاصرة مراكش ، فلقى منه بـرا واقبـالا تامين ، الى ان اضطربت امور الموحدين عام 543 هـ فالتاثت حاله معهم بثورة اهل بلده عليهم ، فنقلوه الـى مراكش حيث توفى فى جمادى الاخرة ، وقيل فى رمضان سنـة 544 هـ .

وقيل : انهم ولوه قضاء بلدة « داي » ـ بتادلا ـ وهى بلد الصومعـة .

ويروى له شعر ممـا قاله فيهـا يشكـــو الغربة ويتشوف الى بلده سبتــة

وكثرت الشائعات حول موته فقيل : ان المهدي ابن تومرت امر بقتله . وقيل : انه مات فجاة في الحمام بدعاء الغزالي عليه ، لانه من افتى بحرق كتاب الاحياء وقيل : انه مات مسموما ، سمه يهودي . ولا صحة لذلك كله .

والثابت أنه مات ميتة طبيعية بعد مرض قصير مغربا عن بلده بسبب تورطه في الثورة على الموحدين وان هؤلاء عاملوه معاملة خاصة نظرا لعلمه وفضله ، وانه دفن بمراكش بباب ايلان داخل المدينة حيث يوجد قبره الان رحمه الله ورضي عنه .

مؤلفات القاضي عياض :

الف القاضي عياض عدة كتب كلها جليلة ومفيدة ، وبعضها لا نظير لها ولم يسبق بمثله . ومنها : كتاب **« الشفا في التعريف بحقوق المصطفى »** صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي طار به صيته في العالم الاسلامي ، وتلقته الامة بالقبول ، واصبح احد الكتب التي تحظى بالتقدير من لدن أهل المعرفة وعوام المؤمنين . يقول ابن فرحون في حقه : « ابدع فيه كل الابداع ، وسلم له اكفاؤه فيه ، ولم ينازعه أحد في الانفراد به ، ولا أنكروا مزيته في السبق اليه ، بل تشوفوا للوقوف عليه ، وانصفوا في الاستفادة منه ، وحمله الناس ، وطارت نسخه شرقا وغربا » .

وقد مدح بشعر ونثر كثير . وطعن الحافظ الذهبي فيه بكونه محشوا بالاحاديث الموضوعة والتاويلات الواهية لم يسلم له ، فما فيه من الموضوع قليل جدا ، وكذلك ما فيه من الضعيف .

وقد كتبت على الشفاء شروح كثيرة يطول تتبعها وذلك مما يزيد دلالة على اهميته والاحتفال به من علماء جميع العصور التي تلت عصر مؤلفه .

ومن كتبه المهمة كتابه « **اكمال المعلم** » ، اكمل **على صحاح الاثار »** فسر فيه غريب حديث الموطا والبخاري ومسلم ، وضبط الالفاظ واسماء الرجال ، ونبه على مواقع الاوهام والتصحيفات ، قال فيه ابن فرحون : « وهو كتاب لو كتب بالذهب ، او وزن بالجوهر لكان قليلا في حقه » .

ومن كتبه المهمة كتابه « **اكمال المعلم** » ، اكمل به شرح شيخه المازري المسمى « بالمعلم بفوائد صحيح مسلم » ذكر في اوله أن طلبته رغبوا اليه في كتابة شرح عليه ، يبين مشكلة ، ويقيد مهمله لانه لم يؤلف في شرحه الا ما ذكره شيخه ابو على الجياني في تقييد المهمل من الكلام على مشكل اسانيده مع مشكل اسانيد البخاري والا كتاب المازري . . قال : لكن الاحاطة على البشر ممتنعة ومسارح الاذهان والالباب للبحث متسعة ، وكثيرا ما وقفنا في الكتاب المذكور على احاديث مشكلة ، لم يقع لها هناك تفسير وفصول محتملة تحتاج معانيها الى تحقيق وتقدير . . ثم قال : انه راى ان تاليف كتاب جامع لشرحه لا معنى له ، مع ما تقرر في (المعلم) من فوائد جمة لا تضاهى ، فيابى الكلام في ذلك ثانية كالحديث المعاد ، ولذلك قر رايه ان يكون شرحه ذيلا لشرح شيخه ، يبدأ بما قاله ، ثم يضيف اليه ما زاده عليه ، ومن ثم سماه : « اكمال المعلم » اعترافا بفضل السبق للامام المازري . وهذا الكتاب هو ايضا مما انفضل به على علماء الحديث ، ونشر له ذكرا عاطرا بينهم ، وقد اتم به ما بداه في الكتاب قبله بخصوص صحيح مسلم ، كما المع لذلك في مقدمة « المشارق » .

ومنها كتاب « **الالماع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع** » ، وهو في علوم الحديث فريد في بابه جمع ما في كتب الفن قبله ، وأضاف اليه نكتا غريبة من مقدمات حكم الاثر ، واصوله ، وفصولا هامة في اقسام الرواية والتحمل ، مع مزيد من الضبط والاتقان ، والتحري في السماع والاداء . وفيه يقول الدكتور اسد رستم : « على الرغم من مرور سبعة قرون عليه فانه ليس بامكان رجال التاريخ في أوروبا وامريكا أن يكتبوا احسن منه ، وان ما جاء فيه من مظاهر الدقة فيالتفكير والاستنتاج في باب تحري الرواية والمجيء باللفظ يضاهي ادق ما ورد في الموضوع نفسه في أهم كتب الافرنج في المانيا وفرنسا وامريكا وانكلترا .

ومن كتبه في الفقه على مذهب الامام مالك كتاب « **التنبيهات المستنبطة على المدونة والمختلطة** » حل فيه الفاظ المدونة ، وضبط مشكلاتها ، وحرر رواياتها وسمى رواتها ، فصار عليه المعول في شرحها ، لانه جمع بين طريقة اهل العراق الذين يجعلون مسائل المدونة كالاساس ، ويبنون عليها تفريعات المذهب من غير نظر في تصحيح الروايات ، ومناقشة الالفاظ وطريقة أهل القيروان الذين يبحثون الالفاظ ، ويحققون الروايات ، وذلك لقوة عارضته ، وسعة اطلاعه . فوضع بذلك منهجا جديدا للفقهاء والباحثين في اصول المذهب ممن اتى بعده .

ومن كتبه العظيمة الفائدة فى الطبقات والتراجم كتاب « **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** » المشهور باسم « **المدارك** » . وهو كتاب سد به فراغا عظيما فى هذا الباب ، ولم يقم قبله ولا بعده من فرى فريه فيه ، وانما حسب كتاب التراجم والطبقات ان ينقلوا عنه ، ويلخصوه ، ويذيلوا عليه ، ومع ذلك فانهم لم يحاكوه ، او يقاربوه ، فاحرى ان ياتوا بمثل نفسه العالى ، وقد كان قدوة لغيره من اتباع المذاهب الاخرى فالفوا فى طبقات علماء مذهبهم كتبا تختلف باختلاف مداركهم ومشاربهم . وقد استهله بمقدمة اضافية فى ترجيح مذهب مالك ، وبيان القواعد التى بنى عليها ، والمقارنة بينه وبين المذاهب الاخرى ، ثم اتبع ذلك بترجمة واسعة للامام مالك ، لم يترك فيها شاذة ولا فاذة مما يتعلق بحياته الشخصية والعلمية الا اتى بها ، وبعدها شرع فى ذكر تراجم علماء المذهب ، مرتبا لهم على الطبقات ، فاتى بالعجب العجاب فى ذلك ولاسيما فى تراجم الكبار منهم والمشهورين ، سالكا فى ذلك المنهج العلمى النقدي ، مطبقا قواعد النظر المتبعة عند ائمة الحديث فى الرواية والرواة ، مما بينه فى كتابه « الالماع » السابق الذكر ، توثيقا وتوهينا ، وبيان وهم وتصحيح خطا وما الى ذلك .

ومن كتبه فى التراجم ايضا كتاب « **الغنية** » ، وهو فهرسة اشياخه ، وما اخذ عنهم بقراءة ، او اجازة مع ذكر اسانيدهم ان كانت لهم رواية ، وقد بلغ بهم عدد المائة . وقال : انه ترك جماعة ممن لقيهم وذاكرهم وحضر مجالسهم من الفقهاء والرواة ، ولكنه لم يحمل عنهم من الكتب والحديث شيئا » .

وباقى كتبه هى « **بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد** » ، « **ومعجم شيوخ ابى على الصدفى** » ، و « **الاعلام بحدود قواعد الاسلام** » ، و« **سر السراة فى ادب القضاة** » ، و « **نظم البرهان فى جزم الاذان** » ، و « **الفنون الستة فى تاريخ سبتة** »، لم يكمل و « **غنية الكاتب وبغية الطالب فى الصدور والترسيل** » ، و « **مجموعة خطب** » ، و « **أجوبة عن المسائل التى رفعت اليه** » ، و « **تاريخ** » يشير اليه كثيرا فى كتاب « المدارك » وذكره بعض مترجميه « بجامع التاريخ » ، وغير ذلك من مشروعات لم تكمل .

وقد طبع من هذه الكتب كتاب « الشفا » طبعات لا تعد ، وكتاب « المشارق » ، وكتاب « المدارك » ، وكتاب « الاعلام » ، وكتاب « قواعد الاسلام » ، وباقيها بعضه يوجد مخطوطا ، وبعضه الاخر يعد فى حكم المفقود .

ادب القاضى عياض :

وله رحمه الله قلم سيال فى النثر الفنى والمرسل ، والشعر البديع .

ومن شعره قوله يودع قرطبة :

اقول وقد جد ارتحالى وغردت
حداتى وزمت للفراق ركائبى
وقد غمضت من كثرة الدمع مقلتى
وصارت هواء من فؤادي ترائبى
ولم تبق الا وقفة يستحثها
وداعى للاحباب لا الحبائب
رعى الله جيرانا بقرطبة العلا
وسقى رباها بالعهاد السواكب
وحيا زمانا بينهم قد الفته
طليق المحيا مستلان الجوانب
اخوانا بالله فيها تذكروا
معاهد جار او مودة صاحب
عدوت بهم من برهم واحتفائهم
كانى فى اهلى وبين اقاربى

ومنه يتشوق الى بلده سبتة ويشكو الغربة وهو قاض بداي :

أقمرية الادواح بالله طارحى
اخا شجن بالنوح او بغناء
لقد ارقتنى من هديلك رقة
تضعضع منها زفرة الصعداء
لعلك مثلى يا حمام فاننى
غريب بداي قد تقلت لداء
فكم بين داي من فلاة وسبتة
وخرق عظيم الخافقين خواء
لعل الذي كان التفرق حكمه
يجمع منا الشمل بعد تناء

عبد الله كنون

ابحاث ودراسات

- تحريـــف التاريـــخ والعقيـــدة
- في الذكـــرى 4 لحرب رمضان
- احمـــد الصافـــي النجفـــي
- القصيدة عند شعراء مدرسة أبولو



تحريف التاريخ والعقيدة

للدكتور ابراهيم حركات

هل يحرف التاريـــخ ؟

نعم ، ان التاريخ يحرف ، كما يمكن ان يحرف اي شيء يكون فيه الانسان اداة او غاية ، بشرط ان تتاح الظروف لمثل هذا العمل .

والتحريف قد يكون في المبدا او الطريقة او الغاية او في كل منها مجتمعة ، وكما يكون التحريف في التاريخ يكون في العلم والدين والادب . فالى عهد قريب ظلـــت بعض النظريات العلمية التي ترهن التقدم الحضاري للانسان بانتمائه العرقي سائدة في الاوساط العلميـــة خاصة ، وقد دخلت هذه النظرية في حيز التاريخ او كـــــادت (1) .

وكل الاديان السماوية من غير استثناء ، خضعت بشكل او بآخر لتحريف اتباعها وخصومها مع اختـــلاف في الغايات والطرائق ، فقد حرفت نصوص الوحـــــى في جل هذه الديانات ، ودخلها التزيد والنقص لاسباب مختلفة . اما الادب الذي من شأنه تهذيب ذوق الانسان ومشاعره وتعبيره منطوقا ومكتوبا ، فقد شمله النحل (بالحاء المهملة) ، فطالما اخطأ مرماه وصور الحـــق باطلا والباطل حقـــا .

ان من حق كل شخص ان يعبر عن آرائه وافكاره بالطريقة التي يختارها في ظل القانون . فهذا مبدأ لا يكاد يخلو منه دستور . ولكن رجل الفكر ، بوصفه اداة ضرورية للتواصل الثقافي بين المجتمعات وداخلها ليس من حقه ان يطعم هذه الرسالة النبيلة بحقن البهتان والتدليس ، **ولا أن يتخذ من علمه آلة تدمير لمجرد** التضحية بحق الاخرين . غير ان التاريخ سيظل بالرغم من كل شيء ، خير مقياس للحكم على اخطاء ومزايا الشعوب والافراد . نعم ، ان كل علم او فن يستطيع ان يقوم بدور مقارب ، ولكن مزية التاريخ ان ينوب عن العلوم والفنون جملة في تسجيل تقدم الانسان او تخلفه من حيث الصورة العامة ، ولذلك ، فتحريف التاريخ لا يقل خطورة عن تحريف العقيدة او الدين ، لان الهدف في الحالين يبقى واحدا ، وهو تضليل الجماهير او فئة منهـــــا .

ولقد تبين بكثير من الادلة ان تاريخ اغلب الشعوب بحاجة الى بناء جديد ، اما لانه لم يكتب قط ، او كتب جزئيا ، او سجل بصورة مشوهة او مموهة . وفي احسن الحالات يظل تعريفا ناقصا بحضارات هـــذه الشعوب التي لا يغوص في اغوارها . ولنذكر هنا على سبيل المثال ، جل الشعوب الافريقية ، على الرغـــم من النشاط الذي تقوم به بعض المنظمات الدولية فـــى سبيل اعداد تاريخ عام للحضارات الافريقية (2) ، وكذا عدد من الشعوب بالقارة الافريقية ولا سيمـــا الهنود الحمر الذين هم من أقدم شعوبها .

وينبغي التمييز بين التحريف والخطأ ، فـــــان التاريخ عرضة للتحريف كما هو عرضة للاخطاء ، ولكن هذه تتناول المضمون بالدرجة الاولى ، اما التحريف

فقد سبق التركيز بانه يشمل المبدأ والطريقة والهدف . كذلك فان التحريف يكون مقصودا لذاته حتى ولو نشأ عن خطأ . اما الخطأ نفسه فمن شأنه ان لا يكون متعمدا والا صار تحريفا . وهكذا فلا يحاسب المؤرخ على اخطائه بقدر ما يحاسب على تزويره لحقائق التاريخ وروحه .

ويعيش الشباب بوجه عام ، والذي حظي منه بوعي ثقافي على الخصوص ، في حيرة وقلق منذ ان عرف المجتمع الانساني طبقة شباب . ولكن مظاهر هذا القلق وتلك الحيرة لم تكن قط من القوة ورد الفعل بقدر ما حصل في القرن العشرين . فما أن وضعت الحرب العالمية اوزارها حتى طغت المادة شيئا فشيئا بشكل لم يشهد له مثيل في تاريخ الحضارات الانسانية الغابرة . وتغلبت المادة على الروح في كل مظاهر الحياة والعلاقات الانسانية . ومن ذكر الروح في هذا العصر فهو يتجه توا الى العقيدة والدين . وامام مادية المذاهب الحديثة وتفرغها الكلي لتغطية حاجات الانسان الاساسية في هذه الحياة ، ثم ارتباط الانسان بالالة الذي يزداد يوما عن يوم ، فان العقيدة الدينية لم تخضع لتطور يذكر في اسلوب تحبيبها الى الجماهير ولا سيما جمهور الشباب الذي يتلمس الحقائق قبل الاقوال ، ويصطدم بالاغراءات فيما يقراه او يسمعه . فالمذاهب الاشتراكية وعامة المذاهب الحديثة ، تقدم نفسها باكثر ما يمكن من الضبط والدقة ، والدين ما زال يقدم نصوصا فحسب ، دون أن يتم تقويم شامل لمناهج بحثه وآفاقه والصعوبات التي تعترض سبيله ، ومع ذلك فكثير من الضلالات والانحرافات نشأت باسم الدين وعلى يد المنتسبين اليه في مستويات مختلفة ، وعبر التاريخ الطويل . غير أن الاسلام اذا كان ينهض من كبوته بعد كل ما عاناه ولا يزال من حرب عوان يجابهها ممن ينتمون اليه اكثر من غيرهم فهو كعقيدة ومذهب للحياة ، بحاجة ماسة الى عناية جذرية تتناول دراسة واضحة ومجمعا عليها اكثر ما يمكن ، لخطوطه وغاياته ، وتخطيطا حقيقيا ومركزا لاقتصاده ، وتقويما لموقفه ازاء التطورات الحديثة، واعدادا دقيقا لمستقبله واتجاهه . واذا كان الاسلام يصلح لكل زمان ومكان فليتحرك اهله لعمل جاد وتخطيط محكم يخدم المسلمين حاضرا ومستقبلا ، دون ان يتملصوا من دورهم في خدمة الانسانية عامة .

ان تساؤلات كثيرة يضعها الشباب وعدد من المثقفين بشأن مسائل تتعلق بالعقيدة والدين ، واذا لم تكن الفصول التالية او بعضها اجابة حاسمة عن هذه المسائل ، فلتكن على الاقل ، مجرد اسهام في توضيحها من خلال ابراز وجوه الانحراف العقائدي ومظاهره وعوامله ، وذلك بعد عرض اسباب ومظاهر تحريف التاريخ .

الفصل الاول
اسباب تحريف التاريخ

**

تنحصر اسباب تحريف التاريخ فيما يلي :

1 — دوافع دينية .
2 — دوافع عنصرية او سلالية .
3 — جهل الحقائق كلا او بعضا .
4 — ارضاء ميول شخصية او سياسية .

الدوافع الدينية :

عندما تقدمت البشرية في مدارج حضاراتها الاولى اصبحت الصراعات منذ ظهور الديانات السماوية الاولى تتخذ اتجاها عقائديا ، فان كلا من هذه الديانات جاء برسالة قد تختلف شكلا وهدفا فيما بينها ، وينصرف الذهن هنا قبل كل شيء الى الصراع بين اليهودية والمسيحية ، دون استثناء بعض الديانات التي ظهرت في الفرس كالزرادشتية . فان الاضطهاد الذي شهده اليهود على يد الرومان خلال القرن الاول لظهور المسيحية وما بعده انما هو صراع بين مجتمعين اختلفت شريعتهما وشعائرهما . فالطلاق مثلا ، حرمته المسيحية الاولى واجازته الديانة الموسوية بشروط متشددة . والربا مباح في الشريعة الموسوية محرم في المسيحية ثم في الاسلام . والقسم الاكبر من الطوائف المسيحية وهم الكاثوليك آمنوا بالتثليث ، والموسوية ديانة توحيد . وهكذا فان حركة الاضطهاد التي نشأت ضد اليهود منذ فجر المسيحية انما كان منطلقها ان تعاليم الديانتين تختلفان غالبا في أمور اساسية . وقد بدأت هذه الحركة داخل فلسطين على يد حكام الرومان ولكن اليهود هم الذين اذكوا نارها لانهم وقفوا بشدة في وجه المسيحيين الاوائل الذين كانوا من بين اليهود وعلى رأسهم عيسى عليه السلام . وفي عهد نيرون الذي تولى الحكم سنة 54 م قام اليهود بثورة عارمة ضد الرومان في فلسطين فخرب نيرون بيت المقدس وتشرد

اليهود عبر انحاء العالم (3) . بينما امتد الاضطهاد الى عهد الامبراطور سانتيام سيفير (4) .

لكن الدراسات التاريخية الاسرائيلية تغفل موقف بنى اسرائيل من اخوانهم الذين اعتنقوا المسيحية . ثم هى تنظر نظرة سلبية الى مجموع اباطرة ورؤساء الدولة الرومانية بوصفهم اشتركوا جميعا او يكادون فى اضطهاد اليهود .

وقد ارتأى سيمون دوبنوف ان الامبراطور جوليان المرتد الذي كان خصيما للنصارى عمل وحده بين سائر الاباطرة الرومان على تحسين وضعية اليهود حتى هم باعادة بناء هيكل سليمان (5) .

ومنذ قرن تقريبا وضع المجتمع الدينى تحديدا لاركان الديانة الموسوية كعقيدة لتكون فى متناول الشبيبة اليهودية (6) . وكان من بين هذه الاركان :

1 — ان موسى عليه السلام اعظم الانبياء قاطبة .
2 — ان الشريعة الموسوية مكتوبة ومروية ، هى بذاتها التى نزلت على موسى وأن الله لن يغيرها ابدا .

واذا كان الاسرائيليون يرون فى موسى اعظم الانبياء ، فليس لغيرهم ان يلومهم على ذلك ، لان اعتقادهم فى موسى جزء من دينهم . اما بالنسبة لاعتبار الشريعة الموسوية مستقاة من التوراة اساسا فانما يهمنا هنا الجانب التاريخى لا العقائدي . فالتوراة المتعارفة تتضمن قصصا للانبياء تعالج احداثا اقربها لا يتجاوز 330 سنة قبل ظهور المسيح عليه السلام . وبين عيسى وموسى قرون كثيرة باعتراف بنى اسرائيل انفسهم ، وهناك اجزاء من التوراة لا تتعدى عشرة قرون قبل الميلاد تعتبر فى حكم المفقودة (7) . ومن اجل ذلك فلا ريب ان قسما كبيرا من التوراة على الاقل لا يعود الى عهد موسى بل الى ما بعده فى احقاب متفاوتة . وكل هذا بقطع النظر عن كون الديانة الموسوية قد خضعت لتعدد النحل والمذاهب ، كما هو الشان فى اي دين آخر يوازيها او يتجاوزها انتشارا وتعدد بيئات ومجتمعات . وقد تحدث القرآن فيما بعد ، وغيرما مرة عن تحريف التوراة بقصد لفت نظر بنى اسرائيل الى ما يمس دينهم ومصيرهم .

ويهم كل عربى ومسلم ان يعرف ما يقوله مؤرخو اليهود عن العرب والاسلام . ونكتفى فى معرض تحريف التاريخ لدوافع دينية ببعض ما قاله سيمون دوبنوف عن رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم وموقفه من اليهود ، علما بأن بين كتاب اليهود ومؤرخيهم من يكتبون بروح اكثر تجردا .

قال المؤرخ المذكور (8) :

« . . . وهكذا فان الافكار الدينية والاساطير اليهودية قد انتشرت بين العرب وهيأتهم للدين الجديد دين الاسلام الذي اقامه نبيهم محمد . ولقد كانت روح انبياء اليهود التى تمثل نموذجا للسلام والعدل الاجتماعى بعيدة بعدا مطلقا عن النبى العربى (؟ !) . . . فككل العرب . كان محاربا يدعو الى نشر العقيدة الجديدة بحد السيف ، ولكنه تأثر تأثرا عميقا بأبطال التوراة : ابراهيم وموسى وآخرين ، فعرف تفاهة عبادة الاصنام . وكانت عبارة « لا اله الا الله » الفكرة الاساسية للدين الجديد .

كان محمد يعتقد ان موسى والمسيح نبيان ايضا ، ولكنه بعث رسولا من الله ليبشر العالم بدين افضل هو الاسلام ، ويجعل من البشر جميعا مسلمين وانصارا للعقيدة الصحيحة . وحاول محمد ان يقنع اليهود وهم اهل الكتاب بروعة دينه الجديد ، ولكنهم عندما رفضوا الانصياع اليه اعلن الجهاد ضدهم ، كما شن الحرب على العرب الذين لم يعتنقوا الدين الجديد . وبعد ان تغلب على جيش قوي لهؤلاء بضواحى مكة مسقط راسه انقلب ضد اليهود . وفى المدينة حاصر محمد وانصاره الحصن الذي اعتصم به اليهود من قبيلة قينقاع . وبعد معركة دموية طردهم منه ، كما قتل يهودا من قبائل اخرى خلال جهاده هذا واسترق الباقين على قيد الحياة ، واقتيدت اسيرات الى حريمه (دار معدة للنساء (1)) ، فحاولت احداهن ، وهى زينب الجميلة ان تسمم محمدا فى طبق لحم ، ولكن محمدا تقيأ السم فبريء ، وعندما سألها عن صنيعها هذا اجابته : لقد آذيت قومى ايما ايذاء ، فظننت انك لو لم تكن سوى قائد جيش لخلصت قومى بقتلك ، وانك اذا كنت نبياءحقا ، فان الله سيوحى اليك بما عزمت عليه فتبقى حيا . فقتل محمد على الفور البطلة اليهودية » .

ويتابع سيمون دوبنوف تحريفه قائلا :

« ان جهاد اليهود يتصه بتفصيل رائع ، الكتاب المقدس عند المسلمين ، القرآن

« . . وبعد موت محمد ، استمر وطيس دعوته يحرق سائر القارة الاسيوية ، ودعوته هي : جاهدوا وانشروا الاسلام بحد السيف بين الشعوب كلها

وكان خلفاء محمد ، محاربين ضاربين ، اتخذوا من التعصب الديني للعرب المسلمين مطية تقودهم الى حروب فتاكة ضد الكفار . وفي أمد قليل ، استولوا على كل البلاد التي تشملها الامبراطوريتان الشرقيتان الكبيرتان : فارس وبيزنطة ، وخلعوا كل الملوك عن عروشهم ، واستبدلوهم بعمال عرب . وفتح عمر بلاد بابل وفلسطين ومصر . وفي القدس تسلق عمر جبل بيت المقدس ، حيث شيد الهيكل قديما ، فشاهد خرائب ونفايات زبل ، فأمر بتنظيف المنطقة ، وبنى مكان الهيكل جامعا اسلاميا هو المسجد الاقصى او مسجد عمر الذي لا يزال قائما حتى اليوم فوق حائط المبكى » .

ان الذي لم يطلع على حقائق التاريخ العربي والاسلامي ولا على الطريقة التي انتشرت بها الديانات السماوية عموما سيتقبل كل ما جاء في هذه الفقرات كقضايا مسلمة او احداث وقعت فعلا كما رويت هنا . ومن اجل ذلك لابد من توضيح عدة نقط بعضها لم يقع تصحيحه قط ، طبقا لمنطق العقيدة والتاريخ :

أولا : الديانات السماوية يصحح بعضها بعضا . ودون التطويل في السمات الخاصة بكل منها فان الموسوية لم تقم بدعوة تذكر خارج منطلقها مصر وفلسطين ، وتمسكت بأن العبرانيين هم شعب الله المختار كما تردده التوراة اكثر من مرة ، ووضعت قيودا في الاعياد والاطعمة والعادات . اما المسيحية فانطلقت كدين تسامح ، في فترة طغى فيها الحكم الروماني ، واعتبر كل الشعوب خارج روما في حالة استرقاق او نصف مواطنة . وقليل اولئك الذين حظوا خارج روما بما حظي به اهلها من امتيازات . وهكذا نزلت المسيحية الاصلية كدين تسامح ، فصححت فكرة الشعب المختار وخففت من جهة اخرى كثيرا من القيود التي نصت عليها الموسوية ، محتفظة في نفس الوقت ببعض الافكار والعقائد التي عرفت في هذه الديانة ، والتي يعود كثير منها الى ما قبل الموسوية ، فالبعث والحساب يوم القيامة مثلا ، عرفته الديانة المصرية القديمة ، وان اختلفت تصويرها في ذلك عن تعاليم الديانات ، وهكذا وضعت المسيحية في عقيدتها حدا للعنصرية العبرانية، الا ان الانجيل وتعاليم الحواريين لم تقم بوضع نظام اجتماعي متكامل ، ولا تدخلت بشكل دقيق في التوجيه الاقتصادي او السياسي للجماعة (9) . ومن جهة اخرى فان نشأة فكرة التثليث وفكرة البابوية ، وكلتاهما في وقت متأخر جدا عن ظهور المسيح ، كان من شأنهما تغيير جذري للعقيدة المسيحية الاصلية ، ومن غير شك، فان المسيحية قامت بجهد كبير في تحقيق التقارب بين الشعوب اكثر مما كان الشأن قبل ظهورها . ولكن مبدأ التفرق واستغلال الشعوب المستضعفة من غير تزويدها بمقابل يذكر ، ظل يسيطر على الحكام البيزنطيين في أغلب الاحيان ، فكان نزول الاسلام تصحيحا للعيوب وتقويما للثغرات التي نجمت عن ممارسة ديانتين لم تحققا الكثير مما كان ينتظر منهما بسبب انحراف الذين هيمنوا على مصائرهما فضلا عن صعوبة تطبيق بعض مبادئهما مع تطور الزمن والامم . ومن ثم فالاسلام احتفظ ببعض المبادىء المسلمة حتى قبل الموسوية كالايمان بالملائكة واليوم الاخر ، كما لا يضيره ان يأخذ الاحتفال بعاشوراء عن اليهود مثلا فهو في جملته يختلف اختلافا كبيرا عن سائر الديانات في منهاج الحياة وحتى في كل الشعائر (الصوم ، الصلاة ، الحج ، الزكاة ، الزواج ، الطلاق ، الملكية ، الارث ، استغلال الارض الـــخ . . .)

اما ان افكار اليهود هيأت العرب للاسلام فلم لا يقال بكيفية اقرب الى المنطق ان الافكار المسيحية هي التي كان لها هذا الفضل ؟ فالنصارى كانوا موجودين في بادية الشام كما كانوا في اليمن والحجاز . وما اشعار امية بن ابى الصلت والنابغة الذبياني والاعشى ، وكذا خطب قس بن ساعدة وتكهنات ورقة بن نوفل وبقايا شعائر ابراهيم عليه السلام الا امثلة لبعض الجوانب التي اسهمت في تقبل مبادىء الدين الجديد .

ثانيا : انتشار الاسلام بحد السيف ، فكرة تسيطر حتى الان ، وعلى نطاق واسع في اوساط الشباب المنتمي الى التقدمية في العالم الاسلامي . بل ان خصوم الاسلام يتلقون عن هذه الفكرة تأويلات بل تعليلات غامضة وغير مقنعة ؟ ومعظم الدراسات الاجنبية تروجها باعتبار ان في القرآن آيات صريحة بشأن الجهاد : « يا أيها النبيء جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم . . . » . « وجاهدوا في الله حق جهاده ، ولا تموتن الا وأنتم مسلمون » .

ولابد قبل كل شيء ، من التفريق بين فئتين رئيسيتين من غير المسلمين :

1 ـ أهـــل الكتـــاب .

2 ـ الوثنيــون والذين لا دين لهــم .

أما أهل الكتاب فيخيرهم الاسلام بين ثلاثــة :

اعتناق الاسلام ، أو دفع الجزية التى تقابل الزكــاة بالنسبة للمسلمين ، أو الحرب فى حالة رفضهم لاحــد العرضـــين .

وعندما نزل الاسلام وطرد الرسول من مكة مع المومنين به ، ومكة بلد يضم الكعبة والبيت الحرام ، ولهما شأن فى الدين الجديد ، كان افتتاحه فى النهاية ردا طبيعيا على تصرف المشركين ازاء الرسول وقومه وفوق ذلك ، كان الفتح سليما بمعنى الكلمة . امـــا الغزوات داخل شبه الجزيرة ،، فكلها تقريبا داخلة فى هذا النطاق ، وكانت غزوة بدر بدافع الحصار الاقتصادي لقريش ، وقد تواردت عشرات الوفود على الرسول صلى الله عليه وسلم تعلن اسلامها تلقائيا، من البحرين واليمن وحضرموت وغيرها من اجزاء شبه جزيــرة العرب . وفى الشمال يوجد الشام والعـــراق ، وفى كليهما اكثرية عربية واجانب يحكمونهما وهم الــروم والفرس . وبقاؤهم خطر كبير على مستقبل العـــرب والاسلام ، فكان من حكمة الرسول عليه الســـلام ان دعا حكام الروم والفرس الى الاسلام حتى يتجنـــب استرجاع الارض العربية بالقوة ويعمل على نشــــر ثم تبنى الفكرة بعده ، الخلفاء الراشدون ، وهذا هــو الاسلام سلما عن طريق هؤلاء الحكام . وحيث انهــم رفضوا ذلك ، فقد هيأ جيشا لقتال الروم قبل وفاته ، السر فى أن الجيوش العربية تتبعت البيزنطيين فى مصر ثم فى باقى أجزاء المغرب بلدا بلدا ، كما انعطفت على الفرس فى العراق ثم فى ايران ، ومن جهة اخرى ، فان الحملات الاولى اقتصرت على البزنطيين دون غيرهم. أما فى المرحلة الثانية فتوجهت الى مجموع العناصـــر الوثنية ، فى الوقت الذي احتفظ فيه أهل الكتاب بدينهم مقابل اداء الجزية ، ما لم يدخلوا طواعية فى الاسلام ، ومن اجل ذلك ، بقى عدد كبير من النصارى بالشام ومصر ، كما بقى عدد كبير من اليهود بالشمال الافريقى ووجد ادريس الاول بقايا النصرانية بين البربر بشمال المغرب بعد مرور ما يناهز قرنا وربعا على الحمــلات الاسلامية الاولى ، وفتحت الاندلس بتدبير من يليان الغماري واسرة غيطشة . كما كان لزعماء البربر من قبل يد فى استقدام العرب لفتح المغرب .

وأما فى الاقطار الزنجيةالافريقية، فالاسلام انتشر فى جل الحالات عن طريق التجار المسلمين ثم عن طريق الزوايا ، وكذلك الشأن فى جل الاقطار الاسيويـــة كأندونيسيا والصين والفيليبين .

وبالنسبة للوثنيين فالاسلام يخيرهم بين الاسلام والحرب ، اي الدخول بقوة فى الدين الجديد ، وهذا هو الاطار الذي يمكن لخصوم الاسلام ان يتحاملوا فيه على الاسلام ، اذا لم يميزوا بين وقائع التاريخ وخصائص الدين الجديد ، ان محاربة الوثنية انطلقت قبل كل شيء من شبه جزيرة العرب ، حيث كان ينتشر الشـــرك وعبادة الاصنام والاوثان على اختلافها . ولا ريب ان الاسلام راى فى عبادة الاحجار والظواهر الطبيعيـــة والايمان بالسحر والكهانة اشياء يصبح العقل البشري معها منحطا لا يمكن أن يتقبل اي تطور فى حياتـــه الاجتماعية والاقتصادية بالتعلق بها . ذلك ان تطــور الانسان الاجتماعى والاقتصادي يلتصق بالعقيــدة فى الاسلام ، اكثر مما يرتبط بها فى غيره ، ولكنه يعترف مع ذلك بمكانة اليهودية والمسيحية ، طالما كان من شأن اي دين سماوي أن يبعد الشخصية البشرية عـــن الشعوذة والتعلق بما لا ينفع اذا لم يضر . فالحرب ضد الوثنية هى حرب تنطلق من مبدا ثورية الاســـلام ضد الكهان والمشعوذين والقادة المتحمسين للوثنيــة اكثر مما هى حرب ضد من يستغلهم هؤلاء واولئك ، لان الكهان والمشعوذين والوسطاء يفقدون بالاسلام مواردهم ونفوذهم ، وهم انما يبتزون الاموال مـــن الضعفاء . ولكل ثورة فى العالم ذات هدف واشعاع ، ضحايا قل عددهم او كثر . ولقد خاضت الكاهنة داهية أو (دامية) الزناتية حربا ضروسا ضد العـــرب الفاتحين للمغرب ، ولكنها وهى تحتضر ، دعت ولديها الى الاسلام وتقبل الدعوة الجديدة ، فمصالح مـــن كانت تدافع عنها هذه الكاهنة من قبل ؟

ومن يستطيع أن يزعم أن قيام الانظمة الاشتراكية الحديثة كانظمة حكم واقتصاد لم يخلف ضحايا امـــا بالاغتيال أو الاعدام أو الاعتقال ؟ ... وهذا بالطبع لاينزع عن الانظمة المذكورة طابع التقدمية والاصلاح مـــا نهضت اساسا على خدمة مصالح الجماعة ، بقطــع النظر عن رؤيتها الى الجانب الروحى من سلـــوك الانسان .

أما الحرب التى شنت ضد الوثنية وكان اللجوء فيها الى التقتيل والتعذيب بصورة جماعية ، فان اكبر نموذج لها هو حرب المسيحيين وبعض الاباطرة الرومان

ضد الوثنيين ، والتى بلغ امتدادها الزمنى عـــدة اجيال (10) ؟ او ليست هذه الحرب من بين اخريات ، مما يشهد بان المسيحية انتشرت بالقوة مع انها اسست على التسامح أصلا ؟

ثالثـــا : فيما يرجع الى موقف النبـى صلـى الله عليه وسلم من اليهود فهو ينبنى على موقف هؤلاء من الاسلام :

ـــ بنو قينقاع من يهود المدينة ، وادعهم النبـى عند قدومه اليها ، وعاهدهم ، فكانوا اول من جاهر بالعـــداوة ونقضـــوا العهـــد بتحرشهـــم بالمسلمين والاستخفاف بهم . فحاصروهم الرســـول وكاد يقتهم بعد وقوعهم فى يده ، فتدخل للعفو عنهم عبد الله بن ابى ، فعفا عنهم الرسول (11) واجلاهم عن المدينة (12) .

ـــ بنو النضير وهم فريق من يهود المدينـــة ، استعان بهم الرسول فى دية رجلين فهموا بالقاء رحى عليه (13) .

ـــ بنو قريظة ساهموا بأموالهم وانفسهـــم فى الحرب ضد الرسول والمسلمين فى غزوة الاحـــزاب (الخندق) (14) ، بل كانوا هم المنظمين لاجـراءات هذه الحرب (15) والمحرضين لقريش وغيرهم مـــن القبائل . وبسببها عمل الرسول ثم الخليفة عمر فيمـا بعد ، على اجلاء اليهود تدريجيا عن الحجاز .

اما قتل الرسول لزينب بنت الحارث ، فالرواية الاسلامية تنكره وتقول ان هذه المراة قدمت شاة او كراع شاة مسموما الى الرسول ، فاخذ منه مضغة فلم يسغها وكان معه بشر بن البراء ، فاكل من الشاة فمات ثم كان ما دار من حوار بين الرسول والمراة بشأن السم فتجاوز عنها (16) .

ولقد تتخذ الدوافع الدينية فى تحريف التاريـــخ صورا شتى ، كتهويل احداث الحروب ونتائجهـــا والتقليل من شأن انتصارات العدو وتضخيم اعـداد جيوشه وسلاحه ، ويجعل من الهزائم والحالة هـــذه مجرد مقادير . وقد يتخذ من شجاعة المتدينين عامـل حاسم فى النصر ، ومن ثم يرتبط تسجيل احداث عسكرية بتحريك الشعور الدينى ، ويتقمص المؤرخ فى هـــذه الحال دور المساهم فى هذه الاحداث التى يندمج فيها بعاطفته ، فينزلق نحو التحريف وتغطية الحقائـق ، ويسدل حجابا كثيفا عن الظروف والملابسات والعلل .

الدوافع العنصرية والسلالية :

ان تسجيل التاريخ وتفسير احداثه وتطوراتـــه كثيرا ما ينزلق نحو تفسير ضيق للاحداث وتبريراتهـــا من حيث ان المؤرخ يغامر فى هذه العملية وهو يتهيأ متدما للدفاع عن قضايا عنصرية او سلالية ، امـــا لكونه ينتمى مباشرة الى الطرف الذي هو موضـــع دراسته وبحثه ، او لمجرد ايمان مبدئى بحق هـــذا الطرف على طول الخط . ولذلك ؛ فمن واجب المؤرخ ان يعيد تركيب الاحداث خصوصا بمقابلته بين تفسيرات الخصوم والانصار . ولنفترض أننا بصدد دراسة مركزة لتاريخ الوندال ... ان هذا الشعب الجرمانى لم يكتب تاريخه ابناؤه وانصاره ، فقد كتبه خصومه الذيـــن محتوا وجوده السياسى وهم البيزنطيون خاصـــة . وحيث اننا أمام تاريخ مدون من طرف واحد يصـــور الشعب الوندالى بطريقة منهجية ، كمجتمع متوحش؛ عمل على تحضيره بعض الشيء ، اولئك القـــوم المغلوبون على يده ، والذين عاشوا فى كنفه بالشمال الافريقى وهم الرومان ، فلا بد ان نأخذ حذرنا فيمـا يرجع الى الجوانب السلبية التى يعزوهاالتاريخ الـى هذا الشعب ، على الرغم من انه لم يخلف عمليـا ، حضارة قوية الاثر ، لاسيما مع قصر أمد نفـــوذه السياسى .

واعتاد التاريخ الاسبانى ان يمر مرا خفيفـا سريعا على فترة الحكم العربى بالاندلس ، والتـى لا تصور فى جل الاحيان الا كفترة صراع بين مجتمعـين يختلفان جنسا ودينا ، ومن ثم يختلط الدافع العنصري بالدينى ، خصوصا فى الكتابات التاريخية القديمـة . ومن عهد قريب فقط ، بدات النظرة الاسبانية نحو فترة الحكم العربى الذي استغرق ثمانية قرون تتغير لتصبح اكثر موضوعية ، ذلك ان الصراع بين العرب والاسبان كان على نفس الارض مدى هذه الحقبة . وهكذا يتبنى كتاب الاسبان العديد من مفكري الاسلام بالاندلس .

ان آراء النازيين عن الساميين عموما ، والعنصر العبرانى على الخصوص هى قبل كل شيء ، نظـــرة تفوق وازدراء ، ولكن فى الوقت الذي كان النازيون فيه ينظرون الى الجنس الجرمانى على انه انقى الاجناس واصفاها ، فضلا عن انهم يعدون العامل العرقى مؤثرا اساسيا فى التفوق الحضاري (وهذا ما يطابق نظرية مس سمبل) ، كان العبرانيون (والاصح نقول الآن الاسرائيليون) يؤمنون بفكرة الشعب الذي اختاره الله (17) ولنتصور ما يمكن أن يحدث من اختلاف بعيد

فى طريقة تدوين تاريخ على يد مثقف متعصب للاسرائيليين ، وآخر دون عن نفس القوم على يد مؤرخ نازي ، ان امانة العلم تقتضى مقابلة النظريتين، والاتجاه اكثر ما يمكن الى الاصول الصحيحة للتاريخ، ولكن هذه الاصول وثائق وسجلات وتفصيلات دونت على يد طرف اجنبى ، او اي وسيلة علمية تضع الحقيقة فى نصابها .

لقد كانت الصراعات الطبقية الاولى صراعات عشائر ثم قبائل ، ومختلف مصدرها من احداث فردية الى نضال من اجل الارض والكلأ والماء ، ثم تجمعت القبائل فى قوميات تعود الى نفس العنصر او الجد . وهذا شأن القومية التتارية والتركية والعربيةوعشرات غيرها ، فهى تجمعها وحدة الاصل اللغوي والجنسى ووحدة التراب الذي تعيش عليه ، وكلما صغر الحجم الطبقى كلما التقت مصالح المجموعة ولكنها تضيع بالمقابل فى الاستفادة من المصالح المتعددة التى تضمنها وحدة وثيقة : الحماية والامن والتكافل الاجتماعي والاقتصادي والفكري وقوة التحدي للاخطار الخارجية

ولكل قومية فى التاريخ مبررات وجود .. ولا توجد الا قوميات قليلة جدا فى التاريخ نبتت على نفس الارض وظلت فيها آلاف السنين ، وتقدم مصر الفراعنة التى خلفت سمات عميقة فى الشعب المصري حتى الآن نموذجا حيا للقوميات الضاربة فى القدم ، بالرغم من التطورات الطارئة فى التاريخ .

وجل القوميات الكبرى تنقلت فىهجرات اقتصادية أو سياسية أو دينية من منابتها الى ارض استقبال اخرى . وهكذا فان البربر انطلقوا من الشام واليمن لاسباب اقتصادية على الارجح ، ليستقروا بافريقيا الشمالية والغربية ، متحركين فى هجرات لاحقة داخل هذا المحور الجغرافى الذي يمتد الى النوبة شرقا كذلك .

والتتار من شعوب منغوليا بآسيا الوسطى تحركوا لنفس السبب المذكور خلال العصر الوسيط فى هجمات ضارية نحو الصين وعدد من اقطار الشرق الاوسط وغيرها . والعمل من اجل الحفاظ على وجودهم حولهم الى كتلة سياسية بدأ تمزقها عسكريا على يد المماليك فى مصر . غير ان التاريخ الاسلامى لا ينفك يعزو خراب الحضارة الاسلامية الى التتار وحدهم ، وذلك بعد دخولهم الى بغداد سنة 656 هـ ولا يلتفت الى الاسباب الداخلية من تدهور فى الحكم وصراعات بين المذاهب وغياب للوعى السياسى فى القاعدة والسلطة وما تصرفات العلقمى وما تلاها من شطط التتار الا آخر حلقة من سلسلة طويلة من المساوىء التى تكشفت عنها تغيير مفاهيم المسؤولية ووجود عناصر تتجاهل مصالح الامة أو تعمل ضدها . ومع ذلك ، فان التفسير الطبيعى لهجمة التتار يتعين قبل كل شىء أن ينطلق من مفهومه الاقتصادي . أما بالنسبة للشعوب العربية والاسلامية التى كانت ضحية لها فان الامر لا يختلف فى كثير عن المصير الذي شهدته القسطنطينية بعد قرنين اذ بينما كان محمد الفاتح يهاجم بمدفعيته الحصون الامامية لهذا البلد ، كان رجال الدين والمسؤولون يتجادلون جدالا عنيفا بشأن جزئيات دينية تافهة . ولو كان هناك تجاوب حقيقى بين الحاكمين والمحكومين فى العراق على الاقل لكان التحدي للمهاجمين فى مستوى عنفهم . ومن أجل ذلك ، يجب البحث عن الاسباب العميقة والواضحة معا ، لانهيار حضارة ما ، فى الاسباب الداخلية اولا وقبل كل شىء ، اما الاسباب الخارجية ، فلا تكون بوجه عام الا نتيجة لهذه .

ان الاختلاف العرقى لطرفين متنازعين قد يؤدي الى تصور خاطىء من احدهما لسلوك الطرف الآخر . وهذا حال التاريخ العربى فى مجمله عندما يعالج الحكم التركى للدول العربية والاسلامية . فالاتراك مسؤولون حقا وبقدر ، عن اسهامهم فى سلسلة المساوىء التى ادت الى تدخل التتار فى الشرق الاوسط ، لكن ، من قاد الاتراك الى الحكم فى قلب البلاد العربية ؟ الم يستقدمهم ملك عربى وهو المعتصم لان أمه منهم ؟ ولماذا اقصى الفرس عن مساعدة السلطة العربية وقد أبانوا عن عقلية واسعة التفتح على الحضارة الاسلامية والتعامل مع هذه السلطة ؟

وأساء العثمانيون التصرف فى بعض بلاد الشرق الاوسط ، خصوصا مصر والشام ، ولكنهم بالمقابل انقذوا ليبيا وتونس والجزائر من خطر الاستعمار الاسبانى ، ووقفوا سدا منيعا دون تحرك الاساطيل الاستعمارية على طول الشواطىء العربية ، وعندما خرت قواهم تجاه الغزو الاستعماري سقطت فلسطين طعمة سائغة فى يد الصهيونية .

ثم ان خطأ التاريخ العربى أن يخلط بين العثمانيين كدولة حاكمة ، وبين الشعب التركى الذي تشبث بالاسلام وروح الاخوة الاسلامية بشكل تؤكده احداث التاريخ نفسها . وباعتبار أن القومية العربية هى ايضا قومية اسلامية فى مجملها فان المنطق يقتضى ان ينظر

الى اخطاء الحكم التركى ليس فى حد ذاتها فحسب ، بل ايضا ، كجزء من اخطاء رجال الحكم الاسلامى عامة ، لانهم جميعا استندوا الى نفس المصادر وكانت لهم نفس التقديرات الخاطئة عن مفهوم السلطة ومدى دور القاعدة فى الاستفادة من العدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

كذلك سيكون من الصعب ان يسمح التاريخ العربى بالتغاضى عن الموقف الذي وقفته تركيا الحديثة من حيث اعترافها باسرائيل ومبادرتها الى ذلك فى وقت شرد فيه من فلسطين مليون عربى ، غير ان هذا التدبير اتخذ على يد بقايا الجماعة الكمالية التى دخلت الآن فى ذمة التاريخ . وقد تجاهلت هذه الجماعة أن هناك مزارات وأماكن مقدسة فى هذه الارض لدى المسلمين قاطبة ، ولا تفتأ تشهد عبث السلطة الصهيونية .

على أن السلالية لم تلعب فى التاريخ الداخلى للشعوب ما لعبته من دور فى تاريخ الامة العربية ، فان مشكل هذه الامة فى ظل الاسلام لم ينطلق بداءة من الانحراف الدينى ولا من السياسة الاقتصادية ، وانما انطلق من عدم اتباع الخليفة عثمان للسياسة الحكيمة والصارمة لسلفه عمر ، من حيث ابعاد اقرب الناس اليه عن مناصب المسؤولية ، بينما كان لاسرة بنى امية حظ الاسد فى هذه المناصب أيام عثمان . وذلك فتح الباب على مصراعيه لمطالب على والشيعة فى الحكم. ثم عمد بنو امية الى الاستيلاء على السلطة لينشؤوا نظاما جديدا وضع العصبية العربية فى اعلى سلم الارستوقراطية ، وبدد جلهم أموال الامة يمينا وشمالا لاسكات اكبر عدد ممكن من الزعامات العربية الطامحة بدورها الى الثراء والسلطة . واستعرت نار العصبيات الضيقة تكشف عن نزعات دفينة لم يتمكن الدين الجديد مع دعوته الملحة الى الوحدة والتعاون من اخماد نارها . وجنح بعض الخلفاء الى مؤازرة القيسية ، وآخرون الى التعصب لليمانية ، بينما كانت سيوفهم تلاحق العلويين ، وتواجه بضراوة نضال الخوارج الذين مثلوا باصرار فى اسلوب حكمهم ديموقراطية المجتمع الريفى النقى على الرغم مما عرف من تطرف عقائدي لدى عدد من فرقهم .

وقام كثير من القادة الامويين الذين تناسلوا من قوم كان لهم فى التجارة والكسب صيت هيمنوا به على مقاليد السياسة بمكة عند ظهور الاسلام بجعل الفتوح سبيلا الى تضخيم ثرواتهم الشخصية ، وساق بعض الولاة اليهم عشرات الالوف من السبى دون أن يعبأوا بمصير الشعوب الغاضبة والمتهيئة للثورة ، ولا بتطبيق تعاليم الاسلام فى هذه الفتوح . كذلك فان النعرات القبلية والزعامات الانانية العديدة التى عرفها تاريخ الحكم الاسلامى بالاندلس كافة ، انما كانت عهدة اذكائها وترسيخ آثارها على الحكم الاموي الشرقى

واذا كان علم الثورة الذي رفعه الخوارج والشيعة والبربر تعبيرا واضحا عن فشل السياسة الاموية ، فان العهد الاموي لم يخل على اية حال من منجزات ذات أثر عميق فى التاريخ العربى . وبعد تعريب الادارة واعادة تنظيم مرافقها وانشاء الاسطول وتنشيط حركة التبادل الاقتصادي ، والتمهيد لنهضة فكرية بناءة ، من ابرز المظاهر الايجابية لنشاط السلطة الاموية .

لكن العنصرية والسلالية لم ينتهيا بنهاية العصر الوسيط وظهور عصر الاكتشافات ، فان الصراع الطبقى من هذا النوع تلهبه عزلة المحيط الجغرافى وسياسة التمييز فى الادارة المركزية والاقليمية ، وهكذا فعلى ابواب القرن الحادي والعشرين تبلغ النزعة الاستقلالية حدا ينذر بالانفجار كما فى الباسك وقطلونيا وقد تخبو جذوته امدا لتلتهب بعد حين كما فى كورسيكا . ولا جرم ان للعوامل الاقتصادية واللغوية اثرا واضحا كذلك فى عدم حلها لمشكلات الباسك وقطلونيا بسبب دكتاتورية الاربعين سنة ، التى شهدتها فى عهد فرانكو ، مع ما تركته من تركة معقدة ، فسيكون من العسير ان تواصل الطبقية الاجتماعية والاقتصادية طابعها التمييزي فى بلد عريق فى الديموقراطية الداخلية كفرنسا

ومهما يكن من امر ، فلا يمكن الاستهانة بالطابع العنصري للتطور الاجتماعى والسياسى والاقتصادي كعامل سلبى يخنق حركة الجماهير فى الوطن الواحد ، ويجسم سيطرة الاوليغارشية فى اشنع سماتها ، لكن لا جدال فى أن النظام العشائري بما يتضمنه من مظاهر التعاون والعمل الجماعى فى أضيق نطاقاته البشرية، لم يكن هناك من بديل عنه فى بعض اطوار التاريخ ، وفى ظل الانظمة الرعوية .

ومن واجب التاريخ أن لا يحكم حكما قاطعا على القوميات مهما صغرت الا من حيث الظروف التى اتيحت لها فى الانجاب والاخصاب الحضاري ، فان الشعوب التى تسلط عليها القهر والحرمان باستمرار ، كان يمكن

ان يكون عطاؤها اكثر ، لولا صراعات التفوق التي واجهتها .

ان صحراء سيبيريا ظلت قرونا متطاولة شبه خالية الا من اقوام قلائل يعيشون على الصيد في بعض اطرافها ، وسكانها اليوم في درجة من الحضارة تماثل مستوى حضارة اية جهة راقية اخرى من العالم ، وقد اندمجوا في المجموعات التي توافدت من سائر أنحاء الاتحاد السوفياتي لان الظروف التي اتيحت لهم الان لم تكن متاحة من قبل ، ولقد كانت اليابان بلدا منسيا او شبه منسي يعيش على تراث الماضي ويجتاز مرحلة تخلف حضاري مذهل حتى أوائل القرن العشرين ، فاذا هذا الشعب الدؤوب يحتل منذ نصف قرن درجة سامية من الحضارة ويصدر منتجاته المتقنة الى اغنى بلاد العالم واقواها .

ان الفرصة قد اتيحت لدول افريقية كثيرة ظلت بعض مجتماتها الى عهد قريب تعيش عيشة ما قبل التاريخ ، وكانت عنصرية البيض الاستعماريين تحكم على هذه الشعوب حكما نهائيا بأنها لن تستطيع قط ملاحقة الركب الحضاري ، ولكن حتمية التاريخ كذبتها لانها تعيد بناء زحفها في سلم التقدم حسب الفرص التي اتيحت لها والتي امكنها ان تهيئها تبعا لعوامل التربة والطقس والبنيات الاساسية .

الجهل بالحقائق كلا أو بعضا

العرب رواة اخبار وقصص ، ولعوا برواية غاراتهم وايامهم ، وضمنوا كثيرا منها اشعارهم وقصائدهم ، فكان تاريخهم والحالة هذه ، رواية داخل رواية ، لان الاشعار تنوقلت شفويا ، وهذا شأن الشعوب الرحل التي تستأنس بالمرويات ولا تسمح ظروفها بالعمل المنظم كالتعليم والثقافة المركزة . وهذه الاخبار والقصص والاساطير هي اصل التاريخ العربي الفطري ، فهي سبقت المغازي والسيرة النبوية زمنا ، ولكن هذه اسبق تدينا ، لانها تتصل برائد الاسلام الاول ، كما أنها تساهم في حل عدد من مشكلات التشريع ، ثم لابد أن العرب كانوا يهتمون بأخبار من حولهم من الفرس والبيزنطيين بحكم خضوع بعض البلاد العربية لسلطة هؤلاء اواولئك ، وبفضل عدد من ادباء الفرس وكتاباتهم ، كانت معلومات العرب عن الساسانيين خاصة لا تخلو من دقة ، وهذا بعد ان اسهمت الروايات والاخبار الشفوية قبل الاسلام في التعرف على ما يجري لدى الفرس ، ولاسيما ما يمس علاقاتهم بالعرب ، ان وجود الفرس في الحكومة والادارة العربية جعل معارف العرب طيبة في جملتها عن الفرس ، أما البيزنطيون ، فقد اقصوا ليس فقط من هذه الادارة ، بل حتى من البلاد العربية ، ما خلا قلة منهم ، لينحبس القسم الاكبر منهم في المنطقة التي ستشملها تركيا فيما بعد .

وقد اتبعت طريقة العنعنة في الكتب الاولى للسيرة والفتوح : (ابن هشام ، الواقدي الخ ..) مثلما سبق أن استعملت في رواية الاحاديث والاحكام الفقهية في طورها الاول ، وهكذا يقع تقليب الرواية من عدة اوجه ، وقد يكون الاختلاف بسيطا او كليا في الموضوع الواحد حسب الاسانيد ، ولو الغيت العنعنة من الحساب واكتفى بأكثر الروايات تركيزا لكانت الكتب الاولى للتاريخ والسيرة النبوية اقل حجما بكثير مما هي عليه . غير أنه ليس من المعقول أن ننظر الى قيمة هذه الروايات بمقارنتها بالاساليب الحديثة في التاريخ، لان قيمتها الحقيقية من حيث الصناعة ، هي قبل كل شيء في شخص رواتها ومدى الثقة الموضوعة فيهم من النقاد . ولذلك ، فأقرب الاسانيد الى الحقيقة ، هي اصدقها وابرزها من حيث سلسلة رواتها ، وانما يتم الوصول الى ذلك في الغالب بصعوبة بالنسبة للباحث ، فكيف بالقارىء العادي ؟

اما الشعوب السامية التي يعد العرب من اقدمها ، فلم يقدم مؤرخو هؤلاء عنها الا ما اوردته قصص الانبياء المأخوذة في شكلها الموسع عن التوراة، ثم ما قدمته الرواية الفارسية .

واغلب مجتمعات البلاد المفتوحة في العصور الاولى للاسلام لم تنل عناية تذكر في معرض التاريخ الاسلامي لامد طويل بعد الفتح ، وعلى سبيل المثال لم يبدأ تجميع اخبار البربر الا في مصادر محلية ضاعت في جملتها ثم تخلفت المصادر التي استقت منها مباشرة كالبكري الذي يساهم كتابه المسالك والممالك في مادة التاريخ ، وتاريخ ابن خلدون الخ .

وبالمقابل ، فقد عرف العرب الكثير عن الفلسفة الاغريقية من غير أن يحظى الاغريق باهتمام تاريخي مركز . وعلى كل ، فيعد القرن الثالث الهجري مفتاحا للتعرف على تاريخ بعض الدول غير العرب بصورة اكثر توسعا . وفي التواريخ الاسلامية عامة ، انطلاقا من تاريخ الطبري ، يبدأ المؤرخون بذكر قصص الانبياء من عهد آدم ، ثم يتناولون اخبار بني اسرائيل وفارس والحياة الجاهلية عند العرب بصورة موجزة تكتنفها

الاساطير والثغرات ، واثر ذلك يبدأ تاريخ الاســـلام بالعصر النبوي ثم ما بعده .

وعلى عكس ما حدثفى دراسة الفلسفة الاغريقية من طريق الترجمة السريانية فان التاريخ غير العربى بالنسبة لما قبلالاسلام، استند الى الرواية الاسرائيلية والفارسية المعربة ، بالاضافة الى بعض الاخبار التى سجلها العرب مباشـــرة .

وبصورة مجملة ، فان التاريخ العربى ظل كمـــا هو اخبار دول وحوادث وشخصيات سياسيـــــة ، باستثناء محاولات محدودة ومتخصصة ، وذلك الـــى حلول القرن العشرين ، حيث بدأ التجديد تدريجيا فى كتابة التاريخ .

ولقد بقى العرب يجهلون كل ما حولهم تقريبا عن المجتمعات غير العربية الى ما بعد الفتوح بزمن طويل، فما كانوا معذورين فى عدم التعرف على الدول كوحدات تاريخية ولا فى عدم دراسة المجتمعات شكلا وارتباطا بالسلطة وتفاعل هذه مع تلك ، ان ما روي من اخبار الالهة وعبادة الشعوب القديمة لها انما هو تعليـــل جزئى لهذا الجهل الذي طالما دفع مؤرخى الاسلام الى الانسياق مع أساطير بنى اسرائيل والروايات الشفوية الشبيهة بها . ذلك ان تاريخ الفرس يزخر بالمعلومـــات التى تعرف اليها العرب عن المجوسية من مزدكيـــــة وما نوية وغيرها ، فما بالهم يجهلون كل شيء تقريباعن المجتمعات الوثنية الا ما ندر وتشتت ؟

لكن هناك علم الجغرافيا الذي أنقذ العرب من هذا التصور الفاضح فى تاريخ الشعوب والمجتمعات الكبرى فى العالم ، وقد سد هذا العلم فراغا عظيما فى التعرف على هذه المجتمعات ، ابتداء من القرن 3 ــ 9 على الرغم من أن الجغرافيا لا تعنى عادة بأحـــوال الماضى بصفة مباشرة .

ومن غير شك ، كان لجهل العرب باللغـــات السامية القديمة التى لم يتم التعرف على معظمها الا فى وقت قريب ، اثر لا ينكر فى عدم اهتمامهم المباشـــر بتاريخ الشعوب السامية ، وعلى وجه العموم ، فـــان العرب لم يعنوا باللغات الاجنبية باستثناء حركــــــة الترجمة فى عصر نهضة الحضارة الاسلامية ، والتـــى اسهم فيها علماء اغلبهم غير عرب ، واذا ، فاقتصار مؤرخى العرب فى اغلب الحالات على العربية ، مع استعمال الفارسية فى ظروف خاصة زاد من قصورهم فى التعرف على تاريخ الامم بما فيهم التى يهمهم فتحها أو التى فتحوها فعلا ، فان الجغرافيا على ما تسهم به من قسط عظيم فى تقصى احوال البلاد الاجتماعيةوالاقتصادية لا يمكن أن تقوم مقام دراسة مركزة للماضى البشرى واستخلاص النتائج العامة منه ، وبالمقابل ، فـــان الجغرافيا ، التى تحتفظ بخاصيتها كوصف للارض وما عليها من تضاريس وبشر وغيره ، تصبح مساعدا كبيرا على اغناء التاريخ كلما تقادم عليها العهد ، ومن ثم يكون من المؤسف ، أن افتقار العرب الى اللغات ، وكـــذا اهمالهم لتاريخ عدد من الشعوب ، قد حرمهم مـــن الاستفادة من المعلومات الدقيقة التى قدمها حنـــون وحيميلكون القرطاجنيان ، وهيرودوت الاغريقـــــى وآخرون ، وهى معلومات ذات قيمة كبيرة فى دراسة الاوضاع العامة للشعوب وخصائص المناطق التـــى تعيش عليها جغرافيا واقتصاديا .

غير أن بعض الاعمال العربية والاسلاميـــة فى ميدان الجغرافيا والرحلات لا تخلو من نقائص تؤكـــد قصورا فى معلومات اصحابها وتفاهة بعضها الاخر ، ولنأخذ مثالين بسيطين من معجم البلدان لياقوت (18) أولهما عن مكناس ، حيث يقول ، نقلا عن أبى الاصبع سعد الخير الاندلسى :

« ... وبالمغرب بلدة اخرى مشهورة يقال لهـــا مكناسة الزيتون ، حصينة مكينة فى طريق المار من فاس الى سلا على شاطىء البحر (!) وفيه مرسى للمراكب ومنها تجلب الحنطة الى شرق الاندلس » .

واين مكناس من شاطىء البحر ؟ !

ويبدو أن المؤلف لم يطلع على ما كتبه الادريسى وغيره .. و « معجم البلدان » يمثل مؤلفه اديبا لغويا أكثر منه جغرافيا . ويدل على ذلك النموذج الثانىالذي يتحدث فيه عن فندلاوة حيث يقول :

« أظنه موضعا بالمغرب ، ينسب اليه يوسف بن دوناس الفندلاوي » ، ثم يتحدث عن قدوم هذا الفقيه الى الشام واستشهاده فى الحرب ضد الصليبيين ، ولا نعلم شيئا عن فندلاوة او (فندلاو) جغرافيـــا ولا تاريخيا (19) .

ومهما يكن من منهجية الدراسات الجغرافيـــة القديمة ، فهى تفضل بكثير منهجية الاعمال التاريخية التى تعتمد على السرد والتسلسل السنوي فى مجملها

تلجأ الثانية الى التحليل والاستنتاج .

ومن امثلة التحريف ذات الاهمية القصوى على صعيد التاريخ العربى ما نسب اكثر من مرة الى يوسف ابن تاشفين من حقد على ملوك الطوائف ورغبة فى تصفيتهم لضم الاندلس الى ملكه ، ثم ما كان من موقفه من المعتمد بن عباد على وجه الخصوص . ولو ان ملوك الطوائف تنازلوا عن انانيتهم لالفوا دولة موحدة تواجه عدوان الاسبان عوض ان يتنافسوا فى التقرب اليهم ويترضوهم بالتنازل عن معاقل الاندلس وحصونها . ولو كان ليوسف بن تاشفين هدف شخصى لما عاش بمراكش متقشفا مثلما عاش من قبل بصحراء صنهاجة وفى المغرب من الارض والخصب والماء ما يزيد الف مرة عن حاجة الملثمين لو كان هدف ابن تاشفين أن يسد حاجاتهم من المطعم والمأوى والرفاهية .

وكان المعتمد يهمه فقط ، ان يبعد عنه خطر الزحف القشتالى وخطر جيرانه، وان يضيف الى مملكته الصغيرة مدينة او منطقة صغيرة اخرى ليتفرغ لعبثه ومجالس انسه . اما وقد تحالف مرة اخرى مع اعدائه السابقين من الاسبان وهم ايضا خصوم المرابطين اولياء نعمته ، فكان نفيه الى المغرب ، وبالذات الى اغمات وهى يومئذ مدينة خصب وعمران ، تكريما له واحسانا . والنظر فى مسالة سياسية وقومية من زاوية الادب والعواطف الشعرية على رقتها وما تحمل عليه من الم ، انما يجافى المنطق ، وعلى الخصوص منطق التاريخ الذي لا يتعامل مع الادب الا على اساس اعطاء ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

ارضاء مطامع شخصية او ميول سياسية

ان اقرب طريق لتحريف التاريخ أن يكتب من اجل تحقيق مطامع شخصية ، فان المؤرخ فى هذه الحال ليس من التستر على الحقائق كلا او بعضا . وفى احسن الظروف يغدق من الاطراء على المحاسن ، ولا يبالى

ان اقرب طريق لتحريف التاريخ ان يكتب من اجل تحقيق مطامع شخصية ، فان المؤرخ فى هذه الحال ليس يخلو من التستر على الحقائق كلا او بعضا . وفى احسن الظروف يغدق من الاطراء على المحاسن ، ولا يبالى بالمثالب والمآخذ . ولقد تدفع الاطماع ببعض الناس الى أن يتنكروا لكل المبادىء والقيم فى سبيل تزكية عمل تستنكره الجماعة . كما يحدث ان تتجاهل اختص قليل منهم بذلك .

ولقد كان الانتاج الفكرى فى الماضى قلما ينجح صاحبه فى الحصول على كسب مادي منه ، ولعل فرصة الكسب تتاح له اكثر اذا هو اهدى انتاجه الى شخصية مرموقة ذات مسؤولية كبرى، ونجد فى التاريخ الاسلامى والعربى كما فى غيره كتبا ورسائل عديدة كان فضل نشرها او وضعها يعود الى اشخاص من مستوى عال ومنها على سبيل المثال :

1 — الكامل لابن الاثير الذي وضعه المؤلف بأمر من الملك بدر الدين .

2 — قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندي الذي وضعه لرئيس دواوين الانشاء بمصر محمد الجهنى البارزي . والقلقشندي هو مؤلف « صبح الاعشى » الذي الفه أيضا باشارة شخصية لم يذكرها ووصفها بقوله : « اشار من رأيه مقرون بالصواب ومشورته عرية عن الارتياب » .

3 — الحلل السندسية فى الاخبار التونسية لمحمد السراج (ت. 1149 — 1736) . وقد الفه متقربا به الى حسين باي مؤسس الدولة الحسينية بتونس منذ 1117 — 1705 .

وهناك من الف لمجرد ارضاء رغبة تلقائية . وهكذا نجد ابن تغري بردي مثلا يؤلف « النجوم الزاهرة فى تاريخ مصر والقاهرة » ليستانس ببنات افكاره ويقول ببساطة المثقف النزيه : « ولم اقل كمقالة الغير ، اننى مستدعى الى ذلك من أمير أو سلطان ، ولا مطالب به من الاصدقاء والاخوان ، بل الفته لنفسى ، وأينعته بباسقات غرسى ، ليكون لى فى الوحدة جليسا ، وبين الجلساء مسامرا وانيسا » .

وقد لا يكون من الخير أن يؤلف الانسان لنفسه فيذيب بذلك رؤية الناس فى رؤياه ويعتزل العالم الخارجي ليتجرد لعالم من خلق اوهامه ، ولكن مبدأ ابن تغري بردي يظل على كل حال أحسن من خدمة الفكر لغير الفكر .

وليس كل ما الف لحساب الخواص محرفا ، كما أن كل ما انتج لخدمة المعرفة وحدها قد لا يخلو من نقائص ، ولربما من تحريف هو الى الخطا اقرب . وهكذا يمكن أن نضع كتاب « المعجب » لعبد الواحد

المراكشي ضمن الفئة الاولى ، فقد انجزه بناء على طلب من احد وزراء البلاط العباسي ببغداد ، بعد ان القى عصا الترحال هناك . وكل باحث في تاريخ المغرب، وحتى القارىء العادي يمكن ان يكتشف في هذا الكتاب روح التجرد التي خلا منها كتاب البيدق عن مصرع الدولة المرابطية وقيام الموحدين. وهو قد سبق المراكشي بنحو ثلاثة ارباع قرن .

وكان من اوائل المؤرخين الذين ادركوا ما يطفح به التاريخ من اضاليل واباطيل مؤرخ من القرن الرابع ـ العاشر م ، وهو مطهر بن طاهر المقدسي الذي ينسب كتابه : البدء والتاريخ خطأ ، الى احمد بن سهل البلخي الجغرافي الذي توفي قبله . وقد حمل مطهر المقدسي بشدة على « المتطفلين على التاريخ والمشوهين له من ارباب القلانس واصحاب المجالس الذين طلبهم العلم لا لله ولا لانفسهم ، ولكن للتصدر والتقدم ، فهم يأخذونه من غير مظانه » ثم ندد بتأثير هؤلاء على الطبقة الشعبية ، حيث « شحنوا صدورهم بترهات الاباطيل ، وضيعوا نفوسهم بالاسمار والاساطير ، فهم الى كل ناعق سراع ، وعن كل ذي حق بطاء ، وللمتبع متعرضون ، وعن الواجب معرضون . المحق فيهم مبطل ، والمدق ملحد ، والمخالف لهم متهور ، والناظر مهجور ، والحديث لهم عن جمل طار ، اشهى اليهم من الحديث عن جمل سار ، ورؤيا مرية ، آثر عندهم من رواية مروية ... فهذه الخطة كانت سبب حرمان العلم وتهجين اهله وفوت الحظ واستحقاق الخذلان ، والتوسع للطاعن في اللين، وتسهيل القادحين بالصخب والشغب ، والشنعة ورد العيان وجحد البرهان .. ويأبى العلم أن يضع كنفه أو يخفض جناحه أو يسفر عن وجه الا لمتجرد له بكليته ، ومتوفر عليه بأنيته ، معان بالقريحة الناقبة ، والرؤية الصافية ».

والجدير بالذكر ان كتاب « البدء والتاريخ » الف ايضا بأمر شخصية كبيرة لم يذكر اسمها المؤلف ، وانما تتجلى اهمية علمها فيما اشارت به من تصفية التاريخ الاسلامي والعقيدة الاسلامية من الاساطير والشوائب في وقت مبكر ، ما كانت العقيدة ولا التاريخ الاسلامي قد حملا ما حملاه من افراط في التشويه والتنقيص . ولذلك كان على مطهر بن طاهر (20) ، ان يصنف كتابا « مهذبا من شوائب التزيد ، مصفى عن سقاط الغسالات وخرافات العجائز وتزاوير القصاص وموضوعات المتهمين من المحدثين » .

اما الميول السياسية التي تحدو بالكاتب والمؤرخ الى الاسهام في تزوير التاريخ وتضليل القراء والجماهير تبعا لذلك ، فتتجاوز في مدلولها وغاياتها النزوات الشخصية والشهوات المادية التي نجدها عند المداهنين بأفكارهم . نعم ، منذ كان للمجتمعات والامم سياسة حول نفسها او غيرها وهي تخطىء او تصيب ، لكن ، عندما تصبح الاخطاء مقصودة او تصير ضررا على الشعوب المغلوبة والمحكومة ، فان المؤرخ مهما كان من وضعيته لا يليق ان يساير في هذه الحال ميوله السياسية الخاصة ، ان كانت له ميول فعلا ، فان من شأن هذه المسايرة تغطية الحقائق وبالتالي ، اسهام المؤرخ في صنع اجيال مضللة اذا لم تتفق نزعته مع الحقيقة .

وهكذا تنتهي الميول السياسية والرؤيا الحزبية او المذهبية غير الواعية الى تجزئة دروب التاريخ والاقتصار منها على ما يوصل الى نقط واهداف محددة مذهبيا ومبدئيا ، ثم الغاء الدروب الاخرى التي قد تكون اضمن السبل لسلامة الهدف ، ومن ثم ، فان الشيوعي المتطرف ، لا يرى في الدين وتراثه الا عرقلة للتقدم وسرعة التطور ، والمتدين المتعصب لا يرى في الاشتراكية الا سبيلا للكبت والضغط الفردي والجماعي ودعوة منهجية للالحاد ، والراسمالي يتحمس للملكية والليبرالية والاحتكار ، ويتضايق من هذا وذاك ، وتقع الاجيال الصاعدة ضحية للتطرف في كل شيء : من قبل ضللها الغالون في الدين حتى ما تركوا فيها عرقا ينبض بالتطلع والحيوية والخلق ، وجاءت راسمالية العصر الحديث لتصنع منها ادوات لعبادة المال وتربيته ، وضد الفريقين وقفت الشيوعية المتطرفة تحطم القيم وتعبد في كتبها وصحفها اولئك الذين انقذوا الطبقة الشعبية من الاستغلال ثم اصبحوا قديسين واولياء تفرض افكارهم طوعا وكرها . وقامت الليبرالية بما ارتكزت عليه في العديد من اقطار العالم ، من احتكار واستغلال للفئة الضعيفة لتطبق نفسها في كل شيء : في السلوك الاجتماعي والاخلاقي ، وفي التعامل الاقتصادي والضغط السياسي .

ومن اجل كل هذه النزعات المغالية نشأ الانحراف العقائدي الذي سيكون موضوع فصول لاحقة فكيف نفسر أحداث التاريخ تفسيرا نزيها مجردا اذا كان المؤرخ يحمل فكرة مسبقة تجعله ابنا روحيا لهذه الفئة أو تلك من المجتمعات الانسانية أو الاقليات المهيمنة ؟

ان اهم اسباب تحريف التاريخ السياسي بصورة خاصة ، ان تلغى من الاعتبار ، الصراعات الطبقية كعامل اساسى فى صنع الاحداث وتكييفها . وعندما نزكر الصراعات الطبقية فالمقصود هنا كل صبغة للصراعات ، دينية او سياسية او مادية . فالصراع الطبقى موجود منذ فجر تاريخ المجتمعات الانسانية ،وظهور شعوب جديدة على مسرح الاحداث وانقراض اخرى ، وتعاقب الدول على الحكم ، وظهور مذاهب مختلفة فى السياسة والدين ، انما هى مظاهر من الصراع الطبقى الذي لم يكن ماديا باستمرار . فالديانة الموسوية نشأت فى وقت تعرض فيه معتنقوها للقهر والضغط ، وهم فى اغلبيتهم فقراء ، شأن اتباع كل عقيدة فى البداية او بوجه عام ، ولكن الطبقة الفقيرة ظلت كذلك امدا طويلا حتى بعد ان نعمت بأرض الميعاد ، بل ظلت قبائل رحلا ولم تتخل عن دينها ولما حل المسيح بين اليهود اتبعه فقراؤهم املا فى الخلاص من قهر الرومان ، وبقى المتمسحون فقراء ولم تتغير احوال اخوانهم الباقين على اليهودية الا بعد طردهم من ارض الميعاد ، فتوزعوا بين الاقطار يشتغلون بالكسب ويحتكرون المال والتجارة حيثما حلوا ، فلم يكن المحرك المادي فى هذه الحالة الا نتيجة حدث ، ولم يكن سببا لتشخيص الصراع الطبقى . وقد مرت تسعة عشر قرنا قبل ان تخذ الصهيونية طريقها الى الوجود ، وقبل ان تنشأ فكرة العودة الى فلسطين. نعم ، بعد تسعة عشر قرنا كان النشاط المالي لليهود وليس لصراعهم الطبقى اثر فى قيام حركة سياسية مشبوهة لصالحهم ، واذا اعتبرنا الصراع المادى هو الذي أوصل اليهود الى الاستيلاء على فلسطين فيكون صراعا معكوسا ، لانه صراع اغنياء راسماليين كبار ضد ملاك ارض فقراء متواضعين هم العرب ، واذا جردنا الفكرة الدينية من الحساب ، فهذا سلوك استعماري يماثل استيلاء البيض على جنوبى افريقيا ، او الهولنديين فيما سبق على اندونيسيا .

وهكذا فمن الخطا ان تنسب الثورات والحروب القديمة الى عوامل مادية لمجرد ان طرفا يواجه آخر. ولا يصح النظر بعقلية العصر الحديث الى عقلية شعوب العصر القديم . فكما ان مفاهيم الحضارة تتغير من عصر لآخر ، يقع التحول كذلك فى مقاييس الحكم والرؤيا ولا تعمم الا المبادىء الاساسية التى لا يمكن ان تقوم فى عصر دون عصر .

ان الصراع الطبقى ينشأ فى النهاية عن اسباب مجتمعة أو متفرقة .

1 — اسباب دينية او عقائدية

2 — اسباب ماديـة .

3 — اسباب اجتماعية

4 — اسباب سياسيـة

ويبدا الانحراف فى الدين او العقيدة عندما يضعف الوعى الدينى فى القاعدة والقيمة ، وينطلق الصراع الديني او العقائدي عندما يختط فرد او فئة منهجا جديدا للدين او العقيدة ، يختلف عما الفه المجتمع ، او حالة شعور طبقة او مجتمع بمساس لعقيدته ، فيلجأ الى الصراع ضد الجانب الذي نسب اليه هذا التصرف ولا جرم ان احداث الصراع الدينى من هذا الصنف او ذلك تطفح بها صفحات التاريخ ، كصراع البروتستانت ضد الكاثوليك وصراع الرسول صلى الله عليه وسلم ضد المشركين، وصراع المسيحية والاسلام ضد الوثنية .

والاسباب المذهبية قد تكون مزيجا من الدين والسياسة وغير ذلك . وقد يكون المذهب مجرد طريقة فى الحياة لا تتفق مع الاعراف المالوفة ، ولكنها تمثل فى حد ذاتها ثورة حتى ولو اعتبرت منحرفة كما هو الشان فى « الهيبية » (بياء مثلثة) ، وان هى الا تعبير عن صراع مسالم فى الاصل ضد مظاهر الحضارة المصطنعة لكن من صراع المذهب ما يتطور الى حروب حقيقية تفنى فيها نفوس بريئة . وهكذا كان الصراع بين الشيعة وخصومهم ، فهو صراع يستند الى اسس من الدين، او هكذا يرتئى الشيعة على الاقل . واذا فقد الشيعة الحكم والسلطة ، وبالتالى وضع أيديهم على مصادر الثروة ، فان الدين وحده بقى رائدهم فى العقيدة والمعاملات ، اي ان ابتعادهم الجبري عن السياسة لم يضع حدا لعقيدتهم .

وتاخذ العوامل العقائدية حيزا كبيرا فى الحركات الثورية عبر التاريخ ، فهى من الاسس الكبرى فى قيام حركة الخوارج بالشمال الافريقى ، وحركة الموحدين ضد المرابطين ، وقيام الثورة الفرنسية والحركة الوهابية وغيرها . نعم ، قد تساير هذه العوامل العقائدية دوافع سياسية او مادية ، ولكن هذه لا تنفرد وحدها كعامل رئيسى الا فى احيان قليلة جدا . ذلك أن الشعوب كانت تضحى بكل شيء، حتى بأموالها ومستقبلها او دمائها فى سبيل العقيدة والدين ، وهما ذوا خطر بالغ فى ماضى الامم عامة .

لكن الاعتبار المادي في مصائر الجماعات البشرية يجد مظاهر قوته في الحروب القديمة كما يجدها في الصراعات الداخلية الحديثة . ولو استعرضنا الكثير من الحروب والثورات الداخلية لوجدنا العامل والهدف المادي فيها يختلف ضعفا وقوة ، وانفرادا او ارتباطا بعوامل واهداف اخرى :

1 — ان الحروب التي قادها اسكندر المقدوني انطلقت بدافع توحيد الشعب الاغريقي قبل ان تتحول الى رغبة جامحة في التوسع شرقا وغربا ، وتمازجها عوامل الطموح الشخصي والعمل على تحطيم الامم القوية كالفرس ، ثم تنتهي بالاستفادة من الغنائم ، وخلق حضارة مطبوعة بالطابع الشرقي . ان العامل الاساسي هنا غير مادي بتاتا .

2 — نشأت الحرب البونيقية الاولى بين الرومان والقرطاجنيين بناء على طلب نجدة من بعض المدن الصقلية في حرب اهلية داخلية ، وادى تدخل الرومان الى الاصطدام بالقرطاجنيين الذين كانوا يتركزون في شواطىء صقلية غربا ، ثم امتد الصراع يتخذ طابعا ستراتيجيا وعسكريا واقتصاديا .

3 — قامت الثورة الاسلامية ضد الشرك ، ومن اجل اقرار وحدانية الله وتنظيم الحياة الانسانية في شتى المجالات .

4 — قامت الحرب الصليبية وتطورت لاسباب دينية قبل غيرها .

5 — كانت حركة الاسترداد في اسبانيا لدوافع دينية اولا ، ثم وطنية ثانيا

6 — ان الحركات القومية خلال القرن التاسع عشر ، والتي تمخضت عن صراعات دموية ما هي الا ثورات ذات طابع سياسي وطني .

وفي كل هذه الحروب والحركات كما في غيرها نجد الصراع المادي ليس له الا مظهر ضعيف ، لان الهدف المادي لم يكن مخططا له ، وليس الامر يتعلق بصراع طبقة فقيرة تهدف الى اسقاط طبقة اخرى لاعادة توزيع الثروة .

وللعوامل الاجتماعية في الصراع الطبقي دور كبير قد يشمل مصير مجتمع بكامله ، فان اختلاف الجنسيات والقوميات قد يهز كيان الوحدات الاجتماعية الكبرى اذا لم تسده ديموقراطية حقيقية في التسيير . والامبراطوريات الاستعمارية لم تنجح في المحافظة على كيانها الامبراطوري لهذا السبب ، وكذلك استفادت الحكومة العراقية من تجارب واخطاء الحكومات السابقة فيما يعود الى سياستها نحو الاكراد ، فحلت من المشكلات والقضايا منذ سنة 1974 م ما لم تستطع حله قبلها ، كما ان التفتح الذي ابدته الدولة العباسية تجاه القوميات ذات العصبية القوية في ظل الاسلام ، ادى الى نتائج تفوق في ايجابيتها ما حصلت عليه العصبية الاموية المتشددة .

وانما تم اسقاط الدولة الاموية بفضل تحالف العصبية الفارسية مع الاسرة الهاشمية وانصارها من العرب

ولا جرم ان الدوافع السياسية تحرك بقدر كبير ، شعوبا وافرادا لتغيير مصائرها ومواقفها تجاه شعوب وامم اخرى . كذلك يحدث الصراع الطبقي في اطار الموقف السياسي داخل البلد الواحد ، بل داخل الحزب الواحد ، من اجل تحقيق مبادىء جديدة قد تكون اكثر او اقل ثورية .

ان المؤرخ الذي ينظر من زاوية واحدة عند تحليله لمعالم تطور الشعوب وتحقيق ذاتيتها كمن يفترض ان ظروف الزمان والمكان لا تتغير ابدا ، ومن باب تحريف التاريخ حتما ، ان تستهين بمسيرة الشعوب وزحفها ضد الهيمنة والاستغلال ، كذلك فان من باب تحريف التاريخ ان تتخذ من كل حركة جماعية منطلق خير . اليس تستغل جماعات او شعوب غير واعية في حركات يقودها افراد همهم بالذات ان يمارسوا استغلالها بطريقة او باخرى ؟ ... ان هذه مسالة تحتاج الى تفصيل اكثر في الفصل التالي

تعليقات :

1) راجع ما كتبه حول هذا الموضوع : فؤاد محمد الصقار في كتابه : دراسات في الجغرافيا البشرية ، ص 83 — 94 . وهناك دراسات كثيرة في هذا الباب.

2) توجد بلدان بافريقيا الغربية التي تعد مجتمعاتها من اعرق الشعوب حضارة ، بدون تاريخ وطني مكتوب حتى يومنا هذا . ونطرح هنا ، العروض السطحية والمصورات السياحية والكتب المدرسية .

3) De landelyn, Histoire universelle, p. 171

4) وقد تولى الامبراطور سيفير هذا من 193 — 211 م
Boulanger , Histoir abrégée de l'Eglise , p , 34

5) Simon Doubnou, Précis d'histoire juive, p. 129 وانظر عن موقف فالنتيان الاول
De landelyn, Op. Cit, p. 197

6) Julien Vinson, les religions actuelles, pp. 263 - 264

7) Op. Cit, p. 291

8) Simon Doubnou, Op. Cit, pp. 142 - 144

9) بقطع النظر عن تعاليم الاناجيل وهي اكثر من غيرها اقناعا في الموضوع يمكن الرجوع الى الدراسات المقارنة للاديان . انظر مثلا : Julien Vinson, les religions actuelles, pp. 371 - 372

10) Op. Cit, pp. 388, 402, 403

11) مطهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج 4 ، ص 125 .

12) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص 27 .

13) م. س. ص 32

14) ن. م. و ص

15) ن. م. ص 217

16) ابن الاثير ، الكامل ، 2 ، 150 .

17) بالنسبة لفكرة التفوق الجرماني فقد عبر عنها هتلر في كتابه : كفاحي الذي اظهر موقفه من اليهود بوضوح . وانظر ايضا : J. Bouillon, le monde contemporain, pp. 632 - 633
وبالنسبة للعنصرية الصهيونية ، راجع : يوري ايفانوف ، احذروا الصهيونية ، ص 130 ، 131 .

18) ياقوت اديب بيزنطي الاصل ، من رجالات القرن 7 — 13 .

19) ذكرها الادريسي ومؤلف روض القرطاس ، او فندلاوة ، حصن وقبيلة بنواحي صفرو بالمغرب ، انظر د. مختار عبادي والاستاذ ابراهيم الكتاني اعمال الاعلام ، 3 ، 192 .

20) مطهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، 1 ، 5 .

ابراهيم حركات

● يهم « دعوة الحق » أن تؤكد لقرائها أنها غير متفقة مع الاستاذ ابراهيم حركات فيما أورده من آراء في بعض القضايا المتعلقة بتفسير التاريخ الاسلامي و « الصراع الطبقي » و « حتمية التاريخ » . وتطرح المجلة موضوع الاستاذ حركات للمناقشة.

« دعوة الحق »

في الذكرى الرابعة لحرب رمضان / اكتوبر :

سقوط الحصون المعاصرة

للأستاذ حسين أحمد العليمي

« لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدور » .

صدق الله العظيم (سورة الحشر ـ الاية 14)

هذا واحد من اسس القتال عند الاسرائيليين كما يصوره القرآن الكريم فى بلاغة وايجاز . انهم لا يقاتلون الا مستعينين بالحصون المنيعة ، ولا يقاتلون الا من وراء الاسوار الحاكمة . لماذا ؟ لانهم لا طاقة لهم بمواجهة أعدائهم ، حيث تعنى المواجهة المجردة بين الخصمين ان الشجاعة والعوامل الشخصية عند كل مقاتل هى صاحبة القول الفصل فى تحديد المنتصر والمغلوب .

اذا ترك الامر لعوامل الشجاعة والصبر والجلد والبطولة والفداء ، فالاسرائيلى هو الخاسر لا محالة ولهذا نراهم فى قتالهم دائما يعمدون الى موازنة انعدام تلك المتطلبات عندهم بايجاد عوامل اخرى . انهم يلجأون الى الحصون المنيعة والاسوار العالية فنيها يجدون من الحماية والمنعة ما عز عليهم ان يجدوه فى نفوسهم المنهزمة .

انه أسلوب قديم قدم وجودهم ذاته . لقد تحدث عنه القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان .

وفى عصرنا الحديث ، كان خط بارليف وخط الون هما النموذج المعاصر لهذا الاسلوب الاسرائيلى .

كان الخط الاول يحمل اسم القائد الذي تولى انشاءه ، وهو الجنرال بارليف ، رئيس هيئة الاركان العامة الاسرائيلية . وقد قدرت تكاليف بنائه على طول قناة السويس بمئات الملايين من الدولارات . ووصفته بعض الدوائر العسكرية الغربية بأنه خط لا يقهر ، ووصفته دوائر أخرى ـ فى الغرب ايضا ـ بأنه الخط الذي لا يمكن تهره بقنبلة ذرية . واشاد قادة اسرائيل بمناعته وقالوا انه لا يمكن اختراقه بأي شكل من الاشكال .

وقد كانت فكرة بارليف فى انشاء هذا الخط تقوم اساسا على حجة سياسية مفادها : انه لا يجب أن يحصل المصريون على موطىء قدم واحد فى سيناء ، ويجب الحيلولة باي ثمن دون وصول المصريين الى الضفة الشرقية لقناة السويس .

وبدأ انشاء الخط فى عام 1967 عقب هزيمة يونيو . وفى مبدأ الامر لم يكن يزيد على بضع حفر مغطاة بقضبان حديدية مقوسة تركها الجيش المصري فى المنطقة اثناء انسحابه . وكانت هذه الاقواس الحديدية مغطاة بأكياس الرمل وكتل الحجارة . وبدات هذه الحفر تتضخم تدريجيا حتى تحولت الى مواقع محصنة بحواجز رملية ، ومسقوفة بقضبان انتزعت من السكة الحديدية المصرية فى سيناء ، وبأطنان من الرمال والحجارة .

**

وقد استخدمت فى بناء الخط عشرات من الجرارات والجرافات والمعدات الثقيلة الاخرى ، وجلبت من شمال اسرائيل بواسطة آلاف من عربات النقل كتل من الاحجار ، وضعت فى شباك من الحديد لاستخدامها فى بناء طبقات متتالية فوق الغرف . وقد عرفت هذه الطبقات باسم « طبقات التفجير » ، وكان الهدف من طبقات التفجير هذه والتى بلغ سمكها بضعة امتار الحيلولة دون نفاذ قذائف المدفعية الثقيلة الى الداخل . واستخدم الاسرائيليون المدفعية الثقيلة التى غنموها فى حرب يونيو 1967 لاختبار قدرة الصمود فى طبقات التفجير .

ومع مرور الشهور كان قد تم تطوير هذا الخط بعد أن انفقت عليه مبالغ هائلة . وشقت الطرق الجديدة المؤدية الى التحصينات ، وزيد من ارتفاع الساتر الرملى على طول القناة ، وحفرت فيه مراكز للدبابات .

وقد اقيم خط بارليف فى تصميم مستطيل يغطى منطقة المواجهة ، فى تحصينات متكاملة بنيت كمجموعات على صورة قبضات محكمة . ليكون فى امكان كل منها تغطية الاخرى ومساندتها . وقد احيطت النقاط القوية من كل اتجاه بحواجز قوية من الاسلاك الشائكة والالغام وبمختلف وسائل الانذار .

كما درب الجنود فى النقاط الدفاعية على العمل كمراقبين ارضيين مساعدين للطيران لتسهيل التعاون بين النقاط القوية والدعم الجوى المباشر لها .

كان المقاتلون فى التحصينات مزودين بقوة كبيرة من النيران ، يمكن تشغيلها وادارتها بواسطة عدد قليل من الرجال ، وكان هناك اكتفاء ذاتى للجنود من الناحية القتالية يمكنهم من الصمود فى وجه قوات متفوقة لمدة اسبوع كامل ، مما يسمح تماما للقوات الاحتياطية بالوصول والتعزيز والسيطرة على الموقف .

**

وكانت اماكن الاقامة للجنود داخل المواقع محصنة . وكانوا ينامون على اسرة من طابقين كما هو الحال فى ممرات السفن . وكانت عندهم كل احتياجاتهم من المطابخ وخزانات المياه المثلجة ووسائل الاتصال الهاتفى المباشر باهلهم وذويهم فى تل ابيب اسرائيل .

كانوا يعيشون فى ظروف ترف لا تختلف كثيرا عما الفوه فى حياتهم المدنية ، فكانت هناك فى كل حصن آلة عرض سينمائية ، وفى كثير منها كانت هناك نواد مجهزة بأدوات رياضية لممارسة بعض العاب القوى وكرة الطاولة وكرة السلة والكرة الطائرة . وكان الفنانون والمحاضرون يزورون التحصينات كل أسبوع ليلتقوا بالجنود وينقلوا الحضارة والثقافة اليهم .

**

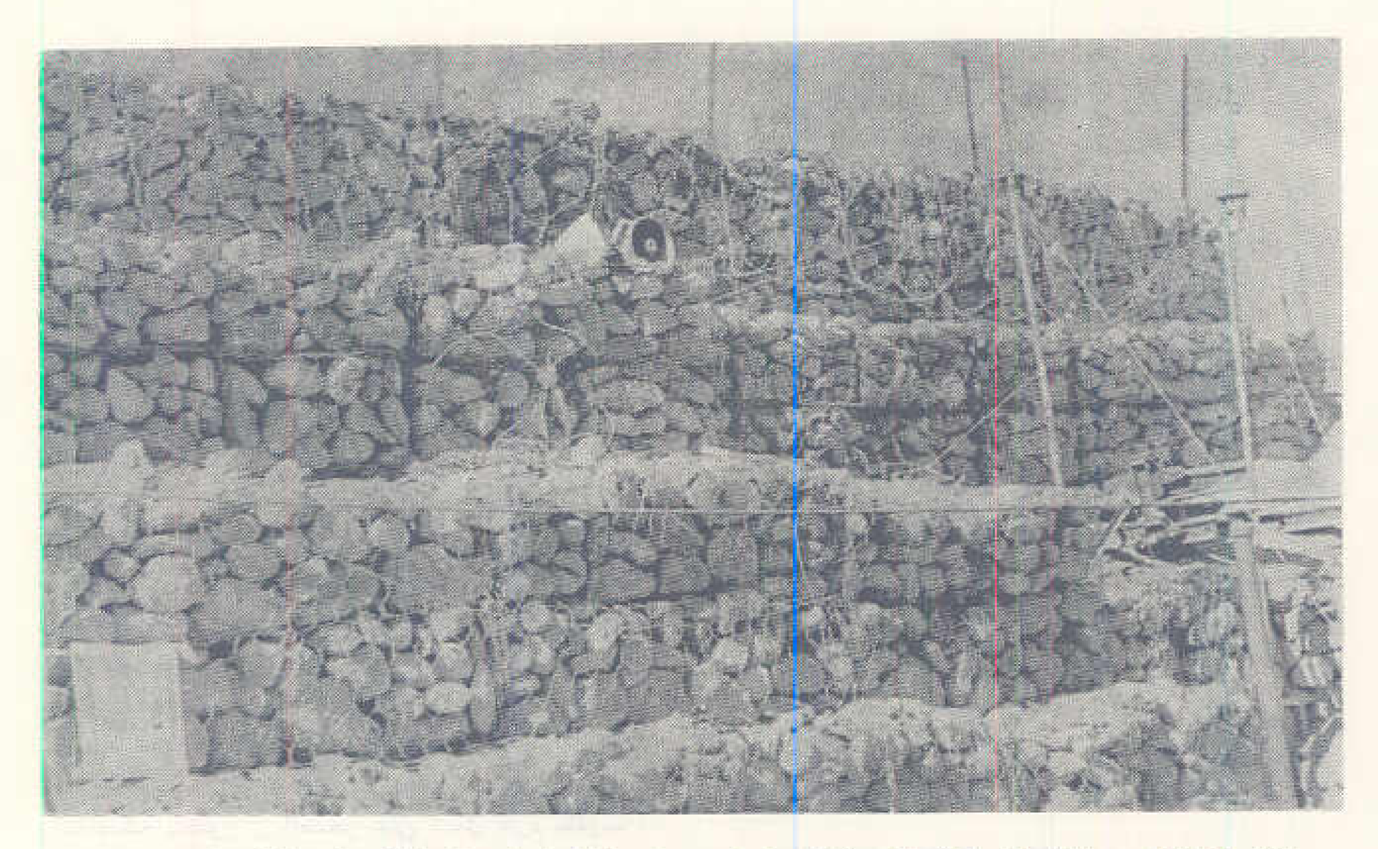
الجبهة السورية :

تتكون منطقة الجولان من أراض بركانية كثيرة الهضاب والاودية ، ومعظم ارضها مغطاة باحجار بركانية مستديرة ذات احجام مختلفة ، تعوق كثيرا من تقدم الدبابات والاليات فوقها ، لا سيما وأن الطرقات المعبدة فى المنطقة قليلة ، وبخاصة فى تلك المناطق التى تغطيها الاحراج .

فى هذه المنطقة المعروفة بوعورتها الشديدة ، اقام الاسرائيليون انواعا اخرى من التحصينات . وقد عرفت أنساق تحصيناتهم فى الجولان باسم « خط آلون » .

كان خط آلون فى الجولان يتألف من ثلاثة انساق متتالية من التحصينات :

1 — خندق مضاد للدبابات عرضه ستة امتار وعمقه ثلاثة امتار ، مع ساتر خارجي ارتفاعه اربعة



آلاف الاطنان من قطع الحجارة الكبيرة تم جلبها من اسرائيل لعمل هذه التكسيات فوق الحصـــون ، وقالو انها من السمك بحيث تكفي للوقاية من القنبلة الذريـــة



منظر خارجي عام لاحد الحصون فى خط بارليف .. كانت حصونا منيعة حقا ولكنها لم تكن مانعة من الله، فقد داهمها المقاتلون المؤمنون وشعارهم : ((الله اكبر))

امتار ومجهز بالالغام . وبهذا يكون العمـــق الاجمالى للخندق عشرة امتـــار .

2 ـ خط محصن وراء الخندق ، يحتوي على ما يقرب من خمسين نقطة حصينة . وكانت هذه النقط كلها مسلحة ومجهزة بأسلحة مضادة للدروع . اما الخط بأكمله فكان محميا بصواريخ أرض/ جـــو .

3 ـ مواقع محصنة فى العمق (اي الى الخلف اكثر) تسد الممرات الصالحة لتقدم الدبابات .

وفوق الجولان انشا الاسرائيليون مرصـــــدا اشبه بالقلاع الرومانية القديمة . كان مشيدا كله من حجارة البازلت المقطوعة من صخور الجبل ذاتـــه ، الحجر طوله متر ، والجدار على شكل مدرجات وزوايا حادة بحيث يصعب على اي قذيفة أن تحدث اضرارا مباشرة به ، اما السور الخارجي فعرضه ستـــة امتار بالاضافة الى ثلاثة امتار من الاسمنت المسلح . والبناء كله محفور فى الصخر على شكل هرم مقلوب .

***

هذا العرض ـ على اسهابه ـ مختصر فـى وصف التحصينات التى اقامها الاسرائيليون علـــى جبهتى القناة والجولان . لقد كانت تلك الحصون تمثل بالنسبة للاسرائيليين منبع الامن والامان ، وكانت امام العرب رمزا للتحدي .

اطمأن الاسرائيليون الى حقيقة وجودهم علـى الخطوط الجديدة التى كانوا قد وصلوا اليها عشية حرب يونيو 1967 . اطمأنوا حتى لم يعد يخالجهم ادنى خوف من احتمال التعرض لهجوم مباغت مـن جانب العـــرب .

« وظنوا انهم حصونهم مانعتهم من اللـــه »

فماذا حـــدث ؟

قد تختلف وجهات النظر وتعدد حول تقييم النتائج العسكرية النهائية لحرب رمضان / اكتوبر بين العرب واسرائيل . ولكن ستبقى هناك حقيقة لا تسمح بأي خلاف حولها : فى ذلك اليوم الاغر ، العاشر مـن رمضان 1973 ، انطلق جند الله وشعارهم « اللـــه اكبر » ، فكان ان بوغت الاسرائيليون بما لم يكـن عندهم فى الحسبان .

لقد ران عليهم من الصلف والغرور ما حال بينهم وبين توقع اي مواجهة مع العرب او عمل اي حساب لها . « فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعـــب » .

حقا لقد اتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، فدكت حصونهم وأسرت جنودهم وشتت شملهم ؟

اتراهم كانوا يحتسبون شيئا مما حدث فى ذلك اليوم ، حين اخلدوا الى الطمأنينة خلف حصونهـــم وأسوارهم ، آمنين من كل خطر ، حتى ولو كان خطر القنبلة الذرية على حد زعمهم هم ومن والاهم ؟

أم تراهم كانوا يحتسبون لمثل تلك المواجهة مع العرب ، يبدؤها العرب بمبادرة منهم ، ويقف فيهـا المصري مع السوري مع المغربي والسعودي والاردنى والعراقى والسودانـــى ؟ ؟

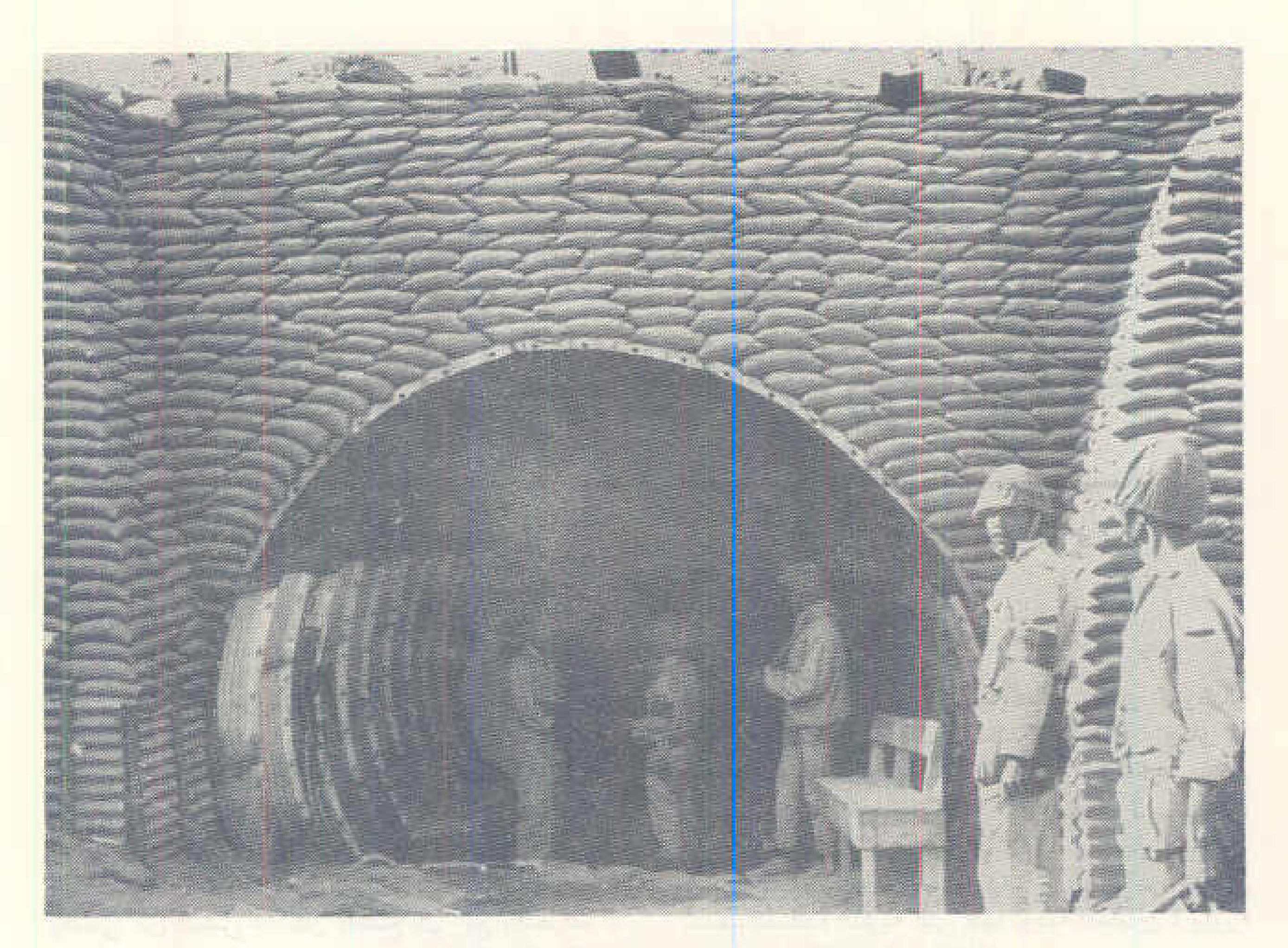
ولناخـــذ مثالا مـــن المغـــرب :

لقد كانت القوات المسلحة المغربية تقف جنبا الى جنب مع القوات السورية منذ يونيو / حزيران 1973 اي قبل المعركة بأربعة شهور . وعندما بدات المعركة اعلنت حالة التاهب العام فى الجيش المغربى وفتحت مراكز التطوع أمام المغاربة فى جميع انحاء المغـــرب للمشاركة فى معركة الشرف ، وارسل المزيد مـــن القـــوات .

وقد اثبتت القوات المغربية ، بمدرعاتهـــــا وآلياتها ومدفعياتها والالاف من جنودها ، شجاعـــة نادرة وكفاءة عالية فى القتال . وسوف يأتى وقت تخرج فيه أعمالهم الى النور ، ليعرف القاصى والدانـــى أن الدماء العربية المسلمة الزكية سالت واختلطـت ببعضها من اجل قضية واحدة للعرب اجمعين .

ان هذا الكلام لا يعنى تجاهل ادوار الجيوش والدول الاخرى ، فلكل منها صفحة من نور سجلهـــا له التاريـــخ .

ولكنى حين ضربت بالمغرب مثالا فقد اردت من ذلك ان اقول : ان المسافات قد تتباعد بيننا وبـــين



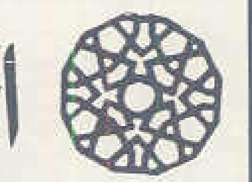
صورة لمدخل احدى النقاط القوية الاسرائيليــة

اخواننا المطلين على المحيط الاطلسى ، ولكنهم هناك فى المغرب العربى ــ نعم ، العربى أصلا ومنبتــا ، وحضارة وثقافة ، وعقيدة وشريعة ، ولغة وقرآنا ــ يتجاوبون بغير دعوة رسمية مع كل خاطرة وكل ملمة فى أي رقعة اخرى من ارض العروبة والاسلام ، رغم كل الدعاوي المسمومة التى تحاول جهدها ان تجعل بيننا وبينهم سدا . ولعلى اعود الى هذا الموضــوع باستفاضة اكثر فى مناسبة اخرى ان شاء اللــــه تعــالـــــى .

سقط خط بارليف على جهة قناة السويس فى مصر .. وسقط خط الون على جبهة الجولان فى سوريا وكانا يمثلان رمزا صارخا للتحدي أمام الارادة العربية ولكن الارادة العربية ــ حين توحدت ــ كانــت على مستوى التحدي واكثــر .

وكان شعار المقاتلين « الله اكبــر » . فأعظم به من شعار دانت له اعتى الحصون .

الشاعر الانساني



أحمد الصافي النجفي

للأستاذ محمد بن محمد العلمي

كان يدعى شاعر التشرد فى المقاهى وعلى الارصفة لانه ضاق ذرعا بزمانه ومتناقضاته والوان التمزق التى تنخر كيانه فى السر والعلانية . كان أكبر من زمانه بكثير ، بحيث حباه الله من صفاء الضمير ، ونبل القلب ورحابة الافق ، وقناعة الوجدان . ما جعله يزدري اللذات الزائفة ، ويعزف الا على ما فيه الكفاف والعفاف والغنى عن الناس . . كان يفضح كل زيغ وانحراف ، ويشهر بكل اعوجاج وخروج عن سنة الصفاء والنقاء والبساطة والتواضع . وكان شديد الايمان بالحياة البدوية البسيطة التى ترى أن الانسان مهما بلغ ، ومهما طغى وتجبر ، ومهما ملك واختزن ، فانه لا يعدو أن يكون حفنة تراب ، فيجب أن يتواضع للارض التى منها خلقه الله ، وسوف يعود اليها ، وسيخرجه منها تارة اخرى ليحاسبه على افعاله واعماله ، خيرا كانت أم شـرا .

هذا هو الشاعر الفيلسوف الذي كان من رواد مقاهى البرج وساحة رياض الصلح ، وبالاخص مقهى — الهافانا — بدمشق الفيحاء . انه ذلك البدوي الذي كان يجلس القرفصاء أمام قدح الشاي ، متأملا تارة وناثرا على جلاسه شذرات فى شعره الانسانى الرفيع لقد غاب عنا مؤخرا ، والى الابد ، فى العراق مسقط راسه ، بعد أن قضى معظم سنين حياته شريدا تائها فى دمشق وبيروت ، زاهدا فى الدنيا ومباهجها ومفاتنها يقنع بالقليل ، ويترفع عن الدنايا والشوائب والاوصاب والتفاهات والترهات . لقد كان نحيلا فى رهافة السيف ، يلبس ثوبا فضفاضا كعقله الكبير ، وخياله المجنح الواسع ، واحلامه المخملية العطرة . وكان ذا راس حليق ، كأنه يرمز به الى شمولية تفكره على جميع اصقاع الكرة الارضية . انه معين لا ينضب ، وكوثر لا ينقطع ، يتحدث عن الاداب والسياسة ، وذكريات الماضى ، ويصف كيف تم طرده من العراق بسبب قصائده النارية التى كلها توعية للغافلين ، وثورة عارمة على الاستبداد والاقطاع .

والمرحوم احمد الصافى النجفى ، شانه شان العباقرة الاعلام والنوابغ الافذاذ ، انما هو فى الحقيقة فى تلك الشموع التى تذوب وتفنى لتضىء ما حولها ، من غير أن تضىء اساسها والجود بالنفس اقصى غاية الجـود .

فلنستمع اليه ، وهو يخاطب الفلاح :

يتنازعـون على امتلاكـك بينهـم
فلهـم عليـك تشاجـر وكفـاح

كـم دارت الاقـداح بينهمـو ، ولـم
تمـلأ بغيـر دموعـك الاقـداح !

يـا غارس الشجـر المؤمـل نفعـه
دعـه ، فـان ثمـاره الاتـراح

اقلعـه ، فالثمـر اللذيـذ محـرم
للغارسيـن ، وللتـوى مبـاح

ان شاعرنا العظيم يكره الانانية من صميم قلبه ، ويطبق فى حياته العملية مبدأ التقشف ، والزهـــد ونكران الذات ، والابتعاد عن النرجسية (اي الحب المفرط للنفس) . فهو الغريب الذي عاش ثمانين سنة بلا اهل ولا اقرباء ، وبلا وطن .. فقد كان كثير التنقل بين دمشق وبيروت .. وفى اخريات ايامه ، رصدت له الحكومة العراقية راتبا مدى الحياة . لكنه بقى كما كان ، لا يتنكر لطبيعته ، بل استمر فى القسوة على نفسه ، حتى اندلعت الحرب الاهلية فى لبنان ، فرجع الى وطنه العراق ضريرا . وهناك لبى داعي ربه ، واسلم نفسه المعذبة لخالقها ، وانتهت الرحلة الطويلة للشقاء والتهر والتشـــرد .

ويصف فتنته بسوريا اذ يقـــول :

يـــا سوريا مـــا انت غيـــر خريـــدة
قـــد كثـــر العشـــاق فيـــك جمـــال

هـــذا الجمال عليـــك جـــر مصائبا :
ان الجمـــال علـــى ذويـــه وبـــال

قـــد كـــان يعطيـــك المحـــب فـــؤاده
لـــو عـــز منـــك على المحب وصـــال

وللفقيد العزيز احمد الصافى النجفى شعر غزير ، وموهبة ثرة تجود بالكثير من العطاء الخير الدافق الذي ينضج فى دواوين « الامواج » — « التيار » — « الاشعـــة » — « الحـــان اللهيب » — « الشـــرر » — « ترجمة رباعيات الخيام عن الفارسية » .

الا ان شعره الاخير كان يقتصر على ابيات قليلة يضمنها افكاره واستخلاص العبرة والموعظة والحكمة من الحياة . فهو يرسل القريض عفويا من دون تكلف ولا تنميـــق ، متحريا الوضوح والبساطة فى الديباجـــة والمحتوى . وهو يصوغ ذلك فى قوله :

قيـــل لـــى : فيـــم لست تعنى بوشى
أو بتنسيـــق فائـــض الاشعـــار

قلـــت : شانى ارسال شعري سيـــلا ،
مـــا علـــى التنسيـــق للانهـــار

انه كان حلو المعشر حقا ، ومحبوبا من لـــدن المعجبين الكثيرين ببساطة شخصينه ، وحدة نباهته ، وسرعة خاطره ، وذلاقة لسانه . وكان يجد فى الشاي مشروبه المفضل ، لانه ينشطه ويروي غليله ، ويزيل عنه الضجر والكدر والعناء ، ويطفىء نيران الغربـــة والجوى المتأججين ، فى قلبه وفى ذلك يقول :

اذا صب فى كـــأس الزجـــاج حسبتـــه
مذاب عقيـــق صب فى كأس جوهـــر

بـــه احتسى شهـــدا وراحـــا وسكرا ،
وانشـــق منه عبـــق مسك وعنبـــر

يغيب شعور المرء فى اكؤس الطـــلا
ويصحـــو بكأس الشاى عقل المفكـــر

يجـــد سرور المرء من غيـــر نشـــوة ،
فأحبـــب بـــه من منعش غير مسكـــر

ويقول فى وصف دمشق ، والافتتان بحسنهـــا وبهـــائهـــا :

لا يبـــرح الحسن يومـــا عـــن مرابعها
كأنمـــا الحسن مـــن قدم بها افتتنـــا

لا يرتضى الطرف شغـــلا عن محاسنها
حتى تعادى فيهـــا المقلـــة الوسنـــا

ايقنـــت انى من اهل الجنـــان ، ففى
دمشـــق اسكن جنـــات تفيض هنـــا

ويقول فى وصـــف زحلة ، وواديها الاخضـــر ، ومرابعها الغناء ، ونسيمها العليـــل :

فيـــا وادي العرائـــش انـــت واد
يفـــر لـــك الفـــؤاد من الهمـــوم

نجـــوم الكهربـــاء بكـــل ليـــل
تكـــون فيـــك اقتـــا مـــن نجـــوم

ويصف ثلج لبنان فى لوحة جميلة أخاذة ، وهو يرى الارض قد فرشت ببساط ابيض ناعم ، فيقول :

يـــا مـــا احيلى الثلج محلى اعيـــن ،
أو ملعبـــا او مفرشـــا أو مربضـــا

يلقى بـــه اللاهـــون عيشـــا ناعمـــا ،
أو جنـــة بيضـــاء ، أو مترو ضـــا

واذا تضـى اللاهي راى كثنـا بـه ،
ورای فراشـا ناعمـا ان امرضـا

ويقول فى وصف أعمدة بعلبك الستة الباقية على مر العصور والاجيـال :

يـا لسـت مـن العواميـد ظلـت
كشمـوع للدهـر تجلـو الظلامـا !

قـد تعالين فانحـدن رؤوسـا ،
ثـم أحكمـن فى الثـرى الاقدامـا

حاكيـات وسـط الفضـا أخـوات
قـد تماسكن ، واتحدن غرامـا

وحـد الحسـن بينهـن بتـاج
حيـث فى الحسـن قد بلغن التمامـا

فتعاهـدن فى كفـاح الليالـى
لا يبارحـن خطهـن انهـزامـا

او كقـواد جحفـل قـد اطلـوا
يصـدرون الاراء والاحكـامـا

والشاعر احمد الصافى النجفى مشهور بمواقفه الوطنية الصادقة . . فهو قد غادر العراق سنة 1920 عندما علم أن الحكومة البريطانية تسعى الى اعتقاله بسبب مواقفه الوطنية ضد الانتداب من لدن الدخيل الاجنبى . وكان فى غربته ووحشته يحس بكثير مـن اللواعج والهموم . فلنستمع اليه اذ يقـول :

لقـد جر لـى شعري الشقاء كأننـى
بنظـم قريضـى ، أنظم البؤس لا الدرا

قبلـت بحظ ، وارتضيت بقسمـى
من الشعر، لو استطيع ان انثر الشعرا

وهو قد نظم الشعر فى كل شىء : فى البرغوث ، والفأر ، والقط ، والدجاج . وتوخى البساطة المتناهية ، معتنيا بالفكرة والصورة ، وروعة المضمون فى سذاجة القالب . انه كان ينظم الشعر فقط ليدركه القراء ، لا ليعجبوا بالفاظه وصياغته وديباجته . فهو شعر بسيط سهل واضح ، بعيد عن التعقيد والتصنع والغموض والرمزية الجوفاء . ويبدو ذلك جليا فى دواوينـه « الاغوار » ـ « اللفحات » ـ « الحان الشيب » . .

وكان نظيف الكف ، عف الضمير واللحظات ، عميق الغور والخطرات ، يمل شعره الطابع الانسانى بكل ما فى الكلمة من معنى ، فتقرأ فيه ابا الطيب المتنبى ، وابن الرومى ، وأبا العلاء المعري ، وسواهم مـن الفحول . . ولذلك تستأنس به ، ويقترب منك بروحه ، ولو لم تكن لك به معرفة سابقة . . فهو يضم الـى براءة الاطفال ، نقاء الثلج ، وصفاء المنطق والقلب ، فى صراحة لا يعتريها اقل غموض حتى مع نفسه ، فكيف بالاخريـن ؟ !

انـه هـو القائـل :

أتيـت بديوانـى لاطبعـه ، وقـد
حوى من بنات الفكر ما ينعش الفكرا

وقـد كدت أنهيه ، ولكـن قريحتـى
من الشعر فى مد ، وكيسى شكا الجزرا

فقـال ولى الطبـع : هات زيـادة
من المال ، او سد من شعرك البحرا

وهو يصف نفسه ، فيرينا ثباته وصموده أمام الخطوب التى لم تستطع أن توهن عزيمته ، وتضرب نفسه وتوقف مسيرته الدؤوب فى دروب الحياة ، فيقول :

لئن اضعفت جسمى الخطوب وحملها
فما اضعفت نفسى ولا أوهنت عزمى

كأنى خيال حين أمشـى من الضنـى ،
وليث عرين حين أسطـو على خصمى

حياتـى بنفسـى لا بجسمى منوطـة ،
وقوتى قوت الروح والقلب ، لا الجسم

وهكذا فشعره نابض بالحياة ، ملىء بالحكـم والمواعظ . فلنتأمل هذه الابيات حيث يقول :

عجبـا من طبيعـة الكـون تنشـى
واحـدا أغيـدا ، وألفـا ذميمـا

يتعـادون فـى هـواه ، ولـولا
فتنـة الحسن لـم يكونوا خصوما

كـم صريـع منهم تضى فى هـواه ،
وكئيـب يرعـى الدجى والنجومـا

وهو يدعو : لقد وهبتك قلبي
يا حبيبي ، فكن بقلبي رحيما !

وقد عبر في مرارة عن شكايته بمن غدروا به ، ولم يقدروا اخلاصه لهم ووفاءه بعهودهم . وكان يتلطف اليهم ، ولا يكيد لهم ولا يطعنهم في ظهورهم ، على النقيض مما كانوا يعاملونه به من قساوة وشراسة في الطباع ، وجفاء في السلوك .

فيقول في هذا الخصوص :

اخلصت للصحب ، لكن
لم الق من خلصاء

وقد بليت بغدر
حتى من الاوفياء

قلوبهم مثل صخر ،
ولطفهم لطف ماء

غرست ورد وداد ،
فصار شوك عداء !

وهو الساخر من واقعه ، يندد بالاشخاص الذين انكروا جميله ، ولم يحمدوا اياديه البيضاء ، بالرغم من انهم كانوا لديه من المقربين ، فهو يأنف من هذا المستنقع الاسن ، ويقول في تهكم صارخ :

سخرت ، وسوف اسخر من حياة
بنا سخرت ، لاغبنها كغبني

ساضحك في سخافتها زمانا
كما ضحكت على عقلي وذهني

لقد كافح الكفاح النبيل من أجل الحصول على السعادة ، ولكن الشقاء كان يترصده في كل وجهة هو موليها . فهو القائل في عاطفة جياشة :

سعيت لتحصيل السعادة جاهدا
فزاد شقائي من ضياع جهودي

فطورا حسب العلم يجبو سعادة
اذا السعد يمشي نحو كل بليد

وطورا ظننت الصيت يسعد اهله
فلم استفد بالصيت غير قيود

ان الدموع هي النصير الوحيد في ساعة الشدة . ومهما كانت المعاكسات والمعوقات والمثبطات البشرية فان القلب الجريح الذي يعصره الالم ، لابد وأن ينال نفحة من النفحات السماوية ، لان الورى اذا لم يرحموك ، فان ربك لن يزال عفوا حليما كريما رحيما . وهكذا نجد شاعرنا — حينما أصابه مرض كان فيه على قاب قوسين من الموت — ينشد في ايمان واحتساب :

يضعضع الداء ايامي فامسكها ،
ويقتل الدهر آمالي فاحييها

تبني على الليالي من نوائبها
سجنا ، فتنقذ روحي من مبانيها

يا علة رافقت جسمي بمولده
حتى استحالت كجزء الروح احويها

اخاف فقد حياتي حين افقدها ،
واختشي من فنائي حين انهيها

كانت دموعي نصيري عند كارثتي ،
ترش نيران احزاني فتطفيها !

ويصور لنا شاعرنا العظيم جنون العبقرية في لوحة هزلية لا تخلو من سخرية ومرارة للواقع الذي لا يتلاءم والروح التحررية التي ينشدها ، ويجد عزاءه فيها ، فيقول :

اذا شاعر رام اقترانا بزوجة
ففي البيت مجنونان يصطرعان

كفاني جنون العبقرية شاغلا ،
اضفي عليه من جنون غوان ؟

فكيف اذا زوجت شاعرة ؟ اذن
اعيش ومجنونين يصطدمان

فللمراة الحسناء تأثير خمرة ،
فما اجتمعت والعقل ضمن مكان

فها نحن نرى انه ينفر حتى من المراة الحسناء التي لها تأثير الخمر التي لا يمكن أن تجتمع هي والعقل في مكان واحد . وهذا رفض وتحدي حتى لما يمكن ان يكون مصدر الوحي والالهام عند البعض ، في حين انه في

نظره هو ، يتنافى مع المثل الذي يجب ان يبقى صافيا لينفذ الى اعماق الحكمة واغوارها ، ويعثر على الطمأنينة الروحانية الباطنية التي ينشدها . وفي ذلك قمة النبل وسمو العاطفة ، وسعة الافق الذي يترفع عن الاستهلاك المادي الزائف ، ويعرج الى النورانية الفكرية المطلقة التي هي فوق المعايير والمقاييس الاعتيادية الزائغة عن المثل الاعلى المطلوب ، واذا كان هو ذاك جنون العبقرية ، فحبذا به من جنون !

ويرد على من ينتقدون ترجمته لرباعيات الخيام ، فيقول في براعة متناهية :

ظننت ترجمة الخيام مأثرة
اذا بها لضعاف الراي اجرام

ان كان هذا مثال الشعر في نفير ،
لا كان شعر ولا خمر وخيام !

ويرسم لنا لوحة عن الشحاذين والامير ، فيصف نفسه — كعادته الساخرة الضاحكة — امام الذين قد ابتلاهم الله بالنظرة السطحية الى الاشخاص والاشياء ، فيحسبون المتعففين الطائفين لماء وجوههم، اغنياء من التعفف ، ويسمونهم بغير اسمائهم الحقيقية، وينعتونهم بغير نعوتهم اللائقة بنفوسهم الكبيرة ، وقلوبهم القانعة والعامرة بأنوار الايمان واليقين ، والخالية من الاطماع والتمويهات والاماني العفنة . . فيقول في ذلك :

ومقهى قد جلست به وعقلي ،
من الافلاس قد بلغ الجنونا

ارجي الرزق من ربي ، ولكن
ارى الشحاذ نحوي مقبلينا

وكم من جاهل فيهم اتاني
يجر بناته تلو البنينا

ينادي : قد عجزت فاطعموا لي
صغاري ، ان تكونوا راحمينا

وكم من احمق منهم دعاني
امير ، فامتلا قلبي شجونا!

دعاني بالامير ، وكنت اولى
بان ادعى امير المفلسينا !

ان هذه الابيات تنم — وايم الحق — على نبل المشاعر التي لا ترضى احتراف التسول ، ما دامت كرامة الانسان يجب أن تكون اغلى عليه من الدنيا وما فيها . فالعمل مع الالتجاء الى الخالق الرازق سبحانه ، اولى بالمرء من التواكل والعجز ، ومد اليد الى المخلوق الواهن البائس الفقير الذليل ، بينما الله وحده هو القوي الحميد المجيد الغني القدير العزيز الذي يحتاج اليه كل ما عداه ، ولا يحتاج هو الى اي احد سواه .

وشاعرنا يأبى العبودية والتقيد ، ويعشق السياحة في ارض الله ، باحثا عن الاسرار وحقائق الحياة وخفاياها . فلنصغ اليه اذ يقول في صدق وصراحة :

قد اخترت منذ القدم عيش التشرد
لفقري ، والفوضى ، وحب التجرد

ولو انني اسلو التشرد عاد لي
فكيف سلوي رفقتي في التشرد ؟

تعلمت ما لم تعطني الكتب منهمو
فجئت الى الدنيا بهذا التجدد

معاشهمو ما يكسبون بيومهم
ومرقدهم ما عن من متوسد

وواحدهم ان لم يجد متوسدا ،
توسد مرتاحا ، واغفى على اليد

يعيشون في متهاهمو كعشيرة ،
وان ينتسب كل لارض ومحتد

وهل نسب مثل التشرد جامع ،
تجمع فيه كل شمل مبدد ؟ !

فليت به (جمعية الامم) اقتدت
لتهدي الى التوحيد من ليس يهتدي !

اراني حرا ان اكون بجمعهم
ولو في سواهم عيش عبد مقيد

فشيطان شعري فوضوي بطبعه
له ولع مثلي بعيش مشرد

والواقع انه ابدع واجاد في هذا الوصف الوجداني النفساني الدقيق . والحديث عن عمق الذات من اصعب

انواع الحديث . لكن الشاعر توخى الحقيقة كلها فيما يقول : فهو لا ينكر فقره وفوضاه وحبه للتجرد ، وهو لا يجحد طبيعته ، ولا طبيعة رفقائه الذين يخبر عنهم بأنه يتعلم منهم ما لم تعلمه الكتب اياه . وهذا تجديد بالنسبة اليه وتلك عصامية تستحق كامل التنويه والاشادة والثناء . انه يعشق البساطة ، ومبدأ الاستغناء والقناعة ويعتبر ان الغربة هو القاسم المشترك بين جميع الغرباء ، وانه النسب الوحيد الذي يؤلف بينهم ، ويعطي بذلك درسا لمن يتوخون التوحيد على أعلى المستويات ، وتلك هي الحرية المنشودة في عالم تكثر فيه السدود والقيود ، والعبودية والاغلال والفوارق الاجتماعية والطبقية والعنصرية . فان كان هذا هو التشرد في عصرنا الصاخب المليء بالمتناقضات والصراعات الجوفاء ، فمرحبا به وبالداعين اليه !

ويطيب لنا ان نورد فيما يلي هذه القصيدة التي يدافع فيها الشاعر دفاعا مستميتا عن مبدئه في التشرد وهل الحياة سوى شرود مستمر ، وغفلة لا تنتهي الا بانتهاء الاجال ؟ فالناس نيام ، فاذا ماتوا استيقظوا . وخلاصة ما يمر على البرايا انهم عاشوا وتألموا وماتوا ! وذلك باختصار هو تاريخ البشرية كلها .

فلله در شاعرنا اذ يقول في قمة الاجادة :

يقولون : بيتي سوف يغدو محجة
اذا ما طوى شخصي القضاء المحتم

يحج له عشاق شعري مواكبا
يقبله هذا ، وذاك يسلم

وذاك بكفيه يمس تبركا ،
جدارا له ، والبعض ساه يعظم

وذاك يشم الارض منه تيمنا ،
وهذا على ايامه يترحم

فقلت : وهل لي اي بيت يضمني ،
وعمري طواف مزمن وتبرم ؟ !

فبيتي مقاه جمة وفنادق ،
اقيم بها حينا فاشقى واهرم

وبيتي زوايا لا تعد سكنتها ،
وروض وصحراء بها كنت انعم

وكرسي مقهى كنت اجلس فوقه ،
وشاطيء بحر فيه اهنا واسلم

وبيتي خرابات بشعري عمرتها
اجيء لها انعى الهدوء وانظم

سأتعب عشاقي طوافا ورحلة ،
فينجد ذا بحثا ، وذلك يتهم ،

ارى حظ عشاقي كحظي تشردا ،
فانهمو مني ، كما انا منهمو ! !

وبعد . . فرحم الله الشاعر الانساني الخالد ، وبلبل العروبة الصداح الفريد ، احمد الصافي النجفي، وسقى جدثه الطاهر بشآبيب المغفرة والرضوان . . فليس لنا ما يغرينا ويسلينا في فقدانه — وهو الذي قال عنه الاستاذ عباس محمود العقاد بأنه « اشعر شعراء العربية » — سوى هذه الاثار المبدعة ، والنفحات الزكية المنبثقة من القلب الشفاف ، والروح المرهفة المشرقة الوضاءة . والواقع ان الشاعر يعيش عيشة الخلد والابد والسرمدية في ثيون شعره ، وعرائس نبوغه ، وشواهد عبقريته وذكائه ، واستمرارية النور في ومضاته اللانهائية ، وفيما يخلفه للاجيال من نفحات عطرة ، وكوائر لا ينضب معينها ، ولا يغور سلسبيلها ، وفيما يحمله من مشاعل وهاجة لن تخبو جذوتها ، وتضيء دروب الحق والخير ، مدى الدهور والعصور والاجيال .



القصيدة عند شعراء مدرسة أبولو .

عرض للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

رسالة دكتوراه قدمها الاستاذ محمد سعد قشوان الى كلية اللغة العربية بجامعة الازهر وحصل بها على الدكتوراه فى الاداب مع مرتبه الشرف الاولى .

— 1 —

عرض بقلم : د. حسن عبد المنعم خفاجى

هذه الرسالة تتكون من :

أ — تصدير ومقدمة ، اشتملا على :

— ذكر الاسباب التى دفعت الطالب الى اختيار الموضوع .

— بيان اهمية الموضوع ، واهمية دراسته ، ومدى الحاجة اليه .

— التعريف بمنهج الرسالة ، وخطة الطالب فى تناوله البحث .

— بيان الصعوبات والعقبات التى عاناها الطالب ، وكيفية تذليلها والتغلب عليها .

— التعريف بأبرز المصادر والمراجع التى أفادت الطالب فى بحثه .

— التنبيه بأبرز مظاهر الجدة فى الموضوع ، وبما لها من آثار فى محيط الدراسات الادبية الحديثة

ب — هيكل البحث ، بتمهيده وابوابه وفصوله وخاتمته .

ج — مصادر لرسالة ومراجعها وفهارسها .

اما هيكل الرسالة : فيحتوي على خمسة أبواب وخاتمة ، ولكل باب فصوله الخاصة به ، وقد بلغت مجموعها سبعة عشر فصلا على الوجه التالى :

1 — الباب الاول :

وموضوعه : القصيدة . . . مفهومها ، وبناؤها الفنى ، ويشتمل على اربعة فصول :

الفصل الاول : فى مفهوم الشعر ، والقصيدة ، والقصيد ، والرجز ، وفيه عرض الباحث لمفاهيم : الشعر — والقصيدة ، والقصيد ، والرجز فى القديم والحديث وناقش تلك المفاهيم مناقشة علمية جادة ؛ من أجل ابراز خصائص كل منها على نحو مشرق ، مبينا أوجه الاختلاف بينها ، مع الاشارة الى الاثار التى تترتب على دراسة تلك المفاهيم ، فى التناول الفنى للقصيدة عند شعراء ابولو .

الفصل الثانى : عن المعجم الشعري عند شعراء ابولو ، وفيه عرض الباحث لابرز الالفاظ التى اشتمل عليها المعجم الشعري بقسميه (المفتوح والمغلق) عند شعراء ابولو ، مع توضيح المقصود بالمعجم الشعري المفتوح ، والمعجم الشعري المغلق وربط الحديث عنهما بالعصور الادبية السابقة ، والاشارة الى نظرية جديدة قامت اصلا على معجم شعري خاص هى « نظريـــة التخليق الشعري » وما كان لشعراء ابولو فيها مـــن آثــــــار .

الفصل الثالث : عـــن الشكـــل والمضمـــون فى القصيدة ، وفيه اشار الباحث بايجاز مركز الى اصداء تلك القضية فى النقد القديم ، ثم عرض آراء نقـــــاد وشعراء ابولو فى تلك القضية ، مع العناية بتطبيق تلك الاراء على اشعارهم ، وابراز مواطن الجدة والابتكار فيهـــــا .

الفصل الرابع : عن الوحدة الفنية للقصيدة ، وقد ابرز الباحث فى هذا الفصل كثيرا من نقاط النقاش والجدل التى فجرتها قضية الوحدة الفنية فى القصيدة مع اسهامه بالراي والتوجيه ، والتقويم ، والتنبيه على ما كان لشعراء ابولو من اثر فى بعض جوانب تلك القضية ، وتطبيقه على اشعارهم .

2 ــ البـــاب الثانـــى :

موضوعـــه : الاجناس الشعرية عند شعـــراء مدرســـة ابولـــو ، وقد تناول الباحث هذا الموضـوع فى فصـــول ثلاثـــة :

الفصل الاول : وفيـــه عرض الباحـــث للاغراض والنزعات الشعرية عند شعراء ابولو ، ومن تلـــك الاغراض التى تناولها الباحث تناولا فنيا جادا :

(الشعـر الوصفى ــ الشعر الوطنى ــ شعـــر الرثاء ــ شعر الفلسفة والتامل والتصوف ــ بكاء الاطلال ــ شعـر المجـــون) .

ثم عقب ذلك بالشعـر العلمى ، مفرقا بينه وبين الشعر العلمى القديم ، مشيرا الى الجهد الكبير الذي بذله رائد مدرسة ابولو الشعرية (الدكتور احمد زكى ابو شادي) فى دعم هذا اللون من الشعر .

الفصل الثانى : عن الشعـر القصصى والملحمى ، وقد فرق الباحث فيه بين الاقصوصة والقصة والرواية والملحمة ، ثم عرض لقضية الملحمة فى الادب العربى بايجاز مركز ، مشيرا الى ان طبيعة الحياة عندنا تختلف فى الكثير من جوانبها عن الغرب تفرض علينا الاخـــــذ بحذر عن الغرب ، ومراعاة ما بيننا وبينه من فـــروق ثم درس انتاج شعراء ابولو فى ميدان القصة والاقصوصة والملحمة مبرزا خصائصهم ، وسماتهم الفنية فى تلك الاعمـــــــــال .

الفصل الثالث : عن الشعـر المسرحى والابري عند شعراء ابولو ، وفيه اشار الباحث الى فن جديد هو فن الاوبرا عارضا لمدارسه فى الغرب ، ومنزلته بين فنى الادب والموسيقى وعوامل فشله على الرغم مما بذله الدكتور ابو شادي فى سبيل انجاح هذا الفـــن الوليد من جهود ، وما لاقاه فى سبيله من صعاب .

3 ــ البـــاب الثالـــث :

وموضوعه : الخصائص الفنية للقصيدة عنـــد شعراء مدرسة ابولو ، ويحتوي على ثلاثة فصول :

الفصل الاول : فى الخصائص المتصلة بالموضوعات وطبيعة التجارب الشعرية ، ومن تلك الموضوعات التى عالجتها الدراسة : (موضوع الحب والمراة ــ النزعة الانسانية ــ الطبيعة والحنين الى مواطن الذكريات ــ الشكوى والالم ، وقد ارجع الباحث تلك الموضوعات التى عنى بها شعراء تلك المدرسة الى الاتجـــــــاه الرومانتيكى ، الذي ظهرت عنايتهم واضحة به فى جـل ما خلفـــوه من آثـــار .

الفصل الثانى : فى الخصائص المتصلة بالاسلوب وطريقة الاداء ، وقد اشار الباحث الى تلك الخصائص متمثلة فى : (الاعتماد على معجم شعري خاص ــ الميل الى استخدام الاساليب الرمزية ــ التعاطف مـــع الاشياء ــ تجسيم المعنويات ــ منح الحياة الانسانية لما ليس بانسان ــ التجريد ــ التعبير بالصورة ــ استعمال الكلمات الموحية ــ استخدام الالفاظ الشائعة المتصلة بالطبيعة وبالجو الروحى ــ استخدام الالفاظ الشائعة فى الاساطير اليونانية ، وهذا فى التاريـــخ المصري الفرعونـــى القديـــم ــ التكرار) .

الفصل الثالث : عن الخصائص الفنية للموسيقى الشعرية عند شعراء مدرسة ابولو ، وقد ناقش الباحث مظاهر التجديد الموسيقى التى ادخلها شعراء ابولو على القصيدة ، او تابعوا فيها غيرهم من امثال : الشعر المرسل ، والشعر الحر ، والشعر المنثور ، وغير ذلك .

ولم تقف عناية الباحث عند عرض النظم التى تنهض عليها تلك الانماط الموسيقية وغيرها ، بل كانت آراؤه فى تلك الانماط ، وافكاره التى ترتكز على احترام التراث الادبى والتقدي للغتنا العربية وتقاليدها الشريفة فى المقام الاول .

4 — الباب الرابع :

وموضوعه : النزعات التجديدية الاخرى فى القصيدة عند شعراء أبولو ، وقد تناول الباحث هذا الموضوع فى أربعة فصول :

الفصل الاول : عن الاتجاه الرومانتيكى ، وقد اقام الباحث موازنة بين رومانتيكية هذه المدرسة ورومانتيكية شعراء الديوان ، ثم بين رومانتيكية أبولو ورومانتيكية الغرب ، مبينا أن رومانتيكيتهم أقرب الى رومانتكية شعراء المهجر ، وبخاصة فى الالفاظ والصور والخيال .

الفصل الثانى : عن الاتجاه الرمزي عند شعراء أبولو ، وقد درس الباحث الرمزية فى الادب العربى مشيرا الى ان الرمزية القديمة فى الادب العربى تختلف عن الرمزية المذهبية الغربية ، ثم اوضح خصائص الرمزية من حيث الموضوعات والاسلوب وبين أن الرمزية قد تكون فى اللغة ، وقد تكون فى الفلسفة واستكناه الغيب ، وقد تكون فى الصور والموسيقى ، وقد تكون فى الموضوع ، ثم عالج تلك الانماط جميعها عند شعراء تلك المدرسة .

الفصل الثالث : عن الاتجاه العمودي الكلاسيكي وتجديدهم فيه ، وقد اشار الباحث الى الاسس التى تنهض عليها نظرية عمود الشعر فى النقد القديم ثم وازن بين تلك الاسس وما يناظرها من اسس بدت فيها مظاهر الجدة واضحة عند شعراء أبولو فى نظرتهم الى تلك النظرية النقدية الهامة .

الفصل الرابع : عن شعر التصوير عند أبى شادي ومدرسته ، وقد اشار الباحث الى الفرق الفنية بين شعر التصوير والنحت والتصوير ، ثم درس هذا اللون الجديد من الشعر عند أبى شادي ومدرسته على نحو منهجى سليم .

والباب الخامس :

موضوعه : مدرسة ابولو فى ضوء النقد الحديث ، وقد افرد الباحث لهذا الموضوع ثلاثة فصول على النحو التالى :

الفصل الاول : فى المعارك النقدية للمدرسة مع خصومها ، وقد درس الباحث هذا الموضوع دراسة وافية ، معتمدا على منهج علمى جاد فى التناول والاداء .

الفصل الثانى : وفيه درس الباحث مفهوم « المدرسة » فى الادب فبعد ان حدد شرط قيام المدارس الادبية راى ان جمعية ابولو ومجلتها مدرسة ادبية جديدة فى تاريخ ادبنا الحديث .

الفصل الثالث : وكان عن اثر شعراء أبولو فى شعراء جيلهم وفى شعراء اليوم .

— 2 —

اما اهم الافكار والنتائج الجديدة التى كشف عنها الباحث فى رسالته باختصار شديد :

1 — البحث فى جملته وفق منهجه ، وبالهدف الذى قصد اليه الباحث يعد جديدا لم يكتب فيه من قبل ، ودراسة القصيدة عند شعراء مدرسة أبولو وتناولها بالمعايير النقدية فى الدراسة والتحليل شىء جديد على البحث كل الجدة ، أصيل غاية الاصالة وعلى جانب كبير من الاهمية من حيث الاهداف والنتائج .

2 — عرض الباحث الاعمال الكاملة تقريبا لمدرسة ابولو عرضا شاملا دقيقا وذلك لاول مرة فى تاريخ الدراسات الادبية الحديثة .

3 — فهرس الباحث المعجم الشعري ، ورصد ظواهر التجديد فيه منذ عصري الجاهلية وصدر

الاسلام حتى العصر الحديث ، مع العناية بدراسة المعجم الشعري لدى شعراء ابولو .

4 ــ استخدام الباحث مصطلحات لم يسبق لدارس او باحث استخدامها من قبل ، من امثال : المعجم الشعري المفتوح ، والمعجم الشعري المغلق ، وغير ذلك .

5 ــ ربط الباحث المعجم الشعري المغلق بحياة صاحبه ، واعتبره مقياسا صحيحا للحكم على الشاعر ، مع تحديد درجته ومنزلته .

6 ــ حقق الباحث من خلال دراسته للمعجم الشعري المفتوح عند شعراء ابولو نظرية « التحليق الشعري » مع مناقشة الاراء السابقة فى تلك النظرية ، وتحقيق القول فيها .

7 ــ عرض الباحث مشكلة اللفظ والمعنى ، وكذا قضية الوحدة الفنية فى القصيدة عرضا جديدا ، وباسلوب جديد ، مع الموازنة بين آراء نقاد ابولو فى هذا الصدد ، وآراء السابقين فيها .

8 ــ ناقش الباحث القول بحرية نظام الالفاظ داخل اطار القصيدة الواحدة ، وراعى فى مناقشته ما بين لغتنا واللغات الاجنبية من فروق فى الصياغة والاداء .

9 ــ ذهب الباحث الى صعوبة تطبيق الوحدة العضوية بمفهومها الحديث والشائع على القصيدة الغنائية ، ورأى انه من الاولى قصر تطبيقها على الشعر الموضوعى .

10 ــ بسط الباحث القول فى اغراض المدرسة ونزعاتها الشعرية ، ورصد كثيرا من الظواهر المحيطة بها على نحو غير مسبوق اليه .

11 ــ خالف الباحث بعض الباحثين فى القول بنجاح ابى شادى فى الشعر العلمى من حيث فشل غيره ، وحقق القول فى تلك المسألة .

12 ــ خطأ الباحث بعض النقاد فى قوله بأن الشعر بغير علم اقرب الى الهراء والسخف منه الى الاعتدال والحق ، وان أجهل الشعراء بالعلوم اشدهم سخفا وهذرا .

13 فصل الباحث القول فى الخصائص الفنية للقصيدة عند شعراء ابولو سواء منها ما يتصل بالموضوعات وطبيعة التجارب الشعرية ، ام بالاسلوب والطريقة الفنية فى الاداء ام بالموسيقى .

14 ــ اشار الباحث الى ما كان لشعراء ابولو من تجديد فى الاتجاه العمودي الكلاسيكى .

15 ــ درس الباحث شعر التصوير عند ابى شادي ومدرسته ، وذكر كثيرا من الفروق الفنية بينه وبين النحت والتصوير .

16 ــ وضع الباحث مفهوما جديدا للمدرسة الادبية ، وذهب الى أن جمعية ابولو ومجلتها مدرسة ادبية جديدة فى تاريخ ادبنا الحديث .

17 ــ عرض الباحث المعارك النقدية لابولو مع خصومها عرضا شاملا ، وناقش القضايا التى اثارتها تلك الخصومات على نحو موضوعى .

18 ــ حصر الباحث الرواد الاصليين لمدرسة ابولو ، ثم بين اثر هؤلاء الشعراء الرواد فى شعراء جيلهم ، وفى شعراء اليوم فى مصر ، وفى غيرها من بلاد العروبة والاسلام .

— 3 —

وهذا عمل مثمر ومجهود ضخم من الباحث ، حيث ابرز لنا الجانب المشرق من تراث مدرسة جديدة من مدارس الشعر فى العصر الحديث ، وعرضه عرضا أمينا ، ودعانا الى مطالعته والاتصال به ، والعناية بالنتاج الشعري الضخم لرواد تلك المدرسة .

وقد اعتمد الباحث فى رسالته على الكثير من أمهات الكتب والمصادر بصورة مستوعبة شاملة ، وبذل جهدا واضحا فى الافادة منها .

كما اعتمد فى دراسته الشعرية على دواوين شعراء ابولو ، واعتمد كذلك على كثير من المراجع الادبية والنقدية الحديثة ، وقد وفق الباحث الى الافادة من هذه وتلك ، مما جعل البحث يبدو وفى صورة الشمول والتكامل والاحاطة ، والدقة والاستقصاء ، والمصادر والمراجع التى اعتمد عليها الباحث يمكن ان تشير الى انها تنوعت على النحو التالى :

1 ــ كتب ومؤلفات لرواد من مدرسة ابولو ، وتعد من مصادر البحث الرئيسية وقد بلغت (15) مصـــــدرا .

2 ــ قصص ومسرحيات وملاحم ، واوبرات شعرية نشرت مستقلة لهم ، وقد بلغت (11) قصـــة ومسرحية وملحمة واوبرات شعرية .

3 ــ المصادر العامة ، وقد بلغت (21) مصدرا .

4 ــ كتب تناولت مدرسة ابولو ، أو اشارت اليها ، وقد بلغت (31) كتابا .

5 ــ مراجع عامة فى الموضوع ، وقد بلغت (161) مرجعـــا .

6 ــ دواويــن شعرية ، وقد بلغت (86) ديوانا .

7 ــ معاجم لغويـــة ، وعددها ثلاثة .

8 ــ الدوريات ، وقد بلغت (22) ما بين صحيفة ومجلة وجريـــدة .

وبذلك بلغت مصادر البحث ، ومراجعه فـــى مجموعها نحوا من (350) ثلاثمائة وخمسين مصدرا ومرجعا ، وفق الباحث الى الافادة منها ، ورصـــد افكارها ، واستخلاص النتائج منها فى دربـــة كاملة وتقع الرسالة فى نحو ثمانمائة صفحة .

والرسالة منهجا وموضوعا واسلوبا تدل علـــى باحث عميق ، متمكن من أدواب بحثه ، ومادة درسه ، حريص على الجدة والاصالة فى البحث ، وفى الرسالة كذلك ما يرشد الى ملكة الطالب المذكور العلميـــة الاصيلة ، وقدرته الكاملة على البحث والمناقشـــة ، والتحصيل والموازنة الدقيقة ، والحكم المنصف النزيه ، واحترام المصادر والمراجع ، وامانة التعامل معهـــا ، والافادة منهـــا .

وفى ذلك كله ما يشير الى مستقبل علمى جليل ينتظر صاحب الرسالة فى حياته العلمية ولذلك كانت موضع تقدير لجنة الحكم على الرسالة التى ناقشـــت صاحبها فى كثير من المسائل النقدية والادبية والتاريخية واللغوية مناقشة طويلة مثمرة ولولا ان الرسالة ما تزال مخطوطة لاثبت كل هذه الملاحظات هنا . والبحث فى جملته سوف يعد من المصادر عن مدرسة ابولـــو وشعرائها وتجديداتهم .

● قال النبي صلى الله عليه وسلم : الناس كابل مائة لا تجـــد فيهـــا راحـــــة ...

وقالت الحكماء : الكرام فى اللئام كالغرة فى الفرس ...

أبجدية متطوّرة

للأستاذ عدنان الداعوق

ما كاد ينبلج الصبح حتى قفزت من فراشي متخلصا من تعب العتمة ، استقبل بشائر نهار جديد في مدينة جديدة هي « سكوبيا » عاصمة جمهورية مقدونيا اليوغوسلافية .

كان المطر قد توقف منذ ساعة بعد ان غسل الدنيا وترك فوق كل شيء لمعانا وبريقا عجيبا .

فتحت نافذة غرفتي بالفندق الكبير، والتي تطل على ساحة واسعة ، فرايت الناس يتراكضون الى اعمالهم في سرعة مذهلة .

كانت هناك محطات الاتوبيس والترامواي .. وكان الناس يصطفون على الرصيف في انتظام مبهر ، الواحد خلف الآخر ، ثم يصعدون دون تزاحم او تدافع برشاقة وخفة ، فما يكاد يمتلئ الباص او الحافلة حتى ينطلق ليقف مكانه غيره ، وهكذا ..

كذلك كانت السيارات الصغيرة تنطلق مسرعة دون ضجيج او زعيق من ابواقها ، فالابواق هنا لا تستعمل مهما كانت الظروف .

من زاوية اخرى من المنظر البانورامي الذي كنت اراه واراقبه ، كانت عربات الخضار والفواكه تنطلق من السوق الخلفي ، عربات اشبه بالدراجات العادية ذات اطارات من الكوتشوك تحمل في مقدمتها صندوقا تتكدس فيه كل انواع الخضار والفواكه .

شيء واحد متميز ، وهو ان الهدوء كان يشتمل كل شيء على الرغم من السرعة الفائقة لبداية النهار وبداية العمل .

وتلفتت نحو الزاوية الاخرى لارى بعض العربات التابعة لادارة التنظيفات تقوم بمهمتها في كنس الشوارع وامتصاص بقايا مياه المطر ..

كذلك كان النهر الصغير يجري بهدوء عجيب وقد تكدس الناس فوق جسوره المتعددة ينتقلون من جهة لاخرى في سباق مع الزمن .

اما المشهد الذي لا أنساه ، فهو الذي حدث أمامي مباشرة ، عند الساحة الصغيرة مقابل الفندق .

رجلان كانا يتحدثان مع بعضهما حين نزلت سيدة شابة من الفندق تحمل في يدها حقيبة سفر كبيرة ، تلفتت يمنة ويسرة ، وتركز بصرها عند باص متحمس للانطلاق ، كانت تريد ان تخطو سريعة نحوه لكن حقيبة سفرها منعتها من ذلك ...

فانطلق الرجلان نحوها ، احدهما حمل الحقيبة من يدها ، والثاني امسك بذراعها ، وانطلق الثلاثة باتجاه الباص ، حتى اذا وقفوا بقربه صعدت السيدة وناول الاول الحقيبة لصاحبتها فيما كان الثاني يطمئن على سلامة صعودها .

ومشى الباص ، وخلال ثوان كان يغيب عن البصر .

وعاد الرجلان معا الى حيث كانا يقفان منذ لحظات ..

عندئذ تأكدت ان الامر لم يكن الا مساعدة للسيدة واستقبالا منهما لعمل انساني متواضع قاما به في هذ الصباح المبكر .

وبعد تناول طعام الافطار كان مرافقي الدكتور « ايفان توسكي » — وهو طبيب شاب ووسيم دائم الابتسام والاشراق — ينتظرني في جولة الصباح .

وجولة ذلك اليوم كانت الى الاسواق والمجمعات التجارية .

ولاحظت خلال تجوالنا نظافة المدينة البالغة ، وتنسيقها البديع ، وحدائقها الرائعة التي كانت تحوي كل انواع الزهور والورود ونباتات الزينة .

ومنظر الحدائق في يوغوسلافيا يبعث على الاعجاب ..

والشعب اليوغوسلافي محب للزهور الى حدود العشق ، لكنك لن تجد يدا واحدة في كل البلاد تمتد لقطف زهرة او وردة .

والزهور تجدها اينما تلفتت ، في الحدائق والفنادق والبيوت والساحات العامة ، والمحلات التجارية ، حتى في المعامل والمؤسسات وشرفات الابنية والمكاتب .

كان مرافقي يشرح لي كل شي ، ونحن نتجول في الساحات والشوارع ، وكان دائم الابتسام والمرح .

وشعرت ان هذا الانسان اللطيف يشعر في اعماقه ويحس بطعم السعادة . السعادة من كل شيء وتجاه كل شيء ايضا .

واذكر انني منذ اليوم الاول للقائي به ربطتني به صلة قوية اخذت تقوى مع الساعات والايام وكانا جمعتنا صداقة امتدت عبر مراحل الطفولة والدرس والشباب .

فاذا هو يبدي لي رغبة ملحة في تعلم اللغة العربية .. في تعلم بداياتها الاولى وكلماتها الهامة ، فلانه يحب العرب يشعر بحاجة لتعلم لغتهم .

ابديت له رغبة مماثلة ، فراح كل منا يسجل في دفتر صغير ابجدية لغة الآخر ..

ولم تكن هذه الابجدية الحروف ، وانما كانت الكلمات .

وبداية الكلمات كلمة : الحب .

فتعلم وسجل كلمة : احبك . واحبكم .. بالعربية

وتعلمت وسجلت كلمة : (فولمته) . احبك . واحبكم .. باليوغوسلافية .

من هنا كانت البداية ..

وما احلى البداية ..

ما احلى ما تكون مع الحب والصداقة والصفاء.

= * =

في الاسبوع الماضي وردتني بطاقة بريدية ، عرفت من الزهور الرائعة التي شغلت الحجم الاكبر من مساحتها ، وقبل ان اتطلع الى طابع بريد البلد الذي جاءت منه ..

ولولا ان ابني الصغير كان بقربي يعيش معي ، لتأكدت — من رداءة الخط — انه هو الذي ارسل البطاقة .

وبصعوبة بالغة استطعت ان افك حروفها ، فاذا الكلمات تقول :

(لانني احبك يا صديقي ، فانا احب شعبك وبلدك .. ولانني احبكم جميعا فانتم تعيشون معي في قلبي وعقلي .) — صديقك : الدكتور ايفان تولسكي.

وابتسمت وانا اشم حروف صديقي اليوغوسلافي الذي تعلم العربية وها هو ذا يكتب لي بلغتها .

وتناول ابني الصغير — رديء الخط — البطاقة.

اعجب بالمنظر الرائع فيها ، وراح يقرأ كلماتها في سرعة وطلاقة مذهلة ...

واستأذن مني ان يأخذ البطاقة ويحتفظ بها .

وليلا ، عندما كنت اطمئن على صغيري في سريره ، وجدت البطاقة الحلوة وقد ثبتها بدبوس صغير على خشب السرير فوق رأسه ، وكتب تحتها على ورقة ملصقة بها هذه العبارة وبخطه الرديء للغاية:

(صديق ابي — وصديق شعبي الذي يحبنا ونحبه لانه يحبنا كثيرا) .

حمص — سوريا : عدنان الداعوق

مكتبة دعوة الحق

● المشكلة الثقافية فى العالم الاسلامي :
واقعها ، وعلاجها

المشكلة الثقافية في العالم الاسلامي

واقعها وعلاجها

تأليف : د محمد المبارك
عرض : الأستاذ زين العابدين الكتاني

المشكلة الثقافية في العالم الاسلامي لا تختلف كما يؤكد ذلك رجال التربية والفكر ، وهي في الحقيقة ليست مشكلة ، ولكنها حقيقة مشاكل العالم الاسلامي وأساس الداء فيه . . .

ولذلك فالذين لا ينطلقون من هذا الاساس انما يحاولون أن يغضوا الطرف عن مشاكل العالم الاسلامي في عمقها ، وهذا ما استهدفه جلالة الملك الحسن الثاني وهو يدعو الى قيام حركة الاصالة منذ سنوات ، وهذه النظرية تتبلور الان وتختمر لتؤكد للعالم الاسلامي المنطلق الاصيل الذي انطلق منه المغرب وهو يدعو الى الايمان والتوحيد والعودة اليهما . . .

وضمن هذا الاطار نلتقي في هذا العرض مع كتيب جديد صدر ببيروت للمفكر الاسلامي الكبير الاستاذ محمد المبارك بعنوان : « المشكلة الثقافية في العالم الاسلامي واقعها وعلاجها » .

والكتيب كما اشار اليه المؤلف هو بحث سبق له ان تقدم به للمؤتمر الاسلامي العام المنعقد بمكة المكرمة بعد موسم الحج عام 1383 هـ — 1963 م وهو يقع في ثلاثين صفحة من الحجم المتوسط ، قسمه الى اربعة مواضع تتناول بالدرس :

— النظام الثقافي الحالي في البلاد الاسلامية .
— والازدواج في التعليم .
— والاتجاهات والمحاولات الجديدة .
— والوسائل المقترحة لتحقيق الاهداف التي يراها الاستاذ المبارك قمينة للوصول الى نظام ثقافي اسلامي ، خصوصا وانه ممن خبر هذا المجال ومارسه خلال سنوات عديدة مستهدفا من وراء ذلك الوصول الى نتائج صحيحة وفعالة للبعث الثقافي الاسلامي ، واحياء فكرته وعقيدته ونظامه في هذا العصر الذي هو احوج ما يكون اليه .

والمؤلف كما يلاحظ ذلك في كل موضوعات كتابه ، وخصوصا بالنسبة للنظام الثقافي الحالي في

البلاد الاسلامية ، يرى انه يسيطر على هذا العالم بوجه عام تفكير غير اسلامي في اسسه ومفاهيمه ، سواء كان ذلك عن طريق التعليم في المدارس ، أو طريق وسائل النشر الاخرى كالصحف والمجلات والاذاعات والكتب المترجمة والمؤلفة .

ففي المواد الدراسية ولاسيما التاريخ والاجتماع والتربية الوطنية والمعلومات المدنية ، وفي المواد الفلسفية تتجلى اتجاهات فكرية ومفاهيم مستقاة من عقائد ومذاهب فكرية مخالفة للاسلام ، ولو ان المؤلفين في هذه المواد يحاولون تجنب التعارض الظاهر للافكار الاسلامية ، وكذلك العلوم الطبيعية فانها تمزج بنظرات عقائدية خارجة في الاصل عن نطاق العلم المحض .

ان هذه المواد الدراسية اخذت واستقيت من مصادر اجنبية عن طريق النقل والترجمة والاقتباس، وهي لدى اصحابها وفي حضارتهم قد اسست على مفاهيم فلسفية واسس فكرية معينة هي نتيجة تطورهم الفكري وظروفهم الخاصة ، منها : الصراع بين الدين والعلم ، أو بين الدين والعقل . ذلك الصراع الذي كان نتيجة لتشوه الدين وانحرافه الى وثنية جامدة ، وتقاليد عجيبة ، ومناصرة رجاله لاهل الظلم والاستبداد قبل النهضة وفي بدايتها ومعاكستهم للفطرة التي فطر الله الناس عليها .

لقد تجلت في هذا التفكير العام المسيطر على الثقافة نزعات فكرية تخالف التفكير الاسلامي والعقيدة الاسلامية واهمها كما يرى الاستاذ المبارك :

أولا :

النزعة الالحادية بشتى صورها ومذاهبها (المذهب الطبيعي منذ القرن الثامن عشر) سواء اكانت الطبيعة فيها هي التي تحتل المكان الاول (المادية الجدلية او الماركسية) ام العقل (المذاهب العقلية) ام الغرائز (الوجودية) وغير ذلك .

ثانيا :

النزعة القومية المغالية التي تتخذ من القومية عقيدة وقيما عليا ، وهدفا اعلى للحياة ، وتحصر التفكير والنشاط في الاطار القومي ، وتتجلى هذه النزعة واضحة في تدريس المجتمع العربي في كثير من البلاد العربية وفي مادة التربية الوطنية ، وفي الجو المدرسي العام .

ميلاد المدرسة الاسلامية اساس حل المشكل :

اما عن واقع مدرسة العالم الاسلامي ككل فقد ابتدأ بالحديث عنها وذلك في نطاق تحليله لصياغة العلوم المتعلقة بالطبيعة ومفاهيم التاريخ والمجتمع ، ومقاييس الاخلاق حيث يرى العلامة المبارك ان هذه الصياغة قد استمدت كلها من هذه الفلسفات المادية او المثالية المختلفة المعارضة لاسس الاسلام ومفاهيمه وعقائده ، وعلى هذا الاساس وضعت مناهج التدريس والفت الكتب في البلاد الاسلامية على اختلاف درجات التعليم .

اما تعليم الدين في المدارس العامة الرسمية أو الخاصة التي تحتذيها في البلاد الاسلامية فيؤلف رقعة صغيرة غير منسجمة في مجموع النظام التعليمي — يقول المؤلف — الذي وصفناه .

فهو يؤلف من الوجهة الكمية اولا نصيبا ضئيلا بالنسبة الى مواد الدراسة يتراوح في المدارس الابتدائية حسب نسب مختلفة .

وفي دور المعلمين في البلاد التي يدرس فيها الدين بهذه النسبة او اقل .

اما في الكليات الجامعية فلا تدرس الثقافة الاسلامية مطلقا الا في قسم اللغة العربية في كليات الاداب في بعض الجامعات حيث يدرس القرآن والحديث من الوجهة الادبية فحسب (1) والنادر لا حكم له في هذا المجال . . .

اما من الوجهة الكيفية **فالنقص اشد ، والخطر اقوى وذلك ان طريقة تدريس الدين ومناهجه وكتبه وأساليب كتابته وتعليمه كانت متأخرة جدا ولا تزال في كثير من البلدان الاسلامية بالنسبة الى مواد الثقافة الاخرى** ، في حين ان تعليم سائر المواد يسلك فيه

1) نظام (كلية الشريعة) و (كلية اصول الدين) و (دار الحديث الحسنية) في المغرب لا تخضع لهذا القياس .

اساليب حديثة مرغبة من حيث مراعاة مستوى الطلاب العقلـــــــى (2) .

ومن ناحية حسن التعبير وجمال التاليف وغير ذلك مما تراعى فيه احدث الطرق والاساليب ، نجد ان التعليم الدينى لا يراعى فيه — فى كثير من البلاد الاسلامية — سن الطالب من حيث استساغتـــــه للموضوع ، ولا تراعى فيه عقلية واساليب التفكير التى اعتادها فى ثقافته ، ولا ينظر الى المشكــلات القائمة فى نفسه ، وفى المجتمع الذي يعيش فيــه لمحاولة حلها عن طريق الثقافة الاسلامية ، فلا تزال تدرس فى بعض البلاد الاسلامية المتون القديمة التى لم توضع للصغار ولا للاحداث ، والتى كتبت باسلوب موجز معقد اشــد التعقيد (3) واصبحت بعيــدة فى طريقتها عن الحياة ، بعيدة عن ان تحل المشكلات التى حدثت فى عصرنا هذا ، سواء كانت مشكلات فكرية ام اجتماعية . وقد **يضاف الى هذا النقص ان يكون المدرس كذلك بعيدا عن روح العصر ، خالــى الذهن من مشكلاته ، غير مطلع على جوانب الثقافة العامــة المعاصــرة .**

ان هذا التقابل بين هذين النوعين من المواد الدراسية مادة الدين والمواد الاخرى ، وهذه الحال التى وصفناها تسبب نفور الطلاب من الدين وتكون فى نفوسهم نظرة استخفاف وازدراء لهذه المــادة ولمدرسيها ، يقابلها نظرة قبول واحترام للمــواد الاخرى وان مثل هذه العقدة النفسية حصلت فعــلا لدى كثير من الطلاب فى بعض البلاد الاسلامية التــى بقيت الحال فيها على ما وصفناه من التباين والتضاد بين الدين ، والمواد الثقافية الاخرى ، وقد ولدت هذه الحال ازمة فى نفوس الجيل ، وصراعا بين الدين من جهة والعلم والحياة من جهة اخرى . . وكان لذلك ردود فعل شديدة ونتائج سيئة فى اضعاف روح الدين لتتسرب الى عقول الناشئة التى تكون الطبقة المثقفة وفسح المجال للعقائد والافكار المعارضة للاســــلام ثم الطبقة الموجهة والحاكمة .

***

وبعد ، فان ما يقترحه المؤلف من الحلول يتناسب والمشاكل الثقافية القائمة فى العالم الاسلامى ، غيــر انى اعتقد اننا لم نصل بعد الى المرحلة التى يمكن فيها تطبيق تلك الحلول ككل ، وذلك لانى ارى شخصيا ان من الضروري العمل على بعث الروح الاسلامية فى الشعوب المسلمة بواسطــة :

1 — **النشاطات الفكرية غير المدرسية .**

2 — **وبالتاليف فى جميع اللغــات .**

3 — **وباعداد جيل من العلماء الاكفاء الواعــين لمقتضيات العصر ، القادرين على المجادلة .**

4 — **وبخلق تيارات ثقافية تربط البلدان الاسلامية بعضها ببعض ، العربية منها وغير العربية ، وتجعل الافكار تروج فى الداخل والخارج يتلقفها الشباب ويناقشونها .**

ولابد من اقتناعهم ايضا — كما ذهب الى ذلك الدكتور ممدوح حقى :

(بان الفكر العربى فى مسيرته الطويلة خلال اربعة عشر قرنا لم يخرج عن محور معين ، احد قطبيه العروبة ، وثانيهما الاسلام ، وانه مهما تمعج وانعطف ، وصعد او هبط ، وتيامن او تياســر لم يخرج قط عن الدوران حول هذا المحور الثابت ، وانه ما ابتعد عنه مرة الا عاد اليه راضيا او مضطرا ، وان سر قوة العرب وثباتهم على محن الدهــــر وشوائبه ، كامنة فى تمسكهم به ، وان بقاءهم حتــى اليوم — وقد بادت من حولهم امم كثيرة — هو هذا المحور الراسخ فى اعماق نفوسهم . . وان اي تطور حديث لا يستمد منه ولا يدور حوله ، لن يكتب لــه البقاء ، فمتى يفهم الساسة وقادة الشعــــــوب والاجتماعيون بان استيراد النظريات والعقائد مــن خارج هذا الجو لا يمكن لها ان تعيش فى الجو العربى الا غريبة منعزلة عنه او تندمج فيه ، وتستعير منه ، وتصبح جزءا من اجزائه (4)) .

---

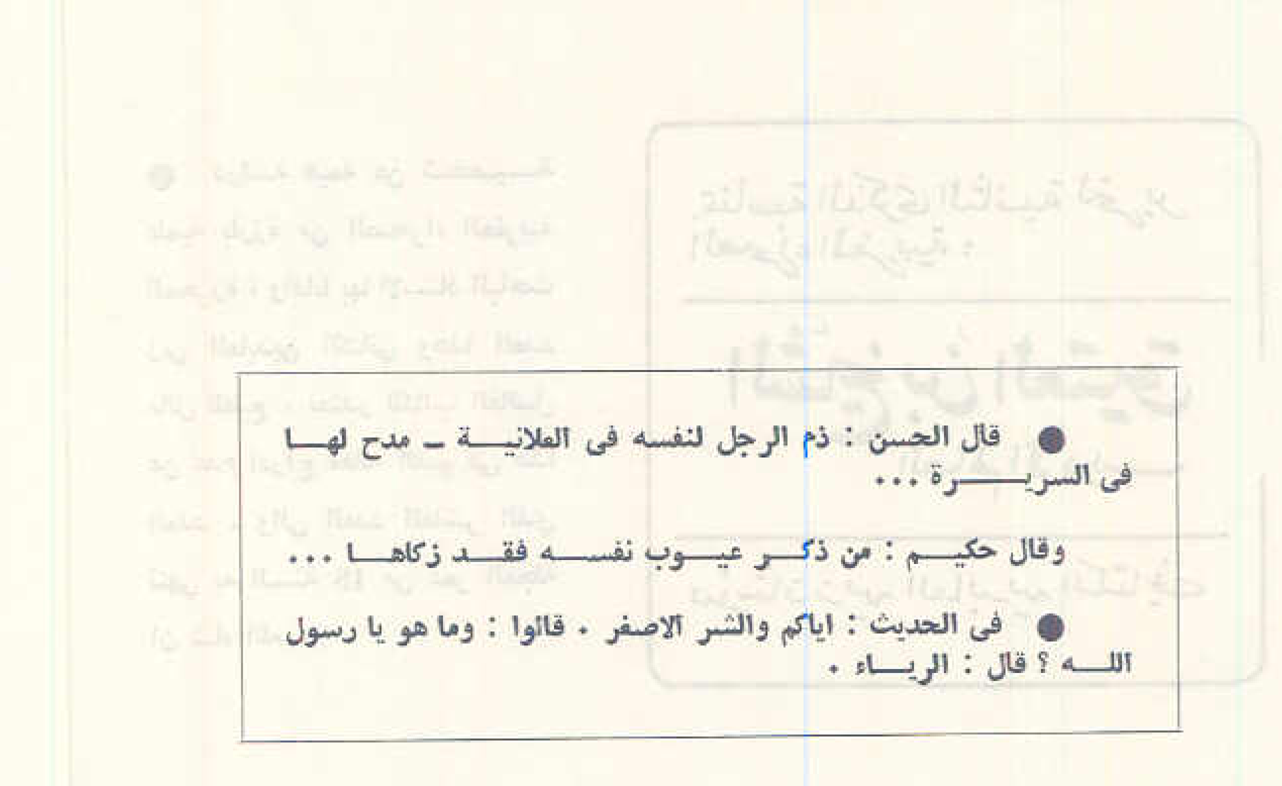
2) وهذا هو مشكل مشاكل هذه المدرسة لان تهيء الاستاذ لم يفكر فيه بعــد . . .

3) توجد محاولات مهمة هنا وهناك لابد من الاشارة اليهــا .

4) لا اتفق مع الاستاذ ممدوح وهو يستهدف العرب والامة العربية لولا اننى اعرف اصالة تفكيــره الاســلامــى .

وعلى اي حال فانى متأكد بأن بعث الاسلام لن يتم على يد كثير من العلماء التقليديين ، لا لشىء الا لانهم يمارسون نوعا من الارهاب الفكري ، ويعدون بالويل والثبور كل من لم يتبن آراءهم فى تفاصيلها ، ومن لم يتتبع طرائقهم فى التعريف بالاسلام ، وتلك مصيبة شباب العصر فى العالم الاسلامى بصفة عامة مع هؤلاء السادة ، وذلك ما نرجو أن يدخل فى جوهر المناقشة ، ونحن نخطو بعون الله الخطوات الواضحة للعودة الى الاصالة وتركيزها فى هدوء ، مما يشير الى الغد الذي تطل عليه هذه الامة وهى تفك ما بقى من اغلال ، وتصارع ما بقى من مخلفات ورواسب لابد أن تضعها بكل صدق وشجاعة فى اطارها الحقيقى غير هيابين ولا وجلين من العملاء ضحايا معسكرات الاستعمار الجديد ، وربائب الاستعمار القديم .

وعلى الله قصد السبيل .



● **قال الحسن : ذم الرجل لنفسه فى العلانية ـ مدح لها فى السريرة ...**

وقال حكيم : من ذكر عيوب نفسه فقد زكاها ...

● **فى الحديث : اياكم والشر الاصغر . قالوا : وما هو يا رسول الله ؟ قال : الرياء .**

● دراسة قيمة عن شخصية علمية بارزة من الصحراء المغربية المحررة ، وافانا بها الاستاذ الباحث زين العابدين الكتاني وهذا العدد مائل للطبع . نعتذر للكاتب الفاضل عن عدم ادراج مقاله القيم فى هذا العدد . والى العدد العاشر الذي ننهي به السنة 18 من عمر المجلة ان شاء الله .

بمناسبة الذكرى الثانية لتحرير الصحراء المغربية :

الشيخ بن العتيق

العالم الأديب

للأستاذ زين العابدين الكتاني

ديوان المجلة

- اريـج مكـة وعبيـر ريـاض
- وفـــــــاء
- يا مبدعـا هـذا الوجـود
- مـن لواعــج الذكريـات
- فعـزاء سلمـت من كـل ريـب
- واحـــر قلبــاه ! .
- الويـة العـز والايمـان والظفـر
- فـــردوس المساعيــد



ذكريات يفوح منها

أريج مكة وعبير رياض

للشاعر الكبير
الاستاذ عبد الله بلخير

جاءتنا من الشاعر العربى الكبير الاستاذ عبد الله بلخير القصيدة التالية مع تحية عاطرة تعتز بها « دعوة الحق » ويسرنا أن ننشر قصيدة الشاعر بلخير آملين أن يوافينا باستمرار بانتاجه الادبى والفكري :

السيد رئيس تحرير مجلة « دعوة الحق » الموقرة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ففى هـــذه القصيدة طيوف ورؤى والوان من أدب الجزيرة العربية تمثل حقبة قريبة العهد وتلونها تلوينا صادقا لعل فى طيوفها ما يحسن اطلاع أدباء المغرب عليه .

فان رأيتم هذا الراي فالامر اليكم فى نشرهـــا تبادلا لصور الحياة هنا فى جزيرة العرب . وفى مغربنا الاقصى المجيد مع التحية لكم ولاصدقائنا معالى احمد ابن سودة والاستاذين عمر بهاء الدين الاميري والفقيه الحاج محمد داوود فى تطوان والله يحفظ الجميع .

فى موسم حج عام 1396 (1976) كنت قد عدت من رحلة طويلة فى اوربا الى بيتى فى عمـــارة عالية مشرفة على النيل والاهرامات بمصر المحروسة وكنت جالسا فى شرفة البيت عندما امتلات غرف البيت كله بصوت جهير تماوجت به جنباتها منبعثا من جهـاز التلفاز فى غرفة الاستقبال وحوله العائلة فوثبت من الشرفة مهرولا لسماع الصوت المجلجل فى المنـــزل فاذا به صديقى واستاذي وشيخ العروبة وشاعرها العظيم الشيخ احمد ابراهيم الغزاوي وقد اشرق بـه التلفاز وهو يرتجز حولية موسم الحج ذلك العام فى الحفل السنوي بين يدي صاحب الجلالة الملك خالــد وجماهير أفلاذ أكباد العالم الاسلامى الذي يتام منـذ نحو خمسين عاما يكون فيه الاستاذ الغزاوي صوت الجزيرة العربية فى الترحيب بوفود العالم الاسلامى الى بيت اللـــه الحــرام .

ولقد جلست امام التلفاز وقد غمرتنى احاسيس الذكريات برائعة استاذنا الغزاوي فى الحفلات التـى تقام فى مواسم الحج من كل عام حيث أكون بـين جماهيرها وبجوار شاعرها وكانت تلك الحفلة منقولة عبر الاثير فى الحال من مكة المكرمة الى القاهرة وغيرها من زوايا الارض وهى آية الايات ومعجزة البينـــات ففاض خاطري وانا فى غمرة ما اراه واسمعه بهـــذه التحية القلبية والذكرى الشجية للشاعر العظيم ولايام صباي وشبابى فى مكة والرياض وقد كانت الذكريات حينئذ تهزنى هزا وهذه القصيدة من فيض الخاطر فى تلك الساعة تحية عرفان واكبار واجلال وولاء لشيخنا العظيم وهو يتخطى الثمانين من عمره الطويل ان شاء اللـــه . .

يا من تحير في (الاسراء) وضاق به
عقلا وما فيه من (آي) و (اخبار)

هل بعد مسرى رؤى (التلفاز) مشرقة
في الكون ، كالبرق ، من شك وانكار ؟

سمعت صوتك في بيتي المطل على — اهرام مصر ومجرى نيلها الجاري
سرى من (ام القرى) كالبرق اشرقت الد — نيابه ، في (ثوان) ذات اسحار
فلحت في شاشة التلفاز مرتجزا — حولية الحج طيفا ، مومضا ، ساري
لولا التقى ، خلت حولياته نسكا — بعد الفروض لحجاج وعمار
يفوح منها عبير (ام القرى) وروا — بي (طيبة) وشذا (نعمان) في داري
فكدت امشي الى التلفاز احضنه — شوقا ؛ والثم فيه طيفك الساري
وفاض ما غاض من شعري وكنت ولا — تزال ملهم افكاري واشعاري

***

ورنحتني رؤى لاحت على عجل — تموج ملء احاسيسي وافكاري
واحر قلباه للذكرى تجيش بها — خواطري وفؤادي الخافق الواري
اكاد اصغي اليها كالصدى بعدت — اغواره في ثنايا بئر او غار
فيها من انفاس (نجد) حينما عبقت — بها قوانيك مثل الند في النار
شممت فيها شبابي في (الريا — ض) فيا ذكرى (الرياض) وايامي وتذكاري
ربيع عمري بنجد كله عبق — بذكريات تغني والهوى ساري
اذا الربيع اتانا في مطارفه — وفاحت الارض من انفاس الازهار
مشي اليه (طويل العمر) (1) في صخب — وحوله ، كل رماح وبتار
ما بين (حزوى) وما بين (اللصافة) و (ال — صمان) و (الحفر) من روض وابار
نيرانه عرس (الدهنا) اذا اشتعلت — ملء الفضاء ، لا ضياف و (خطار)

***

في روضة (الخفس) و (الدهناء) كم نصبت — بها خيامي وكم قضيت اوطاري
وطالما اختلت في كثبانها مرحا — على شملة صوف ذات اوبار
امسي واصبح فيها والرمال بها — معازف الجن في انغام زمار
تمشو الرياح باوراقي تبعثرها — في خيمتي ، وباقلامي ، واحباري
وطالما سهرت حولي عباقرة — من (جن عبقر) سماري على ناري
جن الرمال السواق في مراقصها — من حول زوبعة او حول اعصار
جاؤوا من (الربع الخالي) تسيل بهم — كثبانه في عجيج زاخر واري

لهم على (الجود) من (عبد العزيز) قرى ... ومن (نداه) على ورد واصدار
مالوا على (خيمتي) في عارض لجب ... كالريح مال باشجار واحجار
بتنا على جنبات الرمل في صخب ... وفي اهازيج عشاق واخبار
يروون لي شعر اجدادي وانشدهم ... شعري ، فتمطىء (الدهنا) بالاشعار
تغني الينا صبايا الجن معجبة ... بشاعر ، لبنات الجن ، سحار
متهتهات ، اذا داعبتهن بما ... يثيرهن ، من اخباري واسراري
تقول لي (نارة) منهن ، كن حذرا ... منا ، فعشق بنات الجن من نار
فقلت : عشق صبايا الانس موقدة ... نيرانه فاسأليني عنه يا (ناري)
فكم وردت وصحبي الماء مصطبحا ... على (رماح) بدلوي ، للهوى شاري
عليه من (ريم نجدا) كل مسعرة ... للعشق يخشى هواها كل مغوار
ريم (الدواسر) أو (حرب) وجارتها ... (قحطان) او من (سبيع) العزم والثار
فيهن من خلق الاسلام عفته ... ومن سجاياه غض الطرف للجار
ازاحم البدويات الصباح على ... جر الدلا والهوا يلهو باطماري
من كل دولة الاهداب ضامرة الا ... حشاء يدلي (رشاها) زندها العاري
اذا تمطت تجر الدلو مال بها ... كما يميل بخفق الراية الصاري
تحمله بين يديها ، ثم تسكبه ... في الحوض ، للبهم ، في زهو وتكرار
كانها مهرة غراء تلعب في ... روض وحول غدير بين امهار
فتنتشي حولها الانظار وهي بها ... نشوى ، فيا سحر انظار لانظار
سحر حلال واخلاق مطهرة ... مع العفاف بلاشين واكدار
كنا بها في (حمى عبد العزيز) ابي الـ ... تاريخ ، نرفل في حل واسفار
واليوم في (خالد) العقبى يحف به ... (فهد) وان به للمخلص الضاري
كلاهما ، في مسار المجد مؤتلق ... يبني صروح حضارات واعمار
شيخ (البطاح) وشيخ العايذين بها ... من اهل (مكة) من اهل ومن جار
الذكريات اهاجتني وانت بها ... في (حارة الباب) من (ام القرى) الداري
والذكريات عبير العمر يعبق في ... ايامه ، وليالي مده الجاري
لي في (الشبيكة) (2) عهد لا زال به ... صبا ففيه صباباتي واخباري
اضاء فجر حياتي في (ازقتها) ... ولا يزال بها قلبي واشعاري
في كل شبر تراب في (ملاعبها) ... ذكرى ترفرف في سمعي وانظاري
لم تنسنيها روابي (النيل) وهي هنا ... جنائن الارض من حور وازهار
بكل (حفنة رمل) من محصبها) ... لا اشتري (لندن) الغناء ولا (باري)

درجت فى (برحة المحجوب) احسبها ... دنيا الورى ذات اقطار وامصار

اذا النوى طوحت بى (للحجون) بدت ... لى (مكة) ذات ابعاد واسفار

وطالما قمت فى (الماحى) (3) مكبرة ... خلفى صفوف تراويح واذكار

يؤمها (ابن ثمان) فى عمامته ... اذا تلا (الجزء) كان الحافظ التاري

يدري (العريف) (4) بها ان لم تخنه بها ... (الستون) فهو (شبيكى) الهوى جاري

***

ولست انسى دخول (الركب) (5) صاخبة ... جموعه فهو فى سمعى وابصاري

والركب انست به ادرى واحبنى ... ببعض ما كان من اخباره داري

اذا تعالى به صوت (الحداة) زهت ... ركائب (الركب) فى زهو واكبار

تهتز منه شعاب (أم القرى) طربا ... فى امسيات من الذكرى واسحار

اذا سمعنا بشير الركب سال بنا ... (لحارة الباب) سيل صاخب جاري

يهزنا صخب (البشرى) كأن بنا ... مسا من السحر من قيثار سحار

تكاد تسبقنا فيما نخب له ... (اعلام جرول) من دوح واشجار

وتنتشى كل (حوراء مطهرة) ... ملء النوافذ فى آفاق اقمار

كان فى شرفات الدور لمع سنا ... مجرة ، من نجوم ذات انوار

فيهن من (عبد شمس) كل فاتنة ... تطل من شرفات ذات استار

لهن فى صهوات الخيل (افئدة) ... يزهو بها (الركب) من آل واصهار

يرمينهم (بفتات المسك) عايذة ... شفاههن بذكر (الحافظ البارى)

ويعبق (العود) فيها من (مباخره) ... يضوع فى الحى من دار الى دار

مع (الزغاريد) اجراس النجوم اذا ... تماوجت فهى من اصداء اوتار

تهتز منها نياط القلب خافقة ... ضلوعها كاهتزاز السلك من تيار

***

حتى اذا ما تبدي للحداة به ... (باب السلام) كبدر التم للساري

تماوجت فى شعاب (أم القرى) وسرت ... اصواتهم فى خشوع المتقى البار

مصلين على (خير الانام) فيا ... لله من صلوات ذات آثار

وثم طافوا (ببيت الله) وانتشروا ... فى الحى بين ذوى القربى والاصهار

وباتت (أم القرى) تزهو مصفقة ... شعابها فى اهازيج وسمار

كانما كل حى فى مباهجه ... رفارف (الخلد) من زهر واطيار

***

يا (شيبة الحمد) فى (وادي النبى) وجا ... ر (البيت) ذي الركن خفاقا بالاستار

ذكرى لعينيك (يا شيخى) يفوح بها ... (اريج مكة) فى أعقاب امطار

كأنها من عبير الاذخر انتشرت ... ملء الاباطح من نجد واغوار

اشجى واطرب من جرس تماوج من ... نارا من الفتنة الحمراء على نار

***

ذكرى (الثمانين) والدنيا مصفقة ... من حول (احمد) فى انغام قيثار

ضمختها بشذا قلبى ترددها ... هضاب (مكة) ذات (البيت) و (الغار)

اذا تغنى بها (جيران ابطحها) ... غنى بها فى (السراة) كل سيار

فيشرئب (ثبير) فى مطارفه ... طوحا (لامير الشعر) و (الجار)

يكاد أن يتهادى فى جنادله ... يقبل (المغرق) المغمور بالغار

***

على (سميك) ابن (أم القرى) وشفيـ ... ـع الخلق (احمد) من آل وانصار

ازكى الصلاة تعالت من حناجرنا ... اذا التقينا بحجاج وزوار

عبد الله بلخير

القاهرة 7 ذي الحجة 1396 هـ ــ 1976 م

---

1 ــ طويل العمر المرحوم العظيم الملك عبد العزيز موحد الجزيرة العربية والناهض بها وكنت موظفا فى ديوان جلالته و (حزوى) و (اللصافة) و (الصمان) والحفر والدهناء وروضة الخفس ثم رماح رياض ومياه وغدران اماكن مشهورة فى نجد تفوح اشعار العرب بذكرها والشوق اليها والوقوف بها والتنقل بينها وكان طويل العمر الملك عبد العزيز رحمه الله يرتادها فى اقبال الربيع ويخيم فيها ويقيم بها فى مواكبه الصاخبة فينزل بها على أهلها كما ينزل الربيع ويصرف شؤون الدولة شهورا عديدة من خيامه بها ومن مكاتب ديوانه المتنقلة .

2 ــ الشبيكة الحى المعروف من احياء مكة المكرمة نشأت وترعرعت فيه و (برحة المحجوب) ساحة ذلك الحى وملعبه كنا فى طفولتنا نراها اوسع ما خلق الله من ملاعب الدنيا فيما نعلم يومئذ وافسحها واجملها ؟ والحجون الحى المعروف باعلا مكة المكرمة حرسها الله ولا نصله الا لماما .

3 ــ الماحى هى المدرسة الابتدائية التى انشاها الشيخ المربى محمد امين الماحى فى حى الشبيكة بمكة المكرمة وقد التحقت بها وحفظت القرآن الكريم فيها وكانت العادة يومئذ فى مكة ان يؤم الطلاب من حفظة القرآن الناس فى صلاة التراويح وكان ذلك فى عامى 1347 و 1348 .

4 ــ هو اخونا وصديقنا وزميلنا فى مدرسة الماحى يومئذ الشيخ عبد الله عريف امين العاصمة اليوم واحد الطلاب الذين كانوا يؤدون صلاة التراويح معنا فى تلك المدرسة ؟

5 ــ الركبه : الموكب السنوي الذي يشد اهل مكة فيه الرحال من مكة المكرمة الى المدينة المنورة لزيارة المسجد النبوي الشريف فى جمع زاخر له عاداته وتقاليده وبهجته واهازيجه ويوم عودة الركب الى مكة من ايام ام القرى الغراء المحجلة تحتفى مكة كلها بالعائدين فى مهرجانات صاخبة لا نظير لها .

وفـــاء

للشاعر الأستاذ محمد الحلوي

مهداة الى روح صديقنا الشاعر ادريس الجاي تغمده الله بواسع رحماته .

امن قفص الدنيا الى قفص القبر … تسوقك ايدي الموت ، يا بلبل الشعر ؟
طوتك يد تختار كل نفيسة … ولا تجتني الا الرطيب من النور
واطفيء نور كان يومض فى الدجى … سناه ، مطلا مثل اطلالة الفجر
وقالوا قضى ادريس ! قلت نعم قضى … حقوقا عليه للثقافة والفكر
مشى فى ركاب الشعر يهفو الى العلا … وأبدع فيه وهو فى ميعة العمر
وراض قوافي الشعر وهي شوارد … وصاغ معانيه قلائد من در
قضى عمره يشدو ، ومن حوله يرى … نياما ، وآذانا تعاني من الوقر
فلم يثنه موج الظلام عن السرى … ووالى خطاه وهو فى مهمه قفر !
وفتح للدنيا وللخير قلبه … وقاوم ما استطاعت قواه ، قوى الشر
عصامية شدت عراها اصالة … ففاضت كينبوع تفجر من صخر
وروح اعتزاز بالعروبة لم يزل … يردده فى لهجة الوطني الحر
سقته الحياة الحلو من رشفاتها … ولم تروه حتى سقته من المر
كؤوسا دهاقا اذبلت زهراته … وألوت بريا عطرها نوب الدهر

وعاركها في عزة وشجاعة ... وذلل منها كل مستصعب وعر

وما اختار أرض الغال أرضا لغربة ... ولكنه حج الى عالم الفكر

ولو أمنت بيض الحمام بزاتها ... لما نزحت بيض الحمام عن الوكر !

وما كان يشكو دهره وعقوقه ... ولم يشك من اخوانه خلق الغدر

ولكن شكا مما يعانيه شاعر ... وما يتلقى من جفاء ومن هجر

اذا شاء أن يحيا أمات ضميره ... وان مات لم ينعم بصالحة الذكر !

وهام كانسان بكل فضيلة ... وحام على اللذات في كنف الستر

وما كان الا مسلما لبس التقى ... شعارا وان لم ينج من دنس الوزر

سوانحه في الله تنهض حجة ... وعذرا اذا ما احتاج ثم الى عذر !

مشاعل تسعى في مراتع روحه ... وحور حسان في مطارفها الخضر

وآفة هذا الشعر ان رجاله ... قليل وان كانوا كثيرا بلا حصر

غناء ولا معنى ، وصوت ولا صدى ... وغيم ولا قطر ، وزهر بلا عطر !

اشاحوا عن الماضي ، فلم يأت منهم ... غناء ، وهل تغني السواقي عن البحر ! ؟

وفي شعر ادريس رؤى عربية ... ونبع جرى من ذلك الكوثر الثر

وصوت من الماضي البعيد يشدنا ... اليه ، وفخر الشعر في امة الشعر

يعز علينا أن تودع بالبكا ... ويدعي رفاق الشعر فيك الى الصبر !

بكوك بلا دمع يراق ولا أسى ... ولا خطب تلقى ولا مادح يطري

وهل كنت الا عابرا وابن عابر ... يحث خطاه لاهثا مجهد السير

ونحن رفاق الدرب ظلت تشدنا ... أواصر قربى باقيات مدى الدهر

نحييك بالشعر الذي مشت واقفا ... بمحرابه القدسي تشدوه في كبر

سنهديك منه باقة اثر باقة ... مضمخة الانفاس فواحة النشر

الا ليت شعري هل يجودون بعدنا ... علينا كما جدنا ببيت من الشعر !

وما كل شعر الارض يجدي وانما ... عقوق ذوي الابداع نوع من الكفر !

ولست سعيدا أن اقوم بموقف ... يذكرني ماذا يؤول له امري

وحسب المنايا واعظا لمغفل ... يخبر عنها وهي منه على شبر !

سلام عليه لا سلام مودع ... فموكبنا يمشي اليه على جمر

ولم ارث ادريسا بشعري وانما ... رثيت به نفسي وان كنت لا ادري !!

يا مبدعاً هذا الوجود ...

للشاعر الأستاذ علال بن الهاشمي الفيلالي

يا مبدعا هذا الوجود بحكمتك
يا واهبا ... ومنزها فى وحدتك
الفجر وضاح السنا من صنعتك
والشمس والافلاك آية قدرتك
آمنت انك واحد فى عزتك
يا رب ... قلبى خافق بمحبتك
اهوى رضاك ... واستجير برحمتك

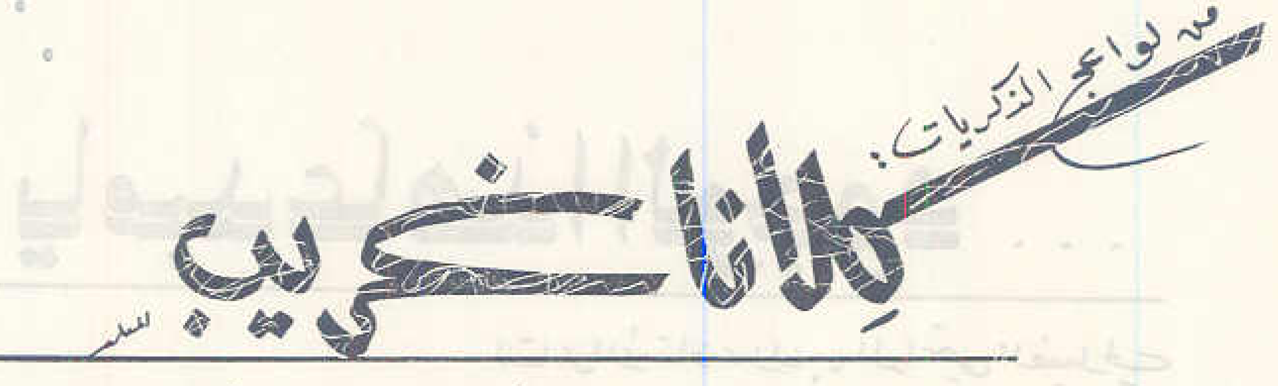
*
**

يا ربنا ... تجري الحياة كما تشاء
نهفو اليك .. نحن . نمعن فى الدعاء
اسعدتنا ... وبعثت خير الانبياء
المصطفى ... هادي الانام الى الضياء
آي الكتاب لنا حياة واهتداء
فى نورها الانسان يحيا فى صفاء
يبنى حضارته على اسس الاخاء

*
**

يا رب . . . هديك خالد متجدد
ما بال افكار تزيغ وتلحد . ؟
كيف الخلاص . ؟ وجوننا متلبد . ؟
تلك المذاهب هل تراها تنجد . ؟
والفكر فوضى حائر متمرد . !
لا حل يرجى . . . أو معالم ترشد
الا التقى ــ تحيى القلوب وتسعد .

الرباط ــ علال بن الهاشمي الفيلالي



للأستاذ الشاعر : عبد الكريم التواتي

امام ضريح العالم الفقيه سيدي ابن ابى جيدة بفاس تنتصب نخلة فارهة الطول فريدة ، وكلما مررت من هناك استرعت انتباهي وذكرتني بمسقط الراس (تميمون توات) ، وتسجيلا لما تلهمني من ذكريات انشدت هذه القطعة ... ع ــ ت .

كلانا غريب يا نخيلة ماله ... انيس يواسى او قريب يساعد

نبت بك دار قد نبت بى مثلها ... غريبين عشنا روعتنا الشدائد

ولوعنا بين الاحبة والنوى ... فهمنا نعانى مسرة ونكابد

فيا اخت تاساء ، فما كانت الدنى ... سوى غير ، للعالمين مصائد

كلانا غريب ، غير انك حرة ... وانى أسير محكم القيد واحد

لئن طوحتنا ، يا نخلة غربة ... فما غرب الاحرار الا المحامد

مطامحنا ناءت بعبء مجالها ... دنى الناس فارتادت طموحا تراود

تداعبك الارياح طورا وتارة ... يهزك اعصار عنى مناكد

اذا ذكرتك الريح اهلك والحمى ... تأودت نشوى والاحبة رائد

وان انا هزتنى الصبا خلت انها ... عناق أهلى عاش اهلى الاجاود

الى منبت الاحرار ، يا اخت شوقنا ... به هتفت أحناؤنا والقصائد

منابتنا يا اخت صحراء آلها ... اباة اباة صامدون اساود

وهل فى الدنى غير الصحراء منبــت　　لحــر ، وهل فى غيرها عز سائـــد
اذا ذكرت صحراؤنا ، هتف النــدى　　الى ، وقال المجد : انى وافـــد

فيا اخت اذ اشكو اليك صبابتــى　　تسرى لوعتك الذكريات الخوالـــد
ونابتك مثلى لوعة قد اهاجهــا　　ادكار اخلاء الصبــا والتواجـــد
وهل بك ما بى من هوى وشجونــه　　وهزك شجو واحتوتك المراقـــد
وهل بك ما بى من حنين لمنبت الاصـــ　　ـــول الادانى منهم والاباعـــد

وهل بك شوق لارتياد ربوعـــهم　　تشوقــى لاربــاع الصحراء آبـد
وبى صبوة مشبوبة لظبائهــا　　فــؤادي بها ولهان والله شاهـــد
جآذر ، ما آرام « فاس » تطولهـا　　ولكنهــن الحور غيـد نواهـــد

اصحراء كثبان الرمال تشدنــى　　اليك ونخــل باسقــات فرائـــد
واخلاق اخوان كــرام اصولهـــم　　بهم يتباهــى الاكرمــون السيائد
فيا اخت روحى لن ترا لى اثيـــرة　　لدي ، واحنانى الحرار شواهـــد
شموخك يذكــى فى الحنايا مشاعرا　　تعشق نجواها بنوك الاماجـــد
فهل ارين تلك الربوع وارتمـــى　　باحضانها نشوان والشمل راشد ؟

الاهى بارك ما اروم وارتجـــى　　فآلاؤك الجلى حمى ومقاصـــد

فاس :　عبد الكريم التواتى

فعزاء سلمت من كل ريب

للشاعر الأستاذ المدني الحمراوي

خير اخت ضممت يا خير قبر ... اي نبل حويت لو كنت تدري
نحن أولى بصونها منك ، لكن ... حزتها — دوننا — بأوسع عذر
قدر الله قد دعاها ، وما من ... قدر الله للوري من مفر
قد رضينا بحكمة غير انا ... نتقلى على مواقد جمر
وبكينا فما شفانا بكاء ... فعرفنا ما كابدت أخت « صخر »
وغمرنا ارض المغارب دمعا ... فكأن البلاد لجة نهر
وجفا النوم كل عين ، وامسى ... كل بيت في مثل وحشة قبر
وتوارى عن العيون ضياء ... ومحا الحزن كل شمس وبدر
ليس غير السواد غشى عيونا ... ليس غير الاسى دهى كل فكر

***

عجبا للحياة كيف نراها ... متعة ، وهي ذات مكر وغدر
قد شغفنا بحبها ، وسكرنا ... من هواها بكأس ختل وسحر
كم صريع بغدرها وحزين ... وصحيح يُصيبه مس ضر
وشباب قد فاجأته بحتف ... ومصاب بعسرها بعد يسر
ابعد الله وجهها من لعوب ... تتلهى بكل جيل ودهر
تستبي اهلها بخلب برق ... وتمنيهمو ببسمة ثغر
تمزج العذب بالاجاج ، وتخفي ... غصة الفتك بين حلو ومر

عظم الرزء فيك يا خير أخت ... وحصان لم تجن متعة عمر
قد طواك الردى طرية عود ... كيف نسلو وما لنا اى عذر ؟
ليس يدرى لجرحنا فيك آس ... لا ، ولا يرتجى تكلف صبر
غبت فى لمحة فأعوز صبر ... كيف والكسر لم يجد اى جبر ؟
لهف نفسى على عفاف فقيد ... وسجايا ما شانها اي كبر
ان تكونى قضيت فالذكر باق ... ليس ننساك يا خميلة طهر
انت فينا بين الضلوع معان ... ومثال لكل نبل وبر
احتسبناك عند رب كريم ... نرتجى أن يثيبنا خير أجر
وكفى انك الشهيدة فى يو ... م عظيم مضى اخوه ب « بدر »
هو يوم فى خير شهر فطوبى ... لك ، لكننا اصبنا بخسر
فوداعا يا درة المجد ، يا من ... كسدت بعدها لالىء بحر
وعلى روحك الكريمة ازكى ... رحمة فى ربى فراديس خضر
وسلام عليك بالشجو يسري ... فيناجيك فى أصيل وفجر

***

يا هماما فداه كل نفيس ... وعزيز اليك آهة شعر
بلبل الحزن فكرها ، فهى حيرى ... تتلوى ما بين حرف وسطر
اقبلت تلثم البساط وتفضى ... بالتعازي اليك من عمق صدر
فتصبر سلمت من كل ريب ... ولتعش فى دوام حفظ وستر
ان تكن « نزهة » العزيزة اودت ... فالى الله راجع كل أمر
ولنا فيك اذ بقيت عزاء ... يا حبيبا نراه انفس ذخر
ورعى الله اسرة نفتديها ... وحماها من كل خطب ونكر
هى بين الجفون — حرصا عليها — ... ولها فى ضلوعنا بيت سر
ربط الله بيننا برباط ... من ولاء يجل عن كل قدر
هو فينا أمانة ، وأمان ... ان أطعنا ما جاء فى خير ذكر
حرس الله عرشنا ووقانا ... به من فتنة وهول وجور
ورعى مهجة من الحسن الثا ... نى ، وأولاه كل عون ونصر

الرباط — المدنى الحمراوي

وَاحَـــرَّ قلبــاه !!!

للأستاذ الشاعر محمد بن محمد العليمي

> **قصيدة فى رثاء صاحبة السمو الملكى الاميرة الجليلة للا نزهة التى وافاها الاجل المحتوم اثر حادثة سير ـ تغمدها الله بواسع رحمته واسكنها فسيح جناته ـ**
>
> م. م. العلمـى

سلام على الاشراف فى السر والجهر ،   سـلام على الاقمـار والانجـم الزهـر

سـلام علـى الجنات تهتـف حـورهـا   بنزهـة ذات المجـد ، طيبـة الذكـر

سـلام علـى اشراقهـا وشبابهـا ،   سـلام عليهـا وهـى لامعـة الثكـر

سـلام علـى ذاك الربيـع وحسنـه ،   وقـد زاده الايمـان طهـرا الى طهـر

سـلام علـى العـرش المجيـد تحنـه   **مـن اللـه الطـاف الشجاعـة والصبـر**

سلام علـى (عصمان) فى رزئه الـذي   تفاقـم فـى مأسـاة حادثـة السيـر

فواحـر قلبـاه مـن الصدمـة التـى   اصابت سواد العين والقلب فى الصدر ! !

هو المـوت لا حـول لدينـا جميعـا   ولا قـوة تلقـاه مـن حيـث لا نـدري

فكـان ومـا ينفـك نقطـة ضعفنـا ،   فسبحان ربـى ، مـن تفـرد بالقهـر

هـو الحى ، قيـوم الوجـود ، وملكـه   يـدوم ويبقـى دائمـا ابـد الدهـر

اذا مـا تقضـى امرا ، فـان قضـاءه   بقولـه : « كُـن » يجري على التو والفور

ولا خيـر فى الدنيـا ، لمن وثقوا بهـا ،   ففـى شهدها سـم مـن العلقـم المـر

وفى حضنهـا الاضداد تصهـر اهلهـا ،   ومـا احـد يـدري الحقيقـة فى السـر

فمـا جمعـت الا وفـرق سهمهـا   جموعا ، فلـم تثبت علـى العسر واليسر

وتدبيـر رب النـاس جـل جلالـه   يـرى وحـده سـرا من الخير والشـر

وفي رمضان الاجر كان مضاعفا ... لمن ظفروا بالاجر من صاحب الامر

كذا تحكم الاقدار في الخلق كلهم ، ... وتعصف بالاحباب في عمر الزهر

اذا قطف الموت الزهور طرية ... فقد عبقت في الخلد رائحة العطر

وآل رسول الله في ظل جدهم ... تباركهم نجواه في الحشر والنشر

وللحسن الثاني محبة ربه ، ... وعهد وثيق صح من شعبه الحر

ونحن رفعنا ضارعين دعاءنا ... له دائما بالفتح والعز والنصر

وقد حفظ الرحمان مجدا مؤثلا ... لعرش حباه الله معجزة العصر

رايت لدى القرآن اقوى ضمانة ... وخير ملاذ للرعية والقصر

وفي الحسن الثاني ارى الشمس اشرقت ... وفي ولي العهد ازدهت طلعة البدر

وفي الماجد المولى الرشيد تكاملت ... محاسن هذا العقد من انفس الدر

وفي الخامس المرحوم احسن قدوة ... لوارثه في النبل والحمد والشكر

هو الفخر في اسمى الجدود لعرشنا ... يضيف له البانون فخرا الى فخر

عزاء لمولانا الامام وبيته ، ... فنزهته في الجنات مرفوعة القدر

عسى وحشة الليل البهيم تجبها ... شموس من الامال في مطلع الفجر

فيا رب بارك في المليك وشعبه ، ... وبارك له يا باريء الكون في العمر

ومعذرة ان اخرس الحزن منطقي ، ... وكنت قصير الباع في النثر والشعر

فاني بما قد هالني واصابني ... عجزت ، فكان العجز ابلغ في العذر

الرباط ــ محمد بن محمد العلمي



ألوية العزّ والإيمان والظفر (1)

للأستاذ ابو بكر البوفصيبي

وانتك تختال بين الاي والسور ... تسائل القوم كم فى القوم من عمر

وكم وكم لابن مسعود واخوته ... فى هذه الارض من ذكر ومن اثر

ومن خليل دهى فكري بمختصر ... معمم بجلال العلم متزر

يا اهل سوس امد الله جمعكم ... بما امد به رواد مؤتمري

ما كان أولاكم شعري يخاطبكم ... ولن يكون بلا مختاركم وطري

وانى يكون وكيف الشعر واسفى ... بلا انيس بلا شمس بلا قمر ؟

انتم شموس ذوى الاقلام لا عجب ... ان افصح الشعر عن حبى وعن سهري

وكيف لا وانا الملتاع جئتكم ... كى اعرض اليوم هذا الجزء من فكري

وكى اقول لجمع الدراسين هنا ، ... عرج على ما وراء الطاح (1) واعتبر

على العيون ، على القوم الكرام بها ... على الذي زارنا منهم ولم يزر

واذكر هنالك من كانوا ائمتنا ... كانوا هنالك ملء السمع والبصر

كم عطروا ارض تيندوف بذكرهم ... وكم لهم فى مجال العلم من درر

ما لى ارى بعضهم جاؤوا وبعضهم ... من التنادسة الابطال كالحجر

فلا جموع تصور توات حاضرة ... ولا هنالك جمع غير منكسر

لم يكتبوا لم يقولوا! الشعر من قدم ... لم يستريحوا من الاتعاب والكدر

قل للجزائر ان دست تراثهم ... وشوهت منه مع افعالها الاخر

انا لعمري وان جارت وان طمست ... فاننا باسم هذا الجمع لم نجر

---

1) القصيدة التى القيت بمؤتمر رابطة علماء المغرب المنعقد باكادير .

حتى تجيج وحتى فاس وآسفي   كم ضم عادلهم منها الى الجزر

سلوا (نويهض) عن اعلام مغربنا   فانه يا عباد الله غير بري

الى متى وضروب الغش تخدعنا   ونحن عن ترهات القوم في سفر

لا جورجي زيدان يبدو في تعنته   لهم شبيها ولا طيراس ، في الخبر

رغم المسيحية العمياء ما بلغوا   لمثل ما بلغ الاخوان من هذر

قالوا ابن تاشفين ما كانت شجاعته   الا لانه دوناب وذو ظفر

وان دولته ، العظمى قد انطمست   لانها غير نندرومية الاطر

وان عصر ابن رشد من صنائعهم   وانهم آل منصور ومنتصر

واننا مثل ما قد قال قائلهم   شعب ترامى على قيادة البشر !

الله فينا وفي اعصاب امتنا   وفي بنينا فهم مرضى من الكدر

يا يوم رحلة ادريس وبيعته   ويوم معركة الزلاقة افتخر

واذكر من الحسن الثاني مسيرته   واربط مآثره مع سالف العصر

واشرح كما شئت فالتاريخ ملحمة   خضراء يانعة الاغصان والزهر

يا ارض فاطمة الفهرية انطلقي   وحدثي عن ذوى الاثار والطرر

يا اخت مريم يا عنوان مؤتمري   هزي بجدعك يسقط يانع الثمر

وحدثي عن بني الملجوم اجمعهم   وعن حرازم عن الدراس عن مضر

عن مالك عن موطاه وما تركت   في المغربين وفي الصحراء من اثر

وخاطبي ، اختك الحمراء لا تدعي   هز ميراث بني اغمات للقدر

فان منها ومن احشائها انطلقت   الوية العز والايمان والظفر

وحركي آل تطوان فان بها   في كل ناحية درسا لمعتبر

بغداد تاتيك يا تطوان ما انطلقت   الا على نغمات الناي والوتر

ولا تبدي شرود في ضمائره   الا استهان (بفقد العز في الحضر)

كنون ادرى بمجد المسلمين هنا   مجاهدين وسجادين في السحر

متارعين ذوي الالباب شاخصة   ابصارهم لبطون الكتب والسير

يا معشر العلماء الغر لا تدعوا   تراثنا عرضة للزيف والغير

هم شوهوه وهم زادوه منقصة   وبعض كتابنا زادوه في القصر

والبعض لم يدر ما ضمت جوانبه   ولا درى ان هذا منتهى الخطر

من اجل هذا قصدت اليوم جمعكم   اشكو واسأل هل في القوم من عمر

وليس لي مثل كنون يلاذ به   ولا سوي اهل هذا المجمع العطر

فردوس المساعيد

للشاعر الأستاذ محمد البوعنافي

ليلاى ردي الى ليلـي أناشيـــدي ... وباعدي بين ابداعي وتقليـــدي
سأبدع اليوم لحنا لم تغـن بـه ... عرب ، ولا سمعته الجن فى البيـد !
وبدعة الشعراء الظامئيـن الـى ... عينيك ما شربوا الا بتحديـــد
تنهلوا وامانيهـم تؤججهـــا ... قحولة ، فاستظلوا دون تبريـــد
الا انا فلقد اشبعـت ملحمتـــي ، ... وقد علمت تهاليلـي وتغريـــدي
كما علمت بأني ما قصدتـــك فـى ... شعري سوى كي تمري خلف مقصودي

قصدت بابك يا خزان مكرمـــة ... وليس بابك فى الفتوى بمســدود
ولست أحني لهوجاء الريـــاح ولا ... أهوى الدوالي بلا ظل وعنقـــود !
اشم من تافيلالت النخل مقتبـــا ... من الحجاز شعاعا غير مـــوؤود ،
وعرشنا خلف يقتات من سلـــف ... مناقبا كلها تيجـان تخليـــد !

مولاى ، شبت بك الدنيا وكـان على ... جبينها وسخ ... بين التجاعيـد
ايقظتها ، فاستحت من وجه سيدهـا ... وغلفت وجهها امـواج توريـــد
وكنت فى حلمها الماضي كمغفـــرة ... جديدة تركـت محـراب داود ...
تقود شعبك والصحراء مائلـــة ... مع النـداء بآلاف المواعيـــد
وانت تغلق باسم اللـه نافـــذة ... على الدخيل واشبـاح التقاليـــد

قد كحلت اعين الدنيا مسيرتنـــا ... وعطرت كل لحن فى فم الغيـــد
فلا ترى غير معتـز بخطوتـــه ... ولا ترى غير سبـاق لتأييـــد

ونحن لا نرتضي الدنيا بقشرتها … ولا تنام على ماء وقديد
ولا نحب مساواة بلا عمل … وحريات بلا حبات محصود
نختال بالسعد حتى صار مغربنا … ارض السعادة ، فردوس المساعيد
عبدت كل طريق كان ملتوينا … وقاد رايك فيه خير تسديد
ولم يكن ـ قبل ان تمتاز لقمتنا ـ … الا قفار جراحات ، وتشريد
وكنت داعية في كل مؤتمر … بل كنت قمته ، للبيض ... والسود
وحينما هدد العدوان مشرقنا … طلعت فيه باثبات الصناديد
وعطرت مصر والجولان من دمنا … صدر الرمال ومحروق الاخاديد
فهل نخاف ، وانت السلم في يدنا … والحرب ان بزغت رايات منكود ؛

توسد الاطلس الدنيا وانت على … جبينه يقظة بين التفاريد ،
عيد ظهورك في آفاقه امل … وانت نافلة الاسلام في العيد
وراءك السحب لا تدنو الى قمتنا … حبلى ، وترضع احلام العناقيد ...
الا اذا كحلت اهدابها فتن … من جودك المقتفى في كعبة الجود !
تملي على المجد آيات الخلود وما … تمل من مد ابداع وتجديد
تشد عروتنا الوثقى ، وتحرسها … ومن بنانك يجري حل معقود
والامهات اذا رتلن بسملة … ختمن باسمك يتلوها بتجويد
لقبن باسمك اكبادا والوية … على الحدود ، واوراقا على العود
فلا اعتزاز سوى بالطفل نطلقه … الى الحياة بلا كره وتقييد ،
ولا مفاجاة الا لتطربنا … ولا خضوع سوى حب لمعبود
والشمس هامت بنا ... فامتد مغربها … بقلبنا ، ثم نامت عند مولود
اسرابها بعدما ذهبن ساحلنا … وشمنه بصبابات ... وتعييد !
وانت حين ينام النوم ... تبحث عن … صباحنا بين اجفان المواليد
ولم اكن مغربيا عاد طائره … الا لانهي في ناديك تغريدي !

محمد البوعناني

وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية يجتمع برؤساء الاقسام والمصالح بالوزارة

● عقد السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور احمد رمزي فى مقر وزارته اجتماعا مع رؤساء الاقسام والمصالح الادارية بحضور الكاتب العام بالوزارة اعطى فيه السيد الوزير نظرة اجمالية عن كيفية تسيير الوزارة فى نطاق الرسالة التي تتولاها الوزارة والاهداف التي تتوخاها .

كما ابرز السيد الوزير مسؤولية وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فى ميدان التوعية الدينية خاصة فاهاب بالسادة العلماء ان يبلغوا الرسالة الاسلامية فى المجتمع المغربي بجميع فئاته ، وخاصة منها الشباب.

وركز فى هذا الصدد على اختيار الاسلوب وانتقاء الوسيلة فى طريقة التبليغ قصد استجلاب شبابنا المسلم ، ورفع همته الاسلامية .

وبخصوص عمل الوزارة فى المجال الاداري البحت طلب الوزير بوجوب عمل تكاملي يتحمله جميع الموظفين مبرزا فى حديثه ان مؤامرة الصمت التي تحدث عنها صاحب الجلالة حفظه الله تتعلق بكل مسؤول شاعر بما له من واجبات مقدسة فى سبيل النهوض بالبلاد طبقا لتعليمات صاحب الجلالة حفظه الله ورعاه .

السيد الوزير يتفقد اشغال بناء مسجد محمد الخامس بطنجة

● قام السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور احمد رمزي بزيارة الى مدينة طنجة تراس خلالها افتتاح الموسم التقليدي لدار زهيرو . كما زار اوراش بناء مسجد محمد الخامس بساحة الكويت الذي سيكون اكبر مسجد فى افريقيا ويضم عدة مرافق حيوية كالمكتبة وقاعة للمحاضرات والنادي الثقافي ... الخ .

كما تدارس السيد الوزير مع المنتخبين والسلطات المحلية وضعية قطاع الشؤون الاسلامية وممتلكات الاوقاف باقليم طنجة .

وفد من مسلمي كوريا فى المغرب

● استقبل الدكتور احمد رمزي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بمقر الوزارة وفدا عن جمعية المسلمين فى كوريا الذي زار بلادنا مؤخرا برئاسة السيد الحاج محمد الياس وان ، ويتالف من 3 اعضاء .

وقد دارت المحادثات بين السيد الوزير والوفد الكوري المسلم حول العلاقات بين البلدين وجهود المملكة المغربية فى دعم النشاط الاسلامي فى هذا البلد الاسيوي الصديق .

ومن المعلوم ان صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله تبرع من ماله الخاص بمبلغ مهم لانشاء المسجد والمجمع الاسلامي فى سيول عاصمة كوريا الجنوبية .

برنامج توعية بمناسبة موسم الحج

● اعدت المصالح المختصة بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية برنامجا موسعا للتوعية الدينية بمناسبة موسم الحج للسنة الحالية . وقد اشتمل البرنامج على دروس فى مختلف مساجد المملكة وندوات تلفزيونية شاركت فيها نخبة من العلماء والمفكرين .

جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام

● تشكل لجنة دائمة مكونة من الشخصيات الاسلامية الآتية ، لاستعراض اسماء المرشحين ، ودراسة اعمالهم واختيار الفائز من بينهم :

— صاحب السمو الملكي الامير عبد الله الفيصل

— صاحب السمو الملكي الامير سلطان بن عبد العزيز

— صاحب الفضيلة شيخ الجامع الازهر

— صاحب الفضيلة امين عام المؤتمر الاسلامي

— صاحب الفضيلة امين عام رابطة العالم الاسلامي

وينضم اليهم كل سنة اثنان من هيئة الافتاء في بلدين اسلاميين مختلفين ، يختاران من قبل اللجنة الدائمة للجائزة ، وتتخذ القرارات باغلبية اصوات الحاضرين .

ويعتبر مؤهلا لاستلام جائزة الملك فيصل لخدمة الاسلام كل من قام بخدمة الاسلام والمسلمين وبجهد بارز يتعدى ما هو عادي ومفروض ، وينتج عنه فائدة ملحوظة للمسلمين تحقق هدفا او أكثر من الاهداف المنصوص عليها في مسببات سن الجائزة . وذلك وفقا لتقدير وحكم هيئة الاختيار ، ويجوز ان يشترك في الجائزة أكثر من شخص واحد .

ويتم الترشيح لهذه الجائزة من قبل المنظمات والجمعيات والاتحادات الاسلامية في جميع أنحاء العالم (لا تقبل ترشيحات الاحزاب السياسية)

المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية

● انعقد بالقاهرة يوم 14 اكتوبر الجاري المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية الذي يشرف عليه الازهر الشريف بجمهورية مصر العربية وذلك بحضور ممثلي عدد كبير من البلاد العربية والاسلامية وقد تراس المؤتمر الشيخ محمد حسنين مخلوف المفتي السابق للديار المصرية وعضو المجمع .

هذا وقد طلب اعضاء المؤتمر بضرورة دعم الازهر الشريف ومجمع البحوث الاسلامية من اجل الحفاظ على اللغة العربية وتراثها وأصولها والاهتمام بها حتى تكون الدعامة في سياسة العالم الاسلامي الثقافية والتعليمية .

وطالب ادخالها في مناهج التعليم العام بالدول الاسلامية ، وتقرير المنح والجوائز لحفظة القرءان الكريم ولمن يؤلفون بالعربية من ابناء البلاد الاسلامية في فروع الدراسات الاسلامية ، كما طالب بضرورة حماية المجتمع بتطبيق الشريعة الاسلامية .

وقد الح المؤتمر على ضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية على نطاق واسع باعتبارها المخرج الوحيد للازمات التي تعاني منها المجتمعات الاسلامية قاطبة .

100 مدرسة اسلامية جديدة في تركيا

● صرح السيد نجم الدين اربكان نائب رئيس الوزراء التركي أنه تم افتتاح 100 مدرسة اسلامية جديدة في مجموع التراب التركي . وذلك لتعزيز التعليم الاسلامي وتنشيط الدعوة الاسلامية الصاعدة في البلاد .

وستتولى هذه المدارس المائة اعداد الائمة والدعاة والخطباء والمؤذنين .

ومن المعلوم أنه توجد بتركيا 250 مدرسة اسلامية اضافة الى المائة الجديدة .

وقد اقيم بهذه المناسبة حفل كبير حضره نائب رئيس الوزراء والوزراء وسفراء الدول الاسلامية ومندوبون عن الهيئات الاسلامية في العالم الاسلامي .

وقد تحدث السيد نجم الدين اربكان عن دور تركيا فى نصرة الاسلام ونشره فى ربوعها منذ اكثر من الف سنة وكيف استطاع الدين الاسلامي رغم ما لاقاه المسلمون من اضطهاد من الصمود فى وجوه الاعداء .

وقال : اننا نعيش اليوم فى تركيا صحوة اسلامية كبرى . واضاف قائلا ان العالم الاسلامي اليوم يؤهل ليكون اكبر قوة من امريكا وروسيا بل اكبر قوة فى العالم .

واشار الى وجوب انشاء سوق اسلامية مشتركة لتقوية العلاقات الاقتصادية بين المسلمين لان عالمنا الاسلامي الذي يبلغ مليار نسمة فى حاجة ماسة الى مثل هذه السوق . واضاف قائلا نحن من المطالبين بانسحاب اسرائيل من كافة الاراضي العربية ، وحزب السلام الذي اراسه من المطالبين بالقطع التام للعلاقة مع هذه الدولية .

انشاء اول مركز اسلامي فى ايطاليا

● فى بداية العام القادم .. تبدا فى روما الاعمال لانشاء اول مركز اسلامي على الارض التي اهدتها حكومة ايطاليا للمغفور له الملك فيصل عاهل السعودية الراحل عند زيارته الرسمية لايطاليا .

وقد تكون للاشراف على بناء المركز الاسلامي فى روما وادارته مجلس ادارة برئاسة السفير المصري الشافعي عبد الحميد سفير مصر لدى الفاتيكان ويضم المجلس سفراء السعودية والسودان والعراق وعمان والكويت والاردن وليبيا واندونيسيا وافغانستان وايران وتونس وباكستان والمغرب فى روما .

وتقدر تكاليف المشروع باثني عشر مليونا من الدولارات اعلنت السعودية انها ستقدم منها سبعة ملايين دولار دفعت منها فعلا مليون دولار ونصف مليون دولار من كل من عمان والمغرب وتونس . وتقدم مصر مائة الف دولار وكل الخدمات الخاصة بالديكورات والزخارف الاسلامية الخاصة بالمركز الذي تتكلف مرحلة انشاءاته الاولى خمسة ملايين دولار .

المملكة العربية السعودية تدعم خطط وبرامج منظمة اذاعات الدول الاسلامية

● اكد الدكتور عبد العزيز محيي الدين خوجة وكيل وزارة الاعلام للشؤون الاعلامية فى الحكومة السعودية ورئيس المجلس التنفيذي لمنظمة اذاعات الدول الاسلامية حرص وزير الاعلام السعودي على تدعيم المنظمة والنهوض بقدراتها المتبادلة والانتاجية. وقال ان هذا الحرص ينطلق من ترحيب المملكة الدائم بدعم مختلف الخطط والبرامج التي تخدم الاسلام والامة الاسلامية فى جميع المجالات .

تفقد الاقليات المسلمة فى رومانيا وبلغاريا

● وصل الى مكة المكرمة قادما من انقرة فضيلة الاستاذ صالح ادزجان عضو مجلس النواب التركي وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي .. وقد اجتمع فضيلته بسعادة الاستاذ محمد صفوت السقا اميني الامين العام المساعد للرابطة وبحث معه نتائج الرحلة التي قام بها وفد الرابطة الى كل من رومانيا وبلغاريا لتفقد اوضاع الاقليات المسلمة فيهما ودعم احتياجاتها ومتطلباتها .

طبعة جديدة من الموسوعة العربية

● الموسوعة العربية الميسرة التي تخرجها مؤسسة فرنكلين باشراف كامل محمد فريد ستصدر قريبا طبعتها الثانية مزيدة بما طرا من احداث منذ الطبعة الاولى .. راجعها فنيا محمود عزت موسى ولفويا علي فوده .

شعائر صلاة العيد من راديو باريس

● لاول مرة يذيع راديو باريس القرآن الكريم وخطبة وشعائر صلاة العيد ضمن برنامج خاص عن

احدى الدول العربية وقد تم ترجمة الخطبة الى اللغة الفرنسية .

والمعروف ان راديو باريس يهتم اهتماما كبيرا وكذلك التليفزيون بكل ما هو خارج فرنسا من خلال برامج يطلق عليها (عالم آخر) يطلع فيها المتفرج والمشاهد على البلاد الاخرى .

بعثة ازهرية الى النمسا لتدريس العربية والدين الاسلامي

● تم الاتفاق بين مجمع البحوث الاسلامية والجمعية الاسلامية فى النمسا على ارسال بعثة من مدرسي الازهر الذين يتقنون اللغة الالمانية الى مركز الجمعية بفينا لتدريس اللغة العربية والدين الاسلامي بالجمعية وذلك على نفقة الازهر .

ومعلوم ان الجمعية الاسلامية فى النمسا تقوم برعاية المسلمين النمساويين البالغ عددهم 50 الفا من الناحية الدينية . كما أنها تقوم بنشر عدد من المجلات والنشرات وكتب التفسير للقرآن الكريم باللغة الالمانية .

معرض للفن الاسلامي بالنمسا ..

● يقام حاليا بأحد القصور الثقافية باقليم بورجن لاند فى النمسا معرض كبير للفن الاسلامي . المعرض يضم مجموعة نادرة من الفضيات المصنوعة فى ايران والهند ومجموعة كبيرة من الانيات الزجاجية واعمال فنية اخرى بالاضافة الى مجموعة متنوعة من سجاجيد الصلاة .

ادخال اللغة العربية فى مناهج الدراسات باسبانيا

● تدرس منظمة التربية والثقافة والعلوم مذكرة تلقتها من مدير مكتب جامعة الدول العربية فى اسبانيا حول تعزيز العلاقات العربية الاسبانية ، وتتضمن المذكرة مجموعة من الاقتراحات لتدعيم العلاقات الثقافية من بينها انشاء عدد من المراكز العربية فى مدن اسبانيا وادخال اللغة العربية ضمن برامج المدارس والجامعات .

كما تشمل المذكرة تبادل الاساتذة العرب والاسبان فى الجامعات العربية والاسبانية .

اجتماع مجلس امناء المركز الاسلامي

● انعقد مؤخرا بالخرطوم اجتماع مجلس امناء المركز الاسلامي . وحضره ممثلو الدول المساهمة في تأسيس المركز .

اسلام الشاعر القروي

● يبلغ الشاعر الآن الثالثة والتسعين وهو الرجل الذي عرفته المهاجر الامريكية كاحد وجوهها اللامعة، كان يرأس « العصبة الاندلسية » ، كما ترأس تحرير مجلة « الرابطة الوطنية السورية » التي كانت تصدر ايضا بامريكا .

كتب الشاعر القروي وصيته وفيها يقول انه مسلم (يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) وانه يريد ان يموت على دين الرسول العربي ، كما عاش ، انسجاما مع نفسه ومع تاريخه ..

وقد احب الشاعر القروي الاسلام عن طريق حبه الصوفي للعروبة ، اذ انتهى به هذا الحب الى الاعلان انه من اجل هذا الحب يريد ان يموت على دين الرسول العربي .

المغـــــــرب :

● انعقد المؤتمر الثالث للجمعية الافريقية للعلوم السياسية بالرباط من — 22 — الى — 26 — سبتمبر الماضي تحت الرئاسة الشرفية لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ، انتهى بانتخاب مكتبه الجديد والمصادقة على توصية نهائية .

ولقد انتخب المشاركون بالاجماع المغرب رئيسا للجمعية المذكورة في شخص : الاستاذ محمد البوزيدي رئيس الجمعية المغربية للعلوم السياسية كما انتخبوا أعضاء مكتب الجمعية على الشكل التالي :

— نائب الرئيس : شموباربرا من (زيمبابوي)
— الكاتب العام : موشيى من (تانزانيا)
— نائب الرئيس : عن شرق افريقيا : نافوديري من (اوغندا)
— نائب الرئيس عن افريقيا الوسطى : ريتوغى من (الكامـــرون)
— عضو اللجنة التنفيذية : تولي من (نيجيريا)
— نائب الرئيس عن غرب افريقيا : هانس من (غانا)

كما صادق المؤتمرون على توصيـــة نهائيـــة يعبرون فيها لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني عن شكرهم وامتنانهم لقبول جلالته رئاسة هذا اللقاء العلمي الهام وعلى المساندة المادية والمعنوية التى قدمها المغرب لهذا المؤتمر مما ساعد على انجاحه

— تعبر التوصية عن شجب علماء السياسة فى افريقيا لممارسة القوى الامبرياليـــة فى البلـــدان الافريقية ونهب ثرواتها وخلق الازمة فى اقتصادياتها

— كما يطالبون وضع نظام اقتصادي عالمـــي جديد تسوده العدالة والمساواة وممارســة الدول الافريقية لسيادتها على خيراتها الوطنية .

وعبر المشاركون عن مساندتهـــم المطلقـــة للشعوب الافريقية فى نضالها ضد القوى الامبريالية وشعب فلسطين فى مقاومته للصهيونية والامبريالية وشعوب جنوب القارة الافريقية فى كفاحها ضـــد الاستعمار والعنصرية .

وأعربت التوصية فى الاخير عن تأييد المؤتمرين ومساندتهم للتعاون العربي الافريقي .

● اصدرت وزارة البريد يوم الاثنيـن 26 شوال 1397 الموافق 10 اكتوبر 1977 طابعا بريديا تاريخيا من فئة 0,70 درهما يحمل اسم (الذكرى المائوية للقائد الاعظم علي جناح الباكستاني)

● نشرت الجريدة الرسمية فى عددها ليوم 10 اكتوبر نص ظهير شريف بمثابة قانون يقضي بتأسيس اكاديمية المملكة المغربية التي ستوضع تحت اشراف وتبني جلالة الملك نصره الله وتعني بتنمية البحث فى مختلف فروع المعرفة الانسانية الواسعة .

● افتتح مساء يوم السبت 22 اكتوبر بقاعة وزارة الثقافة المؤتمر الخامس للمجمع العربي للموسيقـى بمشاركة وفود اغلبية الدول العربية . وقـــد تراس الجلسة الافتتاحية السيد محمد العربي الخطابـــي وزير الاعلام نيابة عن السيد احمد با حنيني وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية .

وقد اختير الدكتور عباس الجراري رئيســـا للمؤتمـــر .

● احيت الشاعرة السورية الاستـــاذة طلعـت الرفاعي والشاعر العراقي الاستاذ عبد الرزاق عبـــد الواحد امسية شعرية رائعة بقاعـــة وزارة الثقافـــة مساء يوم الجمعة 21 اكتوبر .

● كتاب الدكتور عبد الله العروي الذي صدر منذ مدة باللغة الفرنسية عن دار النشر ماسبيرو ستصدر ترجمته العربية عن المؤسسة العربية للدراســـات بلبنـــــان .

● اصدرت وزارة الدولة المكلفـــة بالشـــؤون الثقافية كتاب « المختار من شعر شعراء الاندلس » من تصنيف أبي القاسم علي بن المنجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي . وقام بالتحقيق الكاتـــب العراقي الاستاذ هلال ناجي .

صدر الكتاب عن مطبعة فضالة .

● صدر للدكتور التهامي الراجي الهاشمي كتاب : « خلافات القراء بالمغرب والانـــدلس » . وهـــي اطروحته التي نال بها شهادة الدكتوراه فى أوائل السبعينـــات .

تونس :

● شهدت تونس اخيرا معرضا للخط العربي اشتمل على مخطوطات من المصاحف النادرة التي تحتفظ بها دار المكتبة الوطنية ، منها : (مصحف فاطمة) حاضنة الامير باديس الصنهاجي والتي توفيت عام 420 هـ واوقفت مصحفها هذا على جامع القيروان ، الى جانب نسخة مصورة من المصحف الوحيد بخط ابن البواب الذي انجزه عام 391 هـ . اما الاصل فهو موجود بمكتبة (شميتر بيتي) بدبلن (ارلندا) .

ومن المصاحف المعروضة مصحف قرءان كتب بخط نسخي حوالي سنة 12 هـ .

اما المخطوطات فهي كثيرة منها : تفسير القرآن ليحيى بن سلام المتوفى عام 200 هـ ثم نسخة من « الجامع الصحيح » للامام البخاري فى 20 جزءا بخط محمد بن محمد الصدام القيرواني الذي انهى نسخه عام 1086 ، كذلك نجد نسخة من « الجامع الصحيح » للامام محمد بن اسماعيل البخاري وهي نسخة مغربية .

● « نظرية ابن خلدون فى علم الاجتماع » كتاب الدكتور علي الوردي الذي صدرت طبعته الاولى منذ أزيد من عشرين سنة ، صدرت طبعة جديدة منه عن دار النشر التونسية .

ليبيا :

● بدات فى الاسبوع الاخير من شهر سبتمبر اشغال مؤتمر الادباء العرب الحادي عشر ، ومن ابرز المواضيع المدرجة فى جدول اعمال المناقشة قضية فلسطين والادب المعاصر واللغة العربية الفصحى والعامية والمسرح والتراث والحريات الادبية فى الوطن العربي وحماية الاديب من العجز والشيخوخة والترجمة والاشكال الادبية المختلفة . واعقب المؤتمر لقاءات شعرية وقصصية .

هذا وشارك المغرب فى المؤتمر ممثلا فى اتحاد كتاب المغرب الذي ترأس وفدا عنه رئيس الاتحاد الاستاذ محمد برادة .

● « كتاب الشهر » تحت هذا العنوان يصدر عن الدار الليبية للنشر كتاب جديد ابتداء من مطلع السنة القادمة ، يتناول الكتاب مختلف الجوانب الثقافية والعلمية ويعالج موضوعا واحدا .

مصر :

● صدرت بمصر رسالة الماجستير للاستاذ السيد احمد عبد المجيد هريدي بعنوان : (كتاب المقصور والممدود لابي عالي القالي ، وتراث المقصور والممدود فى اللغة العربية) الكتاب يقع فى 130 صفحة من الحجم المتوسط العادي .

ومما يجدر الاشارة اليه ان الكاتب اشار فى صفحة 112 الى انه استطاع « بفضل جلالة مولاي الملك الحسن الثاني ملك المغرب حفظه الله حصلت على نسخة عن الميكروفيلم .. »

● فازت السيدة سعاد علي عبو الرازق برتبة الشرف الاولى فى الدكتوراه عن موضوعها :

(التصوف عند ابي القيم) بجامعة القاهرة . وبذلك تصبح اول سيدة تحصل على الدكتوراه فى (التصوف الاسلامي) .

● كرمت مصر الاديب والمفكر الكبير علي ادهم (80 سنة) باهدائه وسام العلوم والفنون والآداب. كتب علي ادهم فى التراجم والسير والدراسات التاريخية والادبية والفلسفية والدينية وله عدة اعمال مترجمة .

● « القصة القصيرة : دراسة ومختارات » تاليف الدكتور الطاهر احمد مكي استاذ الادب ، يشمل الكتاب قسما للدراسة وضم مختارات من القصة القصيرة العربية والاجنبية . يعتبر الكتاب دراسة شاملة لتاريخ القصة متبعا لاصولها الاولى .

● صدرت عن دار الاهرام مجلة شهرية جديدة بعنوان : الشباب والمستقبل ، وهي مجلة علمية يرأس تحريرها صلاح جلال .

● « رحلة مع الظرفاء » تأليف الاستاذ احمد عبد المجيد يعالج الفكاهة معالجة شاملة فى ضوء علم النفس والادب والمسرح والشعر والرسامين والكتاب، ثم يقدم فصولا للفكاهة عند الكتاب فى الشرق والغرب وحديثا عن مجالس الظرفاء واستخدام الفكاهة فى النقد الاجتماعي . الكتاب صدر عن دار المعارف فى سلسلة « اقرا » .

● اصدرت الدكتورة نعمات احمد فؤاد كتابها الجديد « شعب وشاعر » وهو دراسة عن شاعر تونس ابو القاسم الشابي .

● « نصوص من النقد الادبي » احدث ما الفه الدكتور محمود الربيعي استاذ النقد الادبي . يتضمن الكتاب سبعة نصوص وهي على التوالي لمحمد بن سلام الجمحي وان قتيبة وابن طباطبا العلوي وقدامة ابن جعفر والقاضي الجرجاني والآمدي وابن رشيق القيرواني .

الكتاب فى 82 صفحة ، قطع كبير صدر عن دار المعارف .

● شرعت دار المعارف المصرية فى اصدار سلسلة ثقافية أسبوعية تتناول الثقافة العامة باسم : « كتابك » العدد الثالث صدر من السلسلة بعنوان : « شريعة الله وشريعة الانسان » للاستاذ علي منصور وفيه يوضح المؤلف كيف سبق الاسلام بشريعته قواعد القانون الدولي فى تنظيم العلاقات الدولية فى الحرب والسلم ، وفى تقريره لحقوق الانسان ونشر العدل بين البشر .

● يعد اقبال محمد هيكل رسالة دكتوراه عن : دراسة مقارنة للوضع القروي فى القصة المصرية الحديثة ـ عبد الرحمن الشرقاوي وأعماله الادبية . وستقدم الاطروحة فى جامعة اكستر بانجلترا باشراف الدكتور سمارت أستاذ الادب المعاصر فى تلك الجامعة .

ومن أشهر روايات ع. الشرقاوي رواية : « الارض » التي ترجمت من بين كتبه العشرين الى 15 لغة من بينها الصينية والانجليزية والروسية والالمانية كما ترجم الى الانجليزية كتابه : « محمد رسول الحرية » والى الفرنسية مقالات عديدة عن آرائه فى الفكر الاسلامي .

● « اصول الشعر الجاهلي » كتاب جديد يصدر هذا الشهر من تأليف المستشرق البريطاني مرجيليوث ترجمه الى العربية الدكتور يحيى جبوري. ومن الجدير بالذكر أن الدكتور طه حسين اعتمد على مرجيليوث فى فكرة الانتحال لدى تأليفه كتابه : « فى الشعر الجاهلي » .

● صدرت طبعة جديدة مصححة ومعلق عليها من كتاب « الاسلام » للاستاذ سعيد حوى من سلسلة شهرية .

● « القرءان واعجازه التشريعي » عرض شامل للتشريع الاسلامي للاستاذ محمد اسماعيل ابراهيم صدر عن دار الفكر العربي .

ولنفس المؤلف صدر عن نفس الدار كتاب : « مع الله : بالتوحيد والتسبيح والتمجيد والمناجاة»

● تعيد « دار الشعب » طبع مؤلفات الكاتب الاسلامي الكبير عبد الرزاق نوفل . الكتاب الاول صدر هذا الشهر وعنوانه : « الله والعلم الحديث »

● عن دار الهلال صدر الشهر الماضي كتابان مترجمان : الاول للفيلسوف البريطاني برتر اندرسل بعنوان : « الوصول الى السعادة » ، ترجمه نظمي

لوقا . والكتاب الثاني للروائي الروسي دستويفسكي بعنوان : « الزوج الابدي » ترجمه الاديب السفير المرحوم سامي الدروبي الذي ترجم اعمال دستويفسكي الروسي .

سوريا :

● وصلت الى المغرب النسخة الكاملة من كتاب : (سلسلة الاحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها) للاستاذ محمد ناصر الدين الالباني الدمشقي .

السلسلة تقع في مجلدين ضخمين ، تضم الف حديث ، وفى الف وخمسمائة صفحة من الحجم المتوسط فى ورق ممتاز وتبويب مبسط .

● « اوراق مهملة » مجموعة شعرية صدرت للشاعر رشيد ياسين وهو من منشورات اتحاد الكتاب العرب . يحتوي الديوان على 28 مقطوعة شعرية .

العراق :

● صدر للدكتور خليل ابراهيم العطية المدرس بجامعة البصرة كتاب : (بقية التنبيهات على اغاليط الرواة) لعلي بن حمزة البصري المتوفى سنة 375 للهجرة .

وكان كتاب التنبيهات على اغاليط الرواة صدر ناقصا بتحقيق الشيخ عبد العزيز الميمني .

وقد توفر الدكتور العطية على تحقيق بقية هذا الكتاب معتمدا على نسختين احداهما جديدة لم يرها — الميمني —

وتنبع اهمية هذا الكتاب من كونه يعد من اهم اثار العرب فى النقد اللغوي — ويشتمل على تنبيهات البصري عن نوادر الكلابي الشيباني والدينوري .

● ويصدر لعبد الرحيم محمد علي (الشيخ كاظم الدجيلي) صاحب مجلة (لغة العرب) وذلك ضمن سلسلة — اعلام العراق — .. ويستعد ايضا لدراسة عن الاديب محمد علي البلاغي صاحب مجلة (الاعتدال) .

سبق ان صدر عن هذه السلسلة « خليل عزمي الاديب والاداري » .

● صدر حديثا من مطبوعات وزارة الاوقاف العراقية المجلد الاول من كتاب (فقه الاوزاعي) بتحقيق الدكتور عبد الله محمد المدرس بكلية الامام الاعظم .

● عثرت هيئة تحر اثارية فى بعض نقط حصن العاصمة الاشوريه فى محافظة نينوى بالعراق على مجموعة كبيرة من رؤس السهام المدببة يعتقد انها تعود الى حارس الملك الاشوري شلمنصر اضافة الى ازرار نحاسية وكؤوس صغيرة للشرب مع عدد من المسارج .

● توفي فى بغداد العلامة العراقي الكبير الدكتور ناجي معروف العبيدي . ترك العلامة الفقيد اكثر من اربعين مؤلفا كلها فى سلسلة التراث العربي والاسلامي لعل أهمها سلسلة من عشرة مجلدات ، صدرت منها ثلاثة مجلدات ، رد فيها على المؤرخ العربي الشهير ابن خلدون واثبت بطلان نظريته القائلة بان جل العلماء المسلمين من الموالي ، أي من غير العرب ، واوضح من خلال هذه السلسلة عروبة العلماء الذين نسبوا الى مدن أو اماكن غير عربية بحكم وجودهم فيها ، فى حين أنهم من أرومة عربية .

● صدرت فى بغداد المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر المرحوم شاذل طاقة ، قام بجمع الديوان واعداده سعد البزاز وتحتوي المجموعة على الدواوين التالية : المساء الاخير — ثم مات الليل — الاعور الدجال والغرباء — السندباديات .

● الجزء الثاني من كتاب الدكتور عبد الاله الاحمد « الادب القصصي فى العراق منذ الحرب العالمية الثانية » صدر ضمن سلسلة الكتب الحديثة عن وزارة الاعلام . فى هذا الجزء يدرس المؤلف القصة الفنية فى العراق ، مبينا أبرز سماتها وملامحها ، كما يدرس المضامين والاتجاهات الفكرية ، ثم القصص الطويلة .

● احتفلت الاوساط الادبية فى العراق بالذكرى المائوية للشاعر العراقي المرحوم معروف الرصافي 1877 ـ 1945 . له ديوان طبع ثلاث مرات ومؤلفات نثرية .

● « ذاكرة المدينة » مجموعة قصصية لعبد الرحمن مجيد الربيعي تصدر طبعتها الثانية عن « الدار العربية للكتاب » . الطبعة الاولى صدرت منذ أزيد من عام .

● أصدرت مجلة التراث الشعبي العراقية ملحقا فى كتيب مستقل عن « الفن المعماري والهندسة التشكيلية العامة فم المساجد الاسلامية والمراقد المقدسة » من اعداد شاكر هادي غضب .

باكستان :

● تحتفل الباكستان خلال شهر دجنبر المقبل بالذكرى المائوية لميلاد شاعرها القومي محمد اقبال وقد وجهت الدعوة الى اكثر من (200) عالم وشاعر من جميع أنحاء العالم للمشاركة فى مؤتمر دولي يستمر اسبوعا لاحياء ذكرى الشاعر الذي الف حول حياته أكثر من ثلاثين كتابا .

الصومال :

● قرر الصندوق العربي للمعونة الفنية للدول الافريقية والعربية تقديم معونة الى الصومال قيمتها مليون و 83 الفا و 75 دولارا .

تتضمن هذه المعونة ايفاد ثلاثة خبراء لتطوير مناهج التدريس بالعربية بكلية التربية الصومالية و 61 مدرسا للتدريس باللغة العربية فى التعليم العام و 25 منحة دراسية للمعلمين الصوماليين الى كليات التربية بالدول العربية ، وكذلك انشاء معهد لتعليم الآلة الكاتبة باللغة العربية بالعاصمة الصومالية « مقديشيو » .

الهند :

● صدر فى الهند كتاب جديد من جزاين بعنوان « مجد العرب واحزانهم » للدكتور الشيخ محمد اقبال .

الجزء الاول من الكتاب يعرض الحياة الاسلامية فى المملكة العربية السعودية ، والجزء الثاني يتحدث عن مشكلة فلسطين واثرها على العالم العربي .

المؤلف احد المفكرين المسلمين البارزين فى الهند وله صلات وثيقة مع عدد من الشخصيات العربية .

امريكا :

● صدرت فى الولايات المتحدة الامريكية الطبعة الثالثة من كتاب (الولايات المتحدة والعالم العربي) لمؤلفه وليام بوك أستاذ التاريخ ومدير مركز دراسات الشرق الاوسط بجامعة شيكاغو .

يحتوي الكتاب على تاريخ الدول العربية منذ صدر الاسلام الى وقتنا الحاضر مركزا على فترة ما بين الحربين الاولى والثانية وتأثير وعد بلفور على امن المنطقة . حيث أشاد المؤلف بمقدرة البلاد العربية وتأكيد اهمية البترول كسلاح فى الحرب .

فرنسا :

● ظهر الجزء الثالث من كتاب : « الحضارة العالمية ووضع الزنوج وطبيعتهم » والذي قام بتاليفه

الشاعر ليوبولد سيدار سنغور رئيس جمهورية السينغال ، والذي يتناول فيه علاقة الانسان بالانسان وعلاقته بالعالم من حوله . في هذا الجزء الجديد يتحدث سنغور عن ثقافة الزنوج وانسانيتهم كما يقدم تعريفا للزنوج والتجديد الذي طرأ عليهم مطالبا بعدم عزل العنصرية لافريقيا السوداء عن الحضارة العالمية . ثم يشيد في نهاية كتابه بانسانية القرن العشرين التي تعبر في الواقع عن حضارة العالم لانها تحاول ربط الشعوب ببعضها بعيدا عن العنصرية .

● صدر في باريس الكتاب الاول من سلسلة جديدة قررت دار البان ميشال اصدارها بعنوان : (حضور العالم العربي) .

عنوان الكتاب (تجربة الشرق) وهو من تاليف رينة تافرنيية .

مساندة جامعة جنيف للدكتور رشدي فكار

● استطاع المفكر الدكتور رشدي فكار الاستاذ بجامعة محمد الخامس بالرباط واول عربي يرشح لجائزة نوبل في الآداب . ان يحصل للعالم العربي الاسلامي على نصر ادبي كبير .

وذلك بحصوله على مساندة لترشيحه للجائزة من جامعة جنيف وهي الجامعة التي ساندت العالم الرياضي العظيم اينشتين في حصوله على جائزة نوبل

وقد جاء في الرسالة التي وجهها برنار عميد كلية الآداب بجامعة جنيف الى الامين الدائم للاكاديمية السويدية التي تمنح الجائزة ، ان جامعة جنيف ما كاد يبلغها ان الدكتور رشدي فكار الذي يعمل استاذا زائرا بها مرشح لجائزة نوبل في الآداب وان هذا الترشيح قد تم في اكتوبر 1976 بمساندة قمة الهيئات والمؤسسات الثقافية في العالم تبادر بمساندة هذا الترشيح وتتمسك به بحرارة وذلك - كما تقول رسالة عميد كلية الآداب بجامعة جنيف - لان البروفسور رشدي فكار المفكر العربي الاسلامي قد ساهم باعماله الفكرية خاصة اعماله في جامعة جنيف في خلق التقارب والتفاهم بين الثقافات والحضارات الاوربية والعربية وانه ما زال على عهده في الدفاع الدائم عن القيم الروحية في عالم تسلطت عليه الماديات والمصالح .

ولا شك ان مساندة جامعة جنيف التي تعد واحدة من الجامعات الخمس الكبرى في العالم لها قيمتها الادبية عند حلول موعد التحكيم لنيل الدكتور فكار للجائزة الذي سوف يتم في اكتوبر عام 1979 .

وقد اعلن في هذا الاسبوع رفع قيمة جوائز نوبل بمقدار عشرين الف كورونة سويدية .. وبمعنى آخر اصبحت قيمة الجائزة تعادل ما يساوي 200 الف دولار .